آخر الدول

دراسة في الدولة العالمية للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه

تأليف
السيد محمد الشوكي

آخر الدوائر

دراسة في الدولة العالمية للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه

تأليف

السيد محمد الشوكي

آخر الدول

تالیف : السید محمد الشوکی

ناشر : انتشارات جلال الدین

مطبعه : امیران

نوبت الطبعه : الاولی ١٤٢٩

عدد المطبوع : ٢٠٠٠ نسخه

شابک : ٠-٧٣-٨٤١٠-٩٦٤-٩٧٨

عن أبي جعفر عليه السلام:

«دولتنا آخر الدول ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء وهو قول الله عزَّ وجلَّ والعاقبة للمتقين».

الغيبة، الشيخ الطوسي : ٤٧٣

دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام

أللهم إنك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته علماً لعبادك ، ومناراً في بلادك، بعد أن وصلت حبله بحبلك ، وجعلته الذريعة إلى رضوانك ، وافترضت طاعته ، وحذرت معصيته ، وأمرت بامتثال أمره ، والانتهاء عند نهيه ، وألا يتقدمه متقدم ، ولا يتأخر عنه متأخر ، فهو عصمة اللائذين ، وكهف المؤمنين ، وعروة المتمسكين ، وبهاء العالمين .

اللهم فأوزع لوليك شكر ما أنعمت به عليه ، وأوزعنا مثله فيه ، وآته من لدنك سلطاناً نصيراً ، وافتح له فتحاً يسيراً ، وأعنه بركنك الأعز ، واشدد أزره ، وقو عضده ، وراعه بعينك ، واحمه بحفظك ، وانصره بملائكتك ، وامدده بجندك الأغلب ، وأقم به كتابك وحدودك ، وشرائعك وسنن رسولك صلواتك اللهم عليه وآله .

وأحي به ما أماته الظالمون من معالم دينك ، واجل به صدأ الجور عن طريقتك ، وأبن به الضراء من سبيلك ، وأزل به الناكبين عن صراطك ، وامحق به بغاة قصدك عوجا ، وألن جانبه لأوليائك ، وابسط يده على أعدائك ، وهب لنا رأفته ورحمته ، وتعطفه وتحننه ، واجعلنا له سامعين مطيعين ، وفي رضاه ساعين ، وإلى نصرته والمدافعة عنه مكنفين ، وإليك وإلى رسولك صلواتك اللهم عليه وآله بذلك متقربين .

اللهم وصل على أوليائهم المعترفين بمقامهم ، المتبعين منهجهم ، المقتفين آثارهم ، المستمسكين بعروتهم ، المتمسكين بولايتهم ، المؤتمين بإمامتهم ، المسلمين لأمرهم ، المجتهدين في طاعتهم ، المنتظرين أيامهم ، المادين إليهم أعينهم، الصلوات المباركات الزاكيات الناميات الغاديات الرائحات وسلم عليهم وعلى أرواحهم ، واجمع على التقوى أمرهم ، وأصلح لهم شؤونهم ، وتب عليهم إنك أنت التواب الرحيم ، وخير الغافرين ، واجعلنا معهم في دار السلام ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

المقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله الذي شدَّ الناس بحبليه، وعصمهم من الضلال بثقليه، والصلاة والسلام على المبعوث بالهدى، محمد المصطفى، وعلى آله الطيبين الطاهرين النجبا.

حبُّ الكمال والسعادة غريزة مغروسة في ضمير كل إنسان عاش على سطح هذا الكوكب. ولهذا كان الإنسان ولا زال يطمح إلى يوم تتحقق فيه سعادته المنشودة، ويتخلص فيه من كل دواعي الشقاء: من فقر، وجهل، وظلم، وخوف.. وما إلى ذلك من أغلال رزحت تحتها البشرية عصوراً متمادية.

ومن هنا نجد أن فكرة المصلح العالمي الذي يظهر آخر الزمان ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، تغلغلت في نفوس الناس على مر العصور. وجاءت الأديان السماوية لتعمق هذا الشعور، وتعطي وعداً إلهياً جازماً بتحقق يوم الخلاص. وقد أكد الإسلام أكثر من غيره على هذه الحقيقة، وأعطاها أبعاداً أخرى، واهتم بها اهتماماً كبيراً حتى أضحت ثابتاً من ثوابته.

واليوم، وبعد أن قطعت البشرية أشواطاً طويلة في مجال العلم والمعرفة والتطور المادي والتكنولوجي، وبعد أن جرّبت مذاهب فكرية وسياسية

واقتصادية متعددة، وآمنت بإيديولوجيات متنوعة، لم تصل إلى سعادتها التي تطمح إليها، ولم تستطع كل تلك المذاهب الأرضية المتنوعة، مع ما صحبها من تطور علمي وتقني هائل، أن تخلق المجتمع السعيد والكامل· فلا يزال الظلم والجور معشعشاً في ثنايا العالم، ولا يزال الفقر والحرمان منتشراً في أرجاءه، ولا يزال الشقاء المتعدد الجهات يلقي بظلاله الداكنة على آفاقه·

ولهذا تعمق الشعور بضرورة قيام دولة عالمية واحدة وعادلة، تحتضن الناس أجمعين، وتحقق لهم ما يطمحون إليه من كمالهم وسعادتهم·

وبما أننا كمسلمين مكلفون بأن نمهّد لهذه الدولة الكريمة ـ التي نعتقد أنها دولة الإمام المهدي عليه السلام ـ بكل السبل المتاحة، ونهيئ الأرضية اللازمة لظهوره الذي لا يكاد يكون بعيداً، كان لا بد لنا أن نملك انطباعاً عاماً عن هذه الدولة الكريمة، في خصائصها وسماتها، وأهدافها، وأساليب قيامها، وفي دورنا في تحققها، ومسؤوليتنا تجاهها· ومن ثم نحاول أن نعكس هذه الصورة الإجمالية عنها للآخرين·

وقد كان هذا الكتاب الماثل بين يديك ـ عزيزي القارئ ـ مجموعة من البحوث التي قدمت لبعض المؤتمرات ، وكذلك الندوات الحوارية التلفزيونية التي أجريت معنا في مدة مديدة من الزمان في بعض القنوات الفضائية وكذلك بعض البرامج الإذاعية· وقد ارتأينا أن نجمع موادها، ونقوم بتهذيبها وتطويرها وتنسيقها وتوثيقها، ومن ثم إعدادها للطبع، لينتفع بها المؤمنون المنتظرون للمصلح العالمي الكبير الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف·

ولا يخفى أن تلك البحوث والندوات لم يكن يجمعها محور واحد، وإنما كانت مجموعة مواضيع متنوعة تناولت قضية الإمام المهدي عليه السلام من زوايا متعددة: تاريخية وكلامية وثقافية... من ولادته، وغيبته الصغرى وسفراءه، وغيبته الكبرى وظروفها وملابساتها، وانتظاره والتمهيد له، وعلائم ظهوره.. وما إلى ذلك. إلا أننا من أجل إعطاء محور واحد للكتاب، وتجنباً لحالة التبعثر في المواضيع، حاولنا أن نجمع منها ما كان مرتبطاً بالدولة المهدوية المباركة لتتسق في محور واحد هو (الدولة العالمية للإمام المهدي عليه السلام).

وقد قسمنا البحث إلى ستة فصول ومدخل وخاتمة. تحدثنا في المدخل حول نظرية الإستخلاف في المنظور الديني وأبعادها المختلفة، وتحدثنا في الفصل الأول عن مستقبل العالم على ضوء معطيات الواقع، وعلى ضوء السنن الإلهية الثابتة، وناقشنا نظرية الخلود الليبرالي طبقاً لتلك السنن، وذكرنا أدلة الوعد الإلهي القاطع بضرورة تحقق الدولة العالمية للإمام المهدي عليه السلام، وما ورد لدينا من آيات وروايات في ذلك.

وتحدثنا في الفصل الثاني عن ضرورة قيام الدولة العالمية الواحدة، وعن تيار العولمة وما أفرزه من معطيات وتحديات كثيرة على المسرح العالمي في العقود المتأخرة، وانعكاساته على قضية الإمام المهدي عليه السلام.

وتحدثنا في الفصل الثالث عن خصائص الدولة العالمية التي جعلتها مثالاً فريداً على طول التاريخ، وما تتميز به عن بقية الدول والحكومات الأخرى التي سبقتها.

أما الفصل الرابع فخصصناه للحديث عن أساليب قيام الدولة العالمية، حيث قدمنا ثلاثة تصورات حول ذلك وناقشناها مناقشة وافية.

وتكلمنا في الفصل الخامس عن حركة الفتح العالمي، وعن تطوراتها ومراحل مسيرتها، واستعرضنا الروايات الواردة فيها استعراضاً متناسقاً.

وأخيراً في الفصل السادس تحدثنا عن الإنتظار ومسؤوليتنا تجاه الدولة العالمية، وما ينبغي لنا القيام به في التمهيد لها، وإعداد الأرضية اللازمة لقيامها وتحققها.

وختمنا البحث بخاتمة حول مدة بقاء الدولة العالمية، والعمر المبارك للإمام المهدي عليه السلام.

وحاولنا جهد الإمكان أن نجيب على أكثر الأسئلة إلحاحاً في قضية الإمام المهدي عليه السلام، والتي يبحث الكثيرون عن الإجابة عنها، أو لا أقل مناقشتها على ضوء الأدلة الإسلامية. ومن هذه الأسئلة على سبيل المثال:

هل أن قضية الإمام المهدي عليه السلام قضية شيعية لا تتجاوز الإطار المذهبي، أم أنها قضية إسلامية أصيلة ؟.

هل لنا دور ما في قضية الإمام المهدي عليه السلام، أم أنها غيب مطلق من غيب الله تعالى ليس لنا فيه أي دور أو تأثير؟.

كيف سينتصر الإمام المهدي عليه السلام، وبأي طريقة ؟ وكيف يستطيع القضاء على الاستكبار العالمي بما يملكه من أسلحة فتاكة وتقنيات متطورة ؟

أصحيح أن حكمه سيختلف عن آبائه الطاهرين عليهم السلام ؟ وما معنى الأحاديث التي تحدثت عن أنه يأتي بكتاب جديد وقضاء جديد وسنة جديدة..؟

هل المهدي عليه السلام داعي حرب أم داعي سلام ؟ وما هي مصداقية الصورة التي يرسمها له البعض على أنه رجل قتل ودماء ؟

هل أن العالم سيرجع إلى الوراء أشواطاً كبيرة، أم أنه سيحافظ على تطوره وازدهاره ؟.

ما هو موقف القائم عليه السلام من الأديان والمذاهب الأخرى ؟.

وغير ذلك من الأسئلة الأخرى التي سوف نستعرضها ونجيب عليها في طيات البحث.

وأخيراً نرجو أن نكون قد قدمنا صورة واضحة عن الدولة العالمية للإمام المهدي عليه السلام، أو كشفنا جزء من الصورة. ونرجو أن ينال هذا الجهد المتواضع رضا الله تبارك وتعالى ورضا قائم آل محمد عليه السلام، وأن ينفع به المؤمنين من أتباعه. ومن الله نستمد التوفيق.

محمد الشوكي

المدخل

المدخل

خلق الله تعالى الإنسان لكي يكون خليفته في الأرض دون باقي الموجودات الأخرى كما صرح بذلك القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]. وهذا يشكل امتيازاً كبيراً للإنسان لا يدانيه فيه موجود آخر.

وهذا الاستخلاف منصب على الجنس البشري أجمع، وعلى الجماعة الإنسانية على طول الخط، وليس مختصاً بآدم عليه السلام، وذلك يفهم من سياق الآية الشريفة ومن استفهام الملائكة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ

١ـ البقرة: ٣٠. وهناك ثلاثة آراء في معنى خلافة آدم.

الأول: أنه سمي خليفة لأنه يخلف بعض المخلوقات السابقة في الأرض، وهي إما الملائكة أو الجن أو آدميون سبقوا آدم في الخلق.

الثاني: هو إنما سمي خليفة لأنه وأبناءه يخلف بعضهم بعضاً.

الثالث: أنه سمي خليفة لأنه يخلف الله تبارك وتعالى في الأرض. والذي نميل إليه هو الرأي الثالث.

وقد ذكرت مجموعة آراء في تفسير المعنى الثالث:

أ ـ أنه يخلف الله تعالى في عمارة الأرض واستثمارها بمختلف أنواع الاستثمار والاستعمار.

ب ـ يخلف الله تعالى في علمه بالأسماء.

ج ـ يخلف الله تعالى في الحكم والفصل بين العباد.

والذي نراه أن معنى الخلافة أوسع من كل ذلك، فهو يشمل ما ذكر ويشمل غيرها من الصور الأخرى.

وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[١]. فلو كان المقصود بالاستخلاف خصوص آدم عليه السلام لما صح منهم ذلك لأن آدم عليه السلام نبي مصون عن الفساد في الأرض وسفك الدماء فيها.

نعم سوف لن يصل البشر إلى هذه المرحلة الكاملة بيوم واحد، وإنما سيصلون إليها ـ بصورتها التامة ـ في نهاية المطاف، وفي أثناء سيرهم إلى ذلك الهدف التكاملي سوف يكون بينهم في جميع الأعصار من يصل إلى هذه المرحلة، و من بينهم الأنبياء والأولياء الذين يأخذون بيد البشرية نحو ذلك الهدف الكبير. فالهدف من بعث الأنبياء عليهم السلام هو بناء المجتمع الخليفة العادل والكامل كما يقول تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[٢]. فالآية تجعل الهدف من بعث الأنبياء وإرسال الرسل وإنزال الكتب هو إقامة العدل في المجتمع البشري، ومن قبل الناس أنفسهم. فالآية لم تقل أرسلنا رسلنا ليقوموا بالقسط ـ وإن كانوا هم لا يقومون إلا بالقسط والعدل لمكان عصمتهم ـ ولكنها قالت ليقوم الناس بالقسط، أي أن رسالة الأنبياء عليهم السلام ووظيفتهم أن يعدوا الأمة إعداداً إلهياً، ويهيئوها فكرياً ونفسياً وأخلاقياً لتقوم بالقسط، فيتحقق بذلك المجتمع العادل الكامل.

ومن هنا ليست الخلافة معطىً ابتدائياً يصاحب وجود الإنسان بما هو إنسان، وإنما هي مقام كمالي يجب أن يسعى الإنسان لتحصيله. والإنسان

١ـ سورة البقرة: ٣٠.

٢ـ سورة الحديد: ٢٥.

المقدس الذي يستحق سجود الملائكة هو من يصل إلى هذا المقام لا كل إنسان. يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[١]. فصدر الآية يخاطب الجنس البشري عامة، ولكنها عندما تأتي إلى مرحلة السجود ينتقل الخطاب إلى المفرد، لأن من يستحق السجود ليس مطلق الجنس البشري، وإنما من وصل إلى مرحلة الخلافة فقط. ولهذا كان السجود لآدم عليه السلام بعد تعليمه الأسماء ونجاحه في الإختبار.

ويظهر من آية الاستخلاف أن استخلاف الإنسان من قبل الله تعالى مرتبط بالقدرات الهائلة التي يملكها هذا المخلوق الجديد، والتي ما كان الملائكة يدركونها بشكل تام، وهي تتعلق بالأساس بالقدرات العلمية والمعرفية التي يتوفر عليها، وأرضية التكامل التي يمتلكها. يقول تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[٢]. فقد أجرى الله تبارك وتعالى اختباراً سريعاً لقدرات الطرفين لإثبات أفضلية آدم وأهليته لهذا المنصب الذي أعطاه له.

والهدف من الاستخلاف هو التسبيح والتقديس كما يظهر من الآية

١ـ سورة الأعراف: ١١.

٢ـ سورة البقرة: ٣١ ـ ٣٣.

الكريمة ومن فهم الملائكة لهذه الخلافة: ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ أي أنهم فهموا من الخلافة معنى التسبيح والتقديس، ولهذا قالوا نحن نفي بهذا الغرض· وليس المقصود التسبيح والتقديس فقط، وإنما المراد القيام بشؤون العبودية لله تعالى· وهو ما يظهر من الآيات الآخرى كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]· فبيّن تعالى أن الهدف من خلق الخلق هو عبادة الله جل جلاله·

وليس المقصود من العبادة معناها الفردي المتمثل في الصلاة والصيام وسائر الأفعال العبادية الأخرى، وإنما العبادة بمعناها الشامل الكامل الذي تمثل هذه العبادات بعض مفرداته· العبادة التي جعلت هدفاً لخلق الإنسان هي التوجه الكامل نحو الله تعالى، والخضوع له، وامتثال أوامره، والارتباط به في كل صغيرة وكبيرة من حياة الإنسان، بحيث يعيش الإنسان معنى العبودية لله تعالى بكل وجوده، وذلك بأن يكون محياه ومماته لله تبارك وتعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

وبما أن الإنسان خليفة الله تعالى فلابد أن يحاكي صفاته العليا، فإن المستخلَف (بالفتح) لابد أن يحمل صفات المستخلِف (بالكسر)، فلابد لهذا الكائن إذا أراد الوصول إلى الخلافة الإلهية أن يتحلى بالعلم والحلم والعدل والرحمة والعزة··· وما إلى ذلك من الصفات الإلهية، لأن من تختلف صفاته مع

١ـ سورة الذاريات: ٥٦·

٢ـ سورة الأنعام: ١٦٢، ١٦٣·

صفات ربه لا يكون خليفة لله تعالى وإنما يكون خليفة للشيطان، وكيف يكون الجاهل خليفة للعالم، والجائر خليفة للعادل، والذليل خليفة للعزيز، والبخيل خليفة للجواد الكريم... ومن هنا ورد في الحديث الشريف: «**تخلقوا بأخلاق الله**». يقول السيد الطباطبائي: «**ومن شأن الخلافة أن يحاكي الخليفة من استخلفه في صفاته وأعماله، فعلى خليفة الله في الأرض أن يتخلق بأخلاق الله، ويريد ويفعل ما يريده الله، ويحكم ويقضي بما يقضي به الله ـ والله يقضي بالحق ـ ويسلك سبيل الله ولا يتعداها**»[١].

فالإنسان الخليفة، والمجتمع الخليفة هو الذي يسير طبقاً لإرادة الله تبارك وتعالى، وهو الذي يرتبط بالخالق عزوجل في جميع شؤون حياته، وهو الذي يكون انتماءه لله وحده دون سائر الإنتماءات الأخرى، وهو الذي يخضع لله تبارك وتعالى في أحكامه وتشريعاته، ولا يخضع لتشريعات بني الإنسان الناقصة، وأن لا يحتكم إلى هواه في أحكامه وعلاقاته. من هنا نرى الله تعالى يقول: ﴿**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾[٢]. فإن حكمه بالحق وعدم اتباعه للهوى في أحكامه متفرع على الخلافة التي جعلت له.

إن تحقق المجتمع الخليفة يوفر للإنسان فرصة التكامل الروحي والمعنوي، كما يوفر له فرصة التكامل المادي، فإن هناك تلازماً بين الخلافة

١ـ تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ١٧ / ١٩٤.

٢ـ سورة ص: ٢٦.

والكمال المادي، كما أن هناك تلازماً بينها وبين الكمال المعنوي، فمتى تحققت الخلافة بما تحمله من أقصى مراتب العبودية والإيمان والعمل الصالح، نزلت الخيرات واتسعت البركات، وانعدمت كل دواعي الشقاء. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[١]. ويقول: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾[٢]. ويتحدث عن أهل الكتاب فيقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[٣]. وهذا ليس مختصاً بأهل الكتاب وإنما بجميع البشر ومنهم أهل القرآن، فلو أن أهل القرآن أقاموه في حياتهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم. والمقصود أن الأمم لو احتكمت إلى الدين والكتب السماوية وطبقتها في حياتها وسارت على خطاها فإنها سوف تنعم نعمة لا مثيل لها أبدا. وذلك بخلاف ما لو خالفت أوامر الله تعالى فإنها سوف تشقى شقاء ليس بعده شقاء. وهذا هو البرنامج الذي وضعه الله تعالى للبشرية عندما افتتحت حياتها على الأرض بخروج آدم عليه السلام من الجنة. يقول تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ﴾[٤]. فإذا أرادت البشرية أن

١ـ سورة الأعراف: ٩٦.

٢ ـ سورة نوح: ١٠ـ١٢.

٣ـ سورة المائدة: ٦٦.

٤ـ سورة طه: ١٢٣.

تبتعد عن الشقاء في هذه الدنيا فلن تحقق لها المذاهب الأرضية ذلك، لا الإشتراكية ولا الرأسمالية ولا غير ذلك، وإنما السبيل الوحيد هو اتباع هدى الله تعالى.

وتحقق المجتمع الخليفة يحتاج إلى قيادة ربانية واعية تبين للناس هدى الله تعالى، وتراقب مسيرتهم، وتصحح لهم الأخطاء، ومن دون هذه القيادة الربانية التي تتمتع بخصائص لا توجد عند البشر العاديين يصعب تحقيق ذلك المجتمع الكامل. ومن هنا نرى السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله يطرح مسألة الشهادة ـ شهادة الأنبياء والأولياء ـ بالإتساق مع مسألة الخلافة، ويرى أنها مكملة لها بالضرورة. ولهذا يقول: «**وضع الله سبحانه وتعالى إلى جانب خط الخلافة ـ خلافة الإنسان على الأرض ـ خط الشهادة الذي يمثل التدخل الرباني من أجل صيانة الإنسان الخليفة من الإنحراف وتوجيهه نحو أهداف الخلافة الرشيدة**»[1].

ويقسم الشهداء إلى ثلاثة أصناف طبقاً للآية الشريفة: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ**﴾[2]. يقول: «**والأصناف الثلاثة على ضوء هذه الآية هم النبيون والربانيون والأحبار. والأحبار هم علماء الشريعة، والربانيون درجة وسطى بين النبي**

١ـ الإسلام يقود الحياة، المفكر الكبير محمد باقر الصدر: ١٣٥.

٢ـ سورة المائدة: ٤٤.

والعالم وهي درجة الإمام· ومن هنا أمكن القول بأن خط الشهادة يتمثل:

أولاً: في الأنبياء·

وثانياً: في الأئمة الذين يعتبرون امتداداً ربانياً للنبي في هذا الخط·

وثالثاً: في المرجعية التي تعتبر امتداداً رشيداً للنبي والإمام في خط الشهادة»[1].

من هذا الأساس تنطلق الرؤية الإسلامية للمستقبل، فالإنسان أراد الله له أن يكون خليفته في الأرض، وعليه أن يسعى إلى الوصول إلى ذلك المستوى، وفي مسيرته في التاريخ بلغ بعض أفراده هذه المنزلة الشريفة، ولكن لم يتحقق اليوم الذي يصل فيه الناس جميعاً إليه، وهو سائر نحو تحقيق ذلك الهدف الكبير، أي تحقيق المجتمع الخليفة في الأرض، ذلك المجتمع الذي ستتولى إنجازه ـ آخر الزمان ـ قيادة ربانية شاهدة، والذي سيقيم التوراة والإنجيل والقرآن في تعاليمها الربانية الواحدة، ويحكم شرع الله ـ كما أنزل ـ في واقعه، ويتجه إلى عبادة الله تبارك وتعالى وتقديسه، ويتكامل فيه الناس مادياً ومعنوياً، وينهي عصور الشقاء التي مرت بها البشرية في حقبها الزمنية الطويلة·

وهذا الهدف الكبير ينبغي على الإنسان أن يفكر فيه وأن يبذل كل جهوده في سبيل إنجازه بأقرب وقت ممكن، «فالخلافة إذاً حركة دائبة نحو قيم الخير والعدل والقوة، وهي حركة لا توقف فيها، لأنها متجهة نحو المطلق،

١ـ م· س·

وأي هدف آخر للحركة سوى المطلق ـ سوى الله سبحانه وتعالى ـ سوف يكون هدفاً محدوداً، وبالتالي سوف يجمد الحركة ويوقف عملية النمو في خلافة الإنسان.

وعلى الجماعة التي تتحمل مسؤولية الخلافة أن توفر لهذه الحركة الدائبة نحو هدفها المطلق الكبير كل الشروط الموضوعية، وتحقق لها مناخها اللازم»[1].

إن الله تبارك وتعالى قد أعطى وعداً جازماً في كتبه المقدسة بتحقق ذلك اليوم الموعود الذي عمل من أجله الأنبياء عليهم السلام، وسيأتي في الفصل الأول بيان ذلك، وأن البشرية متجهة نحو ذلك الهدف الكريم.

١ـ م. س.

الفصل الأول

مستقبل العالم
بين وراثة الليبراليين و وراثة الصالحين

الفصل الأول

مستقبل العالم

بين وراثة الليبراليين ووراثة الصالحين

استشراف المستقبل

عندما تشتد الأزمات بالإنسان وتضيق به السبل، ويعيش ضغوطاً متعددة، يحاول دائماً أن يحدق بالمستقبل، ويندفع كثيراً إلى معرفة ما يخبأه له الغد من خير أو شر.

وهذه حالة عامة عند جميع البشر. فكل إنسان يحب أن يطّلع على مستقبله، وأن يستشرف غده. ولهذا ترى الكثير من الناس يهرعون إلى العرّافين وقراء الكف والفنجان وأمثال ذلك ـ حتى في الدول المتمدنة ـ ليطلعوا على مستقبلهم وما تخبئه لهم الأيام من مفاجئات سارة أو محزنة، وإن كانوا لا يؤمنون بمثل ذلك في كثير من الأحيان، إلا أن هناك شعوراً باطنياً يدفعهم إلى ذلك. وهذه الحالة العامة التي يعيشها الجميع قد تشتدّ في بعض الأحيان حتى تصبح شبيهة بهستريا المستقبل، وذلك في الأزمات الشديدة التي يتعرض لها الناس، والتي تثير أمامهم قلقاً واضطراباً كبيراً.

وفي عصرنا الراهن، ونتيجة لعوامل متعددة: سياسية وإجتماعية واقتصادية وأمنية.. راح الناس يعيشون في جو مليء بغيوم القلق والاضطراب، ويحسون أكثر مما مضى بفقدان الأمن والإستقرار. ولا يتفائل الكثير منهم بما تأتي به الأيام المقبلة. بل راح الكثير من الناس يحنّ إلى الأيام السالفة التي تحولت في عيونهم على بساطتها إلى جنة تفضل كل ما أتت به المدنية الحديثة. فنحن نعيش اليوم حالة من القلق العالمي المرير، خصوصاً في دول العالم الثالث التي يبدو مستقبلها مظلماً داكناً.

وهذا القلق لـه ما يثيره إذ ليس ناشئاً من فراغ. فقراءة معمقة للواقع العالمي تثير أمامنا أكثر من موطن قلق في العالم. على مستوى البيئة نرى أن تقارير منظمات حماية البيئة تنذر بمصير خطير لهذا الكوكب الصاخب الذى تعب فيه كل شئ: الماء والهواء والأرض والسماء. وتنذرنا تقارير الأمم المتحدة ولجانها المختصة بمستقبل تعيس تزداد فيه الأعداد السكانية بشكل مذهل، وتتناقص فيه الموارد الطبيعية ومصادر الطاقة بصورة مطردة وكبيرة.

وعلى المستوى السياسي يعيش العالم استكباراً واستهتاراً سياسياً من قبل الدول العظمى التي تمسك بمصير الشعوب وتتحكم بمقدراتها، وتملي عليها ما تشاء من وحي قوتها العسكرية والإقتصادية، خصوصاً في ظل النظام العالمي الجديد الذي اختلت فيه موازين القوى وحسمت لصالح قطب عالمي واحد هو الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ورائها دول غربية أخرى. وقد فرض هذا الواقع استحقاقات جديدة على الساحة العالمية وخصوصاً العربية والاسلامية منها، وأفرز افرازات سياسية خطيرة لا تخفى على المتتبع الخبير.

وعلى المستوى الأمني بات العالم مهدداً من أكثر من جهة. فالأسلحة النووية والذرية الضخمة التي يكفي أدنى تهور في تدميرها للكرة الأرضية وقلبها بما فيها. وهكذا الإرهاب الذي اصطبغ بصبغة عالمية، ولم تعد حتى أمنع المعاقل في العالم أن تكون بمنأى عنه.

وليس الحال بأفضل من ذلك على المستوى الإقتصادي حيث ازدياد معدلات الفقر، وفشل خطط التنمية في الكثير من البلدان النامية، واتساع الهوة بين الشمال والجنوب، خصوصاً في ظل سيطرة واستفراد الشركات الرأسمالية المتعدية الجنسيات - النهمة والشرهة ـ بالإقتصاد العالمي، وتلاعبها بكل تفاصيله ومفرداته.

نتيجة لهذه العوامل وغيرها من العوامل الأخرى، بات العالم تجتاحه نوبة خطيرة من القلق حول المستقبل، وراح يتطلع إلى طبيعة المستقبل الذي ستصل إليه البشرية، وطبيعة النظام الذي سيحكم العالم، وهل سيضمن لـه مستقبلاً آمناً ورغيداً، أم على العكس من ذلك ؟. إلى غير ذلك من الأسئلة التي تدور في خلد الكثير من الناس.

وعندما نلقي نظرة على النظم والإيديولوجيات السائدة في العالم سوف نرى أنه بعد سقوط الإتحاد السوفيتي، وسقوط النظرية الشيوعية بسقوطه ـ كنظرية ناجحة لإدارة المجتمع كما ادعي ـ لم تبق إلا نظريتين تدعي كل واحدة منهما أنها ستواصل المسير، وستحكم مستقبل الناس، وتقود المسيرة إلى شاطئ الأمن والسلام دون منافس ومنازع. وهاتان النظريتان هما: الليبرالية والإسلام.

الليبرالية ومستقبل العالم

في سنة ١٩٨٥م وعندما طرح الرئيس السوفيتي السابق غورباتشوف مشروعه الإصلاحي المسمى بـ(البروستريكا) لإنقاذ الإتحاد السوفيتي من الإنهيار، بدأت تظهر ملامح كثيرة لولادة نظام عالمي جديد· فقد اتجهت هذه الإصلاحات إلى مزيد من التقارب بين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي، وأعطت شيئاً من الحرارة للعلاقات الرأسمالية الاشتراكية التي جمدتها الحرب الباردة· وهذا التقارب ما كان ناتجاً من إدراك رحيم للواقع العالمي، أو اشتراك في المصالح العالمية بين المعسكرين، بقدر ما يحكي ضعف الجانب السوفيتي، ووصوله إلى حافة الهاوية·

فالنظام الماركسي الذي كان يحكم الإتحاد السوفيتي وبقاع أخرى من العالم، أدى من خلال نقاط الضعف التي يحملها في أحنائه ـ وهي نقاط جوهرية أشّر عليها المفكرون والباحثون في هذا المجال، سواء كانت في النظرة الكونية لهذا المذهب، أو في النظام الإقتصادي، أو السياسي ـ أدى إلى حالة من الفقر والحرمان والضنك الذي لا يطاق، بحيث عاشت المجتمعات الإشتراكية حالة مريرة من الإختناق، أنتهت بعد ذلك إلى الإنفجار الذي بدّد أوصال الإتحاد السوفيتي·

في هذا الوضع المتداعي الموشك على الإنهيار أعلن غورباتشوف خطته الإصلاحية التي كانت جرعة الموت لهذا الجسم المريض، أو كانت آخر مسمار وضع في نعش الإتحاد السوفيتي· إذ أن النظام الماركسي كان يعاني من مرض عضال مزمن، لا تنفع معه المهدئات الوقتية والعلاجات المتأخرة· ولم يقض غورباتشوف على الإتحاد السوفيتي، وإنما كل ماعمله أنه رفع المشعل

ليخبرهم بنهاية النفق المظلم الذي ساروا فيه. والذي قال فيه أحد قادة الحزب الشيوعي الكبار : إن لنا فضلاً على العالم لأننا علمناهم الطريق الذي ينبغي أن لا يسلكوه.

في هذه الأعوام ومن خلال التنسيق والتعاون الذي ظهر بين الإتحاد السوفيتي وبين أمريكا قائدة المعسكر الغربي تجاه كثير من القضايا العالمية المتنوعة، والذي قلنا أنه يعكس ضعف الإتحاد السوفيتي وليس إدراكه لضرورة التعاون والتنسيق بين المعسكرين، بدأت تظهر ملامح نظام عالمي جديد يوشك على الولادة قريباً ويحل محل النظام العالمي القديم.

فقد ظل العالم يرزح تحت النظام الثنائي القطبية سنين بل عقود طويلة، وتحت ظل الحرب الباردة بين القطبين: الشرقي بقيادة الإتحاد السوفيتي، والغربي بقيادة أمريكا. هذان القطبان كانا يتبادلان التأثير في المسرح العالمي، وكانا يشكلان طرفي المعادلة الدولية. وكل تحول في العالم كان عليه أن يمرّ من خلال هاتين القناتين. ولكن في أواخر الثمانينات من القرن الماضي تسارعت الأحداث بشكل كبير لتعلن بداية النهاية لذلك النظام القديم. وتوّج ذلك بسقوط الإتحاد السوفيتي، و نهاية حرب الخليج الثانية.

بعد انهيار الإتحاد السوفيتي، وبعد أن نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في قيادة التحالف الدولي لتحرير الكويت، وبعد انتصارها وتفوقها العسكري الواضح، نهض الرئيس الأمريكي آنذاك (جورج بوش) ليعلن للعالم ولادة نظام عالمي جديد يتمحور حول قطب واحد هو الولايات المتحدة الأمريكية التي باتت القوة العظمى الوحيدة في العالم التي لا تدانيها قوة أخرى،

ويتكئ على النظام الليبرالي الغربي. وراح الغربيون ـ والأمريكيون بالخصوص ـ يتصورون بوحي من نشوة الإنتصار أنهم ربحوا المستقبل في جيوبهم، وأن النظام الغربي الليبرالي هو الذي سيحكم الدنيا، وأن الدول الليبرالية وخصوصاً أمريكا هي التي ستكون سيدة العالم. وراح البعض من الشعوب الأخرى يشاركونهم هذا التصور انبهاراً بالحضارة الغربية، وخضوعاً للإقتدار الأمريكي. وعادة الناس ما تقف إلى جانب المنتصر انبهاراً بانتصاره.

وبرزت بعض الدراسات تنظّر لهذا التصور. ومن بين أهم تلك الدراسات التي شغلت الباحثين، وأخذت لها حيزاً من الإهتمام الفكري والثقافي في العالم، هي الدراسة التي قدمها الكاتب الأمريكي من أصل ياباني فرانسيس فوكوياما بعنوان (نهاية التاريخ). حيث آمن بأن النموذج الغربي يمثل نهاية التاريخ، وآخر وأفضل ما توصل لـه العالم من إنجاز حضاري، وأنه هو الذي سيسود العالم بعد اليوم بلا منازع. وأن الحضارات والإيديولوجيات الأخرى إما أن تلتحق بركب الغرب وتسير طبقاً لنظامه، أو سوف تبقى في التاريخ[١].

فهذه الدراسة وغيرها من الدراسات الستراتيجية الأخرى تتفق على أن الذي سيلعب باقتدار في الملعب العالمي هو النظام الليبرالي الغربي المقتدر، الذي يمثل أفضل صيغة توصل إليها العالم في تاريخه الطويل كما يدعون، وأن

---

١ ـ نشر فوكوياما ـ وهو أمريكي من أصل ياباني ولد سنة ١٩٥٢م ـ هذه الدراسة في مجلة ناشيونال انترست عام ١٩٨٩، وأعقبها في عام ١٩٩٢ بإصدار كتابه (نهاية التاريخ والرجل الأخير). ومقصوده من نهاية التاريخ نهاية الصراع الإيديولوجي والتدافع الحضاري . وقد طور هذه الدراسة بكتب ودراسات أخرى أصدرها تباعاً.

هذا النموذج الحضاري يمثل ذروة التطور الحضاري، وختام ذلك التطور، حيث لن يوجد هناك بديل ممكن لحضارة أخرى يمكن أن تكون أرقى مما توصلت إليه الحضارة الغربية في الوقت الحاضر· وهذا النمط في التفكير يشبه النظرية الماركسية للتاريخ، وتصورها أن الشيوعية هي المرحلة الأخيرة من تطور التاريخ البشري التي ستعيش للأبد، ولن يقوم بديل لها بعد ذلك· فنظرية نهاية التاريخ لا تبتعد كثيراً عن الطوباوية الشيوعية· ونحن لانريد أن ندخل في تفاصيل نقد هذه النظريات وما تحتوي عليه من أفكار قد تبتعد عن الواقع كثيراً، وما تعانيه من نزعة استعلائية واضحة، وتحيّز كبير لصالح الليبرالية الغربية قد أشّر عليها الكثير من المفكرين والباحثين في هذا المجال، بل حتى من المنظّرين الستراتيجيين الغربيين أنفسهم· فها نحن نستمع لـ (صموئيل هنتغتون) صاحب كتاب (**صدام الحضارات**) يرد على فوكوياما وأتباعه قائلاً بعد ذكره للنظرية التي تقول بأن انهيار الشيوعية السوفيتية يعني نهاية التاريخ والإنتصار العالمي لليبرالية:

«وهذا الزعم يعاني من المغالطة الواحدة البديلة، فالمتجذر في منظور الحرب الباردة أن البديل الوحيد للشيوعية هو الديمقراطية الليبرالية، وأن زوال الأولى يؤدي إلى عالمية الثانية·

من الواضح أن هناك صوراً كثيرة للسلطوية، والقومية، والإتحادية، وشيوعية السوق (كما في الصين)، وهي حية موجودة في عالم اليوم، وعلى نحو أكثر تحديداً هناك البدائل الدينية، التي تقع خارج عالم الإيديولوجيات العلمانية·

في العالم الحديث الدين قوة مركزية، وربما كانت هي القوة الرئيسية التي تعبئ الناس وتدفعهم. ومن فرط الثقة الزائدة أن نتصورأن الغرب قد كسب العالم على طول الزمن لأن الشيوعية السوفيتية قد انهارت، وأن المسلمين والصينيين والهنود وغيرهم سيهرعون لاعتناق الليبرالية الغربية كخيار وحيد»[1].

فهؤلاء كما يرى هنتغتون يملكون معادلة أحادية مفادها أن العالم ليس فيه سوى اثنين إذا سقط أحدهما ارتفع الآخر، على سبيل النقيضين أو الضدين الذين لا ثالث لها، فإذا سقطت الشيوعية انتصرت الرأسمالية وتفردت بالعالم وحكمته أبد الآبدين، بينما هناك بدائل أخرى علمانية ودينية موجودة على الساحة العالمية يمكن أن تكون مؤثرة في مستقبل العالم البعيد وحتى القريب منه. وليس سقوط الإتحاد السوفيتي معناه قوة النظام الغربي، إذ أن النظام الشيوعي سقط لفرط ضعفه ووهنه.

ونحن لا نريد أن ندخل في نقاش طويل مع النظام الليبرالي في أسسه التي يقوم عليها، ومعطياته التي نشهدها، لأن ذلك يستدعي وضع كتاب كامل. إلا أننا سوف نبدي بعض الملاحظات على نزعة الخلود الليبرالي التي تخامر بعض أولئك الهائمين بالحضارة الغربية من خلال البصائر القرآنية، والسنن الإلهية، وسوف نمر مروراً سريعاً على مناقشتها من الداخل.

١ـ صموئيل هنتغتون، صدام الحضارات: ١١٠.

ملاحظات حول خلود الليبرالية

إذا أردنا أن ندرس الليبرالية دراسة موضوعية معمقة تبتعد عن روح الإنبهار أو الإحتقار، سوف نجد أنها لا ولن تحقق للعالم ما يصبو إليه من عدالة واستقرار ورفاه. وذلك للمشاكل الكثيرة التي تعاني منها على المستوى الإقتصادي والإجتماعي والسياسي. وهي مشاكل واقعية أشرّ عليها الكثير من الباحثين والدارسين للحضارة الغربية، وحتى من العلماء والباحثين الغربيين أنفسهم.

فعلى المستوى الإقتصادي تعتبر الرأسمالية هي العصا التي تتكئ عليها الليبرالية الغربية. والنظام الرأسمالي غير قادر على تحقيق العدالة الإقتصادية بحال من الأحوال، وذلك لأنه يدعو إلى تمركز رأس المال والثروة بيد ثلة من الأشخاص أو الشركات الرأسمالية الكبرى، واستمتاعها بالرفاه المطلق على حساب طائفة كبيرة من ذوي الدخل المحدود، وحرمان طائفة كبيرة من الناس من الذين لايملكون رأس المال من كثير من الإمتيازات الإقتصادية، وذلك يؤدي بالنتيجة إلى حدوث هوة طبقية كبيرة بين الرأسماليين والطبقات العاملة والمستهلكة، بحيث سوف نجد في المجتمعات الرأسمالية من يتضور من الجوع والحرمان إلى جنب من يختنق من الشبع، وكما قال الإمام علي عليه السلام: «ما جاع فقير إلا بما متع به غني».

صحيح أن النظام الرأسمالي قد يؤدي إلى حركة العجلة الإقتصادية في المجتمع، ويؤدي إلى شيء من الإزدهار الإقتصادي، ولكنه لا يستطيع أن يحقق العدالة الإقتصادية في المجتمع الذي يسود فيه، إذ أن عجلة الإقتصاد هذه سوف تسحق الكثير من المحرومين والطبقات الكادحة. إن الليبرالية

متمثلة في النظام الرأسمالي أضحت معروفة بقدرتها الفائقة على الخلق وبعجزها التام عن العدالة في التوزيع· واقتصاد السوق الذي فرض آباء الليبرالية ومنظروها أنه يشكل عامل توازن في المجتمع أصبح اليوم يشكل أكبر عامل اختلال في الحياة البشرية·

إننا أمام غول متوحش يسمى (الليبرالية) واقتصاد السوق الحر، لا يضبطه أي عامل أخلاقي وقيمي، سوى عامل الربح الشره· والحرية الإقتصادية التي هي من دعاوى الليبراليين تحولت إلى استبداد اقتصادي من قبل أصحاب رؤوس الأموال يسحق الأطراف الأخرى ويسلب منهم فرصة المشاركة·

وعلى المستوى الإجتماعي يؤدى الإفراط في منح الحرية الفردية للمواطنين، والعلمانية بمفهومها السائد ـ الذان هما من أهم طوابع وسمات النظام الليبرالي ـ إلى تفكك النسيج الإجتماعي، وزعزعة بناء الأسرة الثابت، وانتشار الإنحراف والإجرام والإنحطاط الأخلاقي بصورة فضيعة· فما دام النظام الليبرالي يفتح الباب واسعاً أمام حرية الفرد، ويغلق عنه باب الدين والضوابط الأخلاقية، فإن النتيجة سوف لن تكون إلا مزيداً من الإنحطاط والنزول الى مصاف المجتمع الحيواني البهيمي· وما نراه اليوم من انتشار الإجرام حتى في صفوف المدرسة الأولى، والفساد، والتفكك الأسري، والأزمات النفسية، وعمليات الإنتحار·· وما إلى ذلك، ما هو إلا ثمرة خبيثة للنظام الليبرالي الذي ألغى الدين من قاموس الناس، وفتح لهم الحرية على مصراعيها·

إن مفهوم نسبية الأخلاق(Moral Relativism) الذي ساد في المجتمعات الحداثية وما بعد الحداثية سوف يؤدي إلى حالة مريرة من الفوضى الأخلاقية الهدامة التي سوف تحيل المجتمع الإنساني إلى مجتمع بهيمي فوضوي متمرد.

وعلى المستوى السياسي الذي يتمثل في الديمقراطية كأسلوب في الحكم نرى أن الديمقراطية ـ على رغم بعض حسناتها ـ لا تمثل تمام العدالة والمساوة السياسية بين الأفراد، لا أقل في صيغتها الغربية الحالية. فالديمقراطية هي حكم الأكثرية كما يقولون، وكل ما تسنّه الأكثرية هو حكم نافذ على الجميع، وإن لم يكن متلائماً مع رغبات الأقلية واحتياجاتها ومصالحها. والأكثرية إنما تفكر بمصالحها فقط حتى ولو أدت إلى سحق مصالح الأقلية وضياعها، خصوصاً وأن الأكثرية لاتؤمن برب قائم، ولا بدين حاكم. ولهذا يسميها بعض الباحثين باستبداد الأكثرية.

والبعض يقلب المسألة ويسميها استبداد الأقلية التي تملك مواقع القرار والمال والأعمال التي تصل من خلالها إلى الحكم. وهو توصيف واقعي دقيق، فإن الذي يوصل إلى مواقع القرار هو المال والأرصدة الضخمة التي تنفق على الدعاية الإنتخابية، بحيث لا يتسنى للطبقات المحرومة التي لاتملك أي رصيد مالي أن تصل إلى مواقع القرار، لكي تحاول التأثير في صنع القرار بما يتناغم مع مصالحها.

إن الذي يصنع السياسة ويسن القوانين اليوم في الدول الديموقراطية الكبرى هي الشركات الرأسمالية الضخمة التي لا تفكر إلا بتأمين مصالحها، وليس هي التي تؤثر في صنع الحكومة والإتيان بها إلبيت الأبيض أو الإليزيه،

وإنما تؤثر في تشكيلة البرلمان أيضاً، فلو نظرت إلى الكونجرس الأمريكي فكم سترى فيه من المحرومين والفقراء ؟ لا تجد ولا واحداً، وإنما جميع الأعضاء هم من الأثرياء أصحاب الملايين، فكيف يمكن لشعب فيه الكثير من الفقراء أن يمثله هؤلاء الأثرياء، ولا يوجد من يمثلهم من طبقتهم، من الذين يعيشون معاناتهم ويحسون بآلامهم.

إن العملية الإنتخابية أضحت اليوم عملية تجارية إشهارية تعرض فيها البرامج كما تعرض السلع في الأسواق، مدعومة بالضغط والتضليل الإعلامي المنظم، ولا يملك فيها الناخب أن يدلي بصوته بوعي وحرية تامة، بحيث يبدو وضعه لصوته في الصندوق أشبه بعملية مقامرة قد تكون حظوظ الفشل فيها أكبر من حظوظ النجاح، والأخطر أن رهان هذه المقامرة قد يكون مصير الشعب أو مصير العالم أجمع.

ونحن لا نريد أن نغمط الحضارة الغربية حقها ـ من منطلق ولا تبخسوا الناس أشياءهم ـ فإن فيها الكثير من الإيجابيات التي تستحق التمجيد، ولكننا نقول أنها ليست الحضارة المثالية التي ينبغي أن تسود العالم، وليست الحضارة الخالدة التي لا تفنى، إذ لا دليل على خلودها.

ولو درسنا المسألة من ناحية السنن والقوانين الإلهية التي تحكم البشرية من يومها الأول وإلى آخر عمرها ـ وهو ما يهمنا في هذا البحث ـ فسوف نصل إلى هذه النتيجة. فإن لله تعالى في خلقه قوانين وسنن وهي المسماة بـ (السنن التاريخية) أو (السنن الإجتماعية) التي بحثها الكثير من الباحثين وأبدع فيها المفكر الكبير السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره).

فإن الله تعالى لم يخلق الخلق وتركهم سدى، ولا يمكن للبشرية أن تتحرك بمعزل عن إرادة الله تعالى، أو أن تسير بلا هدف، وإنما هناك سنن وقوانين تحكم مسار البشرية من يومها الأول وحتى نهاية العالم. فكما أن الطبيعة تحكمها قوانين فيزيائية وكيميائية ثابته لا تتبدل من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، كذلك المجتمع البشري تحكمه قوانين وسنن تاريخية ثابتة لا تتبدل ولا تتحول ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾[1].

لقد أورد المؤرخ البريطاني المشهور (آرنولد توينبي) في موسوعته الضخمة حول تاريخ العالم ظهور ثم أفول واحد وعشرين حضارة في التاريخ الإنساني، مرت بمراحل النشوء والارتقاء، ثم المراوحة، ثم البدء بالسقوط والإنحلال، وليس من المنطقي أن ذلك النشوء والسقوط لا يقوم على أساس قانون وسنة، ولا يمكن أن يكون محض صدفة أو ضرب من ضروب العبثية اللامنطقية، وإنما كل ذلك يخضع ـ حسب اعتقادنا ـ إلى سنن حتمية وقوانين إلهية عامة وضعها الله للبشرية.

وإذا ما ناقشنا القضية على ضوء تلك السنن الإلهية الحاكمة، فإننا سوف نرى أنها تجعل من الخلود الليبرالي مجرد أضغاث أحلام لا أكثر. وسنشير باختصار إلى أهم تلك السنن:

أولاً: هناك سنة إلهية تاريخية عامة تعرض لها القرآن الكريم كثيراً. وهي أن الأيام لا تبقى على حالها. أو كما يقال: الدهر يومان يوم لك ويوم

١ـ سورة فاطر: ٤٣.

عليك. ولا يمكن لدولة أو حضارة أن تدعي أنها ستظل خالدة أبد الدهر، وتحافظ على قوتها واقتدارها ونضارتها إلى آخر الدنيا. وهذه تجربة تاريخية نلاحظها عند قراءتنا للتاريخ. فقد قامت هناك حكومات ونظم وحضارات وصلت إلى ذروة قوتها واقتدارها ثم ذوت واندثرت وصارت في خبر كان، وأمست نسياً منسياً. فالحضارات كما هو الإنسان لها أجل محدود، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾[1].

كما يولد الإنسان، ثم يبلغ مرحلة الشباب، ثم يصل مرحلة الرجولة، ثم يهرم، ثم يموت، كذلك الحضارات تولد في فترة من الفترات بعد مخاض طويل، ثم تنمو شيئاً فشيئاً حتى تبلغ مرحلة الشباب حيث القوة والنشاط والحيوية، ثم تكتمل قواها وتستقر قدراتها، ثم تهرم، ثم تموت. وكما يموت الإنسان ليولد شخص آخر يأخذ مكانه في الحياة، كذلك الحضارات تموت لتأتي مكانها حضارة أخرى تمر بنفس المراحل التي مرت بها، لتنتهي إلى مثل ما انتهت إليه أختها. وهذه سنة إلهية عامة كما قلنا أشار إليها القرآن أيضاً بقوله: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾[2].

ولهذا يلفتنا القرآن دائماً إلى هذه الحقيقة، ويطلب منا أن لا نغر بحضارة أو بنظام لقوته واقتداره، فإنه سيأتي عليه يوم يكون فيه خبراً من الأخبار. يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ* الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ* وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ* وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ

١ـ سورة الأعراف: ٧٤.

٢ـ سورة آل عمران: ١٤٠.

رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ* إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾[1].

فعندما تصل الحضارات إلى أوج قدرتها، وتصاب بالغرور بقوتها واقتدارها تقترب من أجلها. يقول تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

ثانياً: إننا نعرف من خلال بصائر القرآن الكريم أن كل بناء لم يقم على الإيمان والهدى، ولم يستمد رؤيته من السماء، فمصيره الزوال والاندثار. والبناء الثابت ما كان أساسه التوحيد ورضى الله تبارك وتعالى. يقول عزَّ من قائل: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[3]. فكل نظام لا يستمد رؤيته وقواعده الأساسية من السماء ومن هدي الوحي سوف لن يستمر طويلاً، ولن يستطيع ان يتخلص من المشاكل التي تعترض طريقة. وما دام مستمداً من الأرض ومن بنات أفكار البشر، فلن يستطيع أن يصل إلى الكمال الذي ينشده، وأن يتخلص من نقاط النقص والضعف المختبئة فيه.

فالإنسان مهما بلغ في علمه واكتمال عقله يظل فكره نسبياً ناقصاً نقص الإنسان ذاته واحتياجه. فالإنسان كما هو محتاج في أصل وجوده وحياته إلى الله تعالى (البعد التكويني) كذلك هو محتاج في حياته السياسية والإقتصادية

١ـ سورة الفجر: ٦ـ ١٤.

٢ـ سورة يونس: ٢٤.

٣ـ سورة التوبة: ١٠٩.

والإجتماعية، وما يحكمها من نظم ودساتير الى الله ودينه أيضاً (البعد التشريعي).

والحاجة والفقر في الإنسان تكويناً وتشريعاً تتطلب ارتباطاً بالله تبارك وتعالى حتى يستمر ويتكامل. فالله هو العالم بما يصلح البشرية في جميع أمورها، حيث أنه خالقها وموجدها والقائم عليها دون غيره. وما لم يصل الإنسان حبله بحبل الله تبارك وتعالى، فإنه سوف لن يشعر بالإمن والسعادة في أي جانب من جوانب حياته الخاصة والعامة.

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾[1].

ولا يخفى أن الحضارة الغربية ألغت أي دور للسماء في قوانينها وتشريعاتها، وسعت لإلغاء الدور الغيبي من حياة الناس كما ألغته في أوراق دساتيرها. من هنا نجد القرآن الكريم يخاطب أهل الكتاب قائلاً: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾[2]. فأهل الكتاب ـ الذين يمثلون العالم الليبرالي الآن ـ سيبقون ليسوا على شيء مهما تطوروا وتقدموا ما لم يرجعوا إلى الله تعالى، ويقيموا التوراة والإنجيل، بمعنى أن يحتكموا إليها ويحكموها في واقعهم.

إن الحضارة الغربية التي بدأت مشوارها على أساس إلغاء الدين مع المفكرين التنويريين الذين حاربوا الدين محاربة شعواء لا هوادة فيها، سوف تدفع ثمن ذلك باهظاً، وسوف تعرف أن كلام (نيتشه) ـ وهو أحد فلاسفة

١ـ سورة طه: ١٢٤.

٢ـ المائدة: ٦٨.

عصر التنوير ـ الذي قال فيه أن الله مات، وأن الإنسان الأعلى (السوبرمان) سيحل محله، ما هو إلا وهمٌ سيجر عليها الوبال، فإن الله حي لا يموت، ولا يمكن للإنسان مهما بلغ من العلم والتطور أن يحل محل الله تعالى، وأن تحل شرائعه ومذاهبه الأرضية محل شريعة الله تعالى. ويمكننا أن نذكّر هنا برأي برناردشو، وتوينبي، الذي يقول أن الحضارة تسقط في اللحظة التي تكون فيها قوة الإنسان أشد من قوة الدين.

ثالثاً: ونعلم أيضاً من خلال متابعتنا لآيات الذكر الحكيم أن كل حضارة تزول تتعرض إلى حالة من الإنحطاط الروحي والمسخ الأخلاقي، كما تعرضت له الحضارات والأمم الغابرة قبل دمارها. يقول تعالى: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** ﴾[1]. فعلامة زوال الحضارة تحكم المترفين (الرأسماليين الكبار) فيها، وإشاعة الفسق والفجور في أرجاءها.

فالمسخ الأخلاقي نذير شوم ينذر أهله بالزوال والإندثار. وعلامة قرب الأمم من الهلاك فسقها وفجورها، واستهانتها بقيم السماء وتعاليم الأنبياء.

والحضارة الغربية بكل ما توصلت إليه من تطور علمي وتكنولوجي هائل، ما راعت الجوانب الروحية في الإنسان، وألغت الدين من حسابها، وقطعت صلتها بالله تبارك وتعالى، وراحت تعيش حالة من الإنحطاط الروحي والأخلاقي لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية. وهذه هي بذرة فناءها التي ستقضي عليها يوماً ما قد لا يكون بعيداً.

١ـ سورة الإسراء: ١٦.

وهذا ما التفت إليه الكثير من الباحثين الغربيين، ودقّوا لأجله أجراس الخطر، وطلبوا من الدول والمؤسسات والأفراد تداركه قبل فوات الأوان. ولا مجال هنا لنقل كلماتهم وتحذيراتهم المتتابعة، ولا أظن أنها خافية على القارئ الكريم. ولكنك عندما تقرأها تدرك خطورة المسار الذي تسلكه الحضارة الغربية، ونهايته التي ستكون مروعة.

رابعاً: من خلال الروايات الشريفة التي لدينا نعلم بأن كل الأطروحات الأرضية، وكل الدول التي تريد قيادة العالم سوف تفشل في مهمتها، ولن تستطيع أن تثبت نجاحها المطلق في عصر ما قبل الظهور. حتى إذا ما فشلت جميع النظريات والنظم في تحقيق العدل والسلام والسعادة للناس، أدركوا ذلك وأيقنوا بأنهم لا مفر لهم ولا ملجأ إلا إلى الله ودينه ووليه.

ويقوى في نفسي أن من دواعي غيبة الإمام المهدي عليه السلام أن الله تعالى أراد أن يعطي البشرية فرصة طويلة لكي تعتمد على نفسها وإمكاناتها، وأن تجرب كل النظم والمذاهب التي تخترعها لحكم حياتها، حتى إذا ما جرّبت جميع المذاهب والإيديولوجيات الأرضية ولم تحقق لها سعادتها وكمالها، أدركت نقصها، وتبين لها بما لا شك فيه أنها لا يمكن أن تتكامل بعيداً عن الله تعالى، فتفيئ إلى أمر الله، وتدير وجهها صوب المهدي عليه السلام.

وإلى ذلك يشير الحديث الذي ينقله الشيخ الطوسي عن أبي جعفر عليه السلام: «دولتنا آخر الدول، ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزَّ وجلَّ والعاقبة للمتقين»[1].

١ـ الغيبة، الشيخ الطوسي : ٤٧٣.

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «ما يكون هذا الأمر ـ يعني دولة الإمام المهدي عليه السلام ـ حتى لا يبقى صنف من الناس إلا وقد ولوا على الناس ـ يعني حكموهم ـ حتى لا يقول قائل: إنا لو ولينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحق والعدل»[1].

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن ابن عمير، عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

لكل أنـاس دولة يرقبـونها ودولتنا في آخر الدهر تظهر

فإننا نفهم من هذه الأحاديث الشريفة أن دولة الحق تأتي بعد فشل كل الأطروحات الأرضية، وبعد أن يجرب كل تيار ومذهب حظه في قيادة العالم فيفشلون جميعاً، عندها يحين الوعد الصدق، وتتحق دولة الحق.

والحضارة الغربية وإن انتصرت في صراعها أو في حربها الباردة على المعسكر الشرقي، إلا إن ذلك لا يعني بالضرورة قوة الحضارة الغربية وكمالها كما أشار لذلك هنتغتون فيما سبق. فقد يكون السبب في ذلك ـ ولا شك ـ هو الضعف الذاتي للنظام الماركسي. فانتصارها لم يكن بالكامل لقوتها، بل لضعف النظام الشيوعي المتداعي. وعندما تدخل إلى حلبة المصارعة وتنتصر على نظيرك، لا يكون ذلك مدعاة للفخر كثيراً إذا كان صاحبك لا يتحمل نفخة ريح.

وعلى كل حال فقد انتصرت الحضارة الغربية على المعسكر الشرقي، وهي تتمتع بإمكانات هائلة، لكنها بالرغم من ذلك ليست خالية من

١ـ الغيبة، النعماني: ٢٧٤.

السلبيات المدمرة التي تعشعش فيها· فالحضارة الغربية متقدمة من ناحية التطور المادي، والتقدم التكنولوجي، ولكنها متأخرة في جوانب أخرى من أهمها الجوانب الروحية والعلاقات الإجتماعية·

وعلى كل حال فنحن لا نعتقد أن الحضارة الغربية هي التي ستسود العالم، وهي التي تحكمه أبد الآبدين، وإنما على خلاف ذلك نعتقد أن مستقبل العالم هو للإسلام، وعالم المستقبل سيحكمه عباد الله الصالحون، لا الليبرالية الغربية ولا الماركسية ولا غير ذلك· وذلك للوعد الإلهي القاطع الذي وعد الله به عباده الصالحين باستخلافهم على الأرض، وتمكين دينهم لهم· وهذا ما تتميز به الرؤية الإسلامية للمستقبل، فإنها قائمة على أساس الوعد الإلهي الحتمي الذي لابد أن يتحقق، بينما الرؤية الغربية تجاه المستقبل قائمة على أساس التحليلات المحضة، أو على أساس حسابات الواقع المتغيرة·

المستقبل هو للإمام المهدي عليه السلام الذي سوف يقوم آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويقيم دولته الكريمة، ويبني المجتمع العادل والكامل الذي تسوده السعادة وتنعدم فيه كل دواعي الشقاء· وهذا ما أعطانا به الله وعداً قاطعاً·

النظرية الإسلامية للمستقبل

الدين الإسلامي لـه نظرته الخاصة للتاريخ، تنطلق من أساس كون التاريخ البشري تاريخ غائي لا يسبح في الفوضى، وهو محكوم وفق سنن وقوانين إلهية صارمة· فالله تبارك وتعالى خلق الإنسان ليكون خليفته على الأرض، يعمرها ويبنيها على أساس من رضا الله تبارك وتعالى وتعاليمه

السامية ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾. وخلافة الإنسان لله تعالى لا تتم مالم يخلق الإنسان مجتمعاً إنسانياً إلهياً يصطبغ بالصبغة الربانية ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾، مجتمعاً يعيش طبقاً لإرادة الله جل جلاله، التي لا يمكن أن يسعد الإنسان بدونها.

وقد كان الهدف من بعث الأنبياء عليهم السلام وإنزال الكتب عليهم هو إقامة هكذا مجتمع إنساني إسلامي متكامل. وهذه الإرادة الإلهية، وهذه الجهود النبوية الجبارة لابد أن تصل إلى هدفها، وأن يأتي يوم على الأرض تشهد فيه قيام المجتمع (الخليفة). وهذا ما وعدت به كل الكتب السماوية المباركة، ووعد به الأنبياء عليهم السلام.

إن الاسلام يؤمن بنهاية التاريخ، ولكن ليس كما يتصوره فوكوياما وأضرابه، وإنما نهاية كل المذاهب الأرضية التي جعلت البشرية ميداناً لتجاربها السياسية والإقتصادية والإجتماعية، والتي عبثت بأمن واستقرار وسعادة العباد.

ونظرة الإسلام للمستقبل ـ بخلاف المذاهب الأخرى ـ ليست نظرة استيحائية استشرافية قائمة على أساس التكهنات الذاتية أو الآمال الطوباوية، أو منطلقة من معطيات الواقع المتغير، وإنما ترتكز على أساس عقلي ثابت، وإرادة ربانية، ووعد إلهي جازم.

وقد أعطى الله تبارك وتعالى وعوداً كبيرة بقيام مثل هكذا مجمتع في كتابه الكريم (القرآن) وعلى لسان رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله. ونحن نعلم بأنه من غير الممكن أن يخلف الله وعده أبداً، فكل ما وعد الله به

فهو كائن ناجز، وقد وعد بكون المستقبل هو للمؤمنين ولعباد الله الصالحين، فهم الذين سيحكمون الدنيا بقيادة الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام.

وهذا الوعد الإلهي لم يكتب في القرآن فقط، وإنما سطر في كتب الأولين، وبشر به الأنبياء عليهم السلام قبل قرون متمادية من الزمن، وهو وعد يتسق مع الهدف الإلهي من الخلق.

الوعد الإلهي في القرآن الكريم

أشارت الكثير من الآيات القرآنية الكريمة إلى المستقبل وطبيعته ودور المؤمنين فيه. وجاءت الروايات الكثيرة لتفسر لنا آيات متعددة في ظهور وقيام المهدي المنتظر عليه السلام آخر الزمان. وقد ملئت بطون الكتب والتفاسير بتلك النصوص، حتى ألفت فيها مصنفات خاصة.

ونحن سوف نذكر ثلاث آيات فقط تدل دلالة واضحة على الدولة المهدوية المباركة:

١ـ قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[1]. وقد وردت هذه الآية الكريمة بتمامها في سورة الصف، ووردت في سورة الفتح بتفاوت يسير.

هذا الوعد الإلهي بإظهار الإسلام على الدين كله وانتصاره على كل الكافرين في الأرض لم يتحقق لا في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله ولا في غيره. إذ ظلت كثير من الأديان قائمة إلى يومنا هذا، ولم يسيطر الاسلام

١ـ سورة التوبة: ٣٣.

على كل الأرض. فلابد أن يأتي يوم يظهر فيه الإسلام على جميع الأديان، ويسيطر على كل أرجاء المعمورة، وقد نطقت الروايات بذلك عندما حددت ذلك اليوم بيوم ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

وأما ما قد يقال في تفسير الآية الكريمة: من أن المراد بظهور الإسلام ظهوره بالحجة والمنطق، وأن الآية الكريمة تتحدث عن خصوصية في ذات الإسلام، وهي كونه ظاهراً بحجته ومنطقه، فغير تام. لأن ذلك خلاف ظاهر الآية الكريمة، إذ أنها ظاهرة بالغلبة المطلقة. بالإضافة إلى أن القرآن الكريم استخدم هذه الكلمة (الظهور) في الغلبة المادية، والإقتدار الظاهري كثيراً[1]. مع أنه لو كان المراد من الظهور الظهور الفكري والعقائدي لما كان هناك حاجة للوعد به في الآية الكريمة، لأنه حاصل منذ بداية الدعوة الإسلامية المباركة. فمذ قام الإسلام قام قوي المنطق، ظاهر الحجة. والوعد ـ كما نعرف ـ يتضمن أمراً مستقبلياً ليس حاصلاً[2]. فالآية ظاهرة في الغلبة المطلقة وهذا لا يكون إلا في ظل دولة عالمية عادلة.

وعندما نرجع إلى التفسير الروائي لهذه الآية الكريمة نرى أنها تتحدث عن ذلك بوضوح. ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«والله ما يجيء تأويلها حتى يخرج القائم المهدي عليه السلام، فإذا خرج لم يبق مشرك إلا كره خروجه، ولا يبقى كافر إلا قتل. حتى ولو كان كافر في بطن صخرة لقالت: يا مؤمن في بطني كافر، فاكسرني واقتله»[3].

١ـ تفسير الأمثل، ناصر مكارم شيرازي: ٦ /١٦.

٢ـ التفسير الكبير، الفخر الرازي: ٦ / ٣٣.

٣ـ ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ٣ / ٢٣٩. وكمال الدين، الشيخ الصدوق: ٦٠٧.

وهكذا روي مثل ذلك في تفسيرها عن الإمام علي عليه السلام[١]، وأبي جعفر عليه السلام[٢].

وروى أهل السنة روايات في تفسيرها تدل على تحقق ذلك في زمان السيد المسيح عليه السلام[٣]. ولا تنافي في الأمر فإن نزوله سوف يصادف ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٤].

فالآية تتحدث عن وعد إلهي للذين آمنوا وعملوا الصالحات بثلاثة أشياء لا تتحقق إلا في ظل دولة عالمية عادلة وهي:

أ ـ استخلافهم في الأرض.

ب ـ تمكين دينهم حتى يكون هو السائد والحاكم في الأرض.

جـ انعدام كل عوامل الخوف والإضطراب.

والظاهر أن هذا الوعد الإلهي لم يتحقق بعد، لأن الظاهر من لفظة الأرض هو تمام الأرض، كما وردت كذلك في آيات أخرى من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾. إلا إذا صرفتها قرينة ما لأرض بخصوصها، وهي مفقودة هنا.

١ـ المحجة، السيد هاشم البحراني: ٨٦.

٢ـ مجمع البيان، الطبرسي: ٥ /٤٥.

٣ـ الدر المنثور: السيوطي: ٣ / ٤١٧.

٤ـ سورة النور: ٥٥.

ولم يتحقق فيما سبق خلافة للمؤمنين على كل الأرض فلابد أن يكون هذا الوعد وعداً مستقبلياً لم يقع. وأما حملها على خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله فتحكّم ليس عليه دليل. «**فالحق أن الآية إن أعطيت حق معناها لم تنطبق إلا على المجتمع الموعود الذي سينعقد بظهور الإمام المهدي عليه السلام**»[1].

وهذا ما أباح به التفسير المأثور الوارد عن أهل البيت عليهم السلام. قال الشيخ الطبرسي رحمه الله: «**والمروي عن أهل البيت عليهم السلام أنها في المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله**»[2].

وروى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قرأ هذه الآية الكريمة: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات... ﴾ فقال: «**هم والله شيعتنا أهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يد رجل منا وهو مهدي هذه الأمة...**»[3].

ومن طريق العامة أيضاً أخرج العلامة النيسابوري في تفسيره، عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ قال مفسراً للغيب: المهدي المنتظر الذي وعد الله به في القرآن بقوله ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعموا الصالحات.... ﴾[4].

٣ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[5].

١ـ تفسير الميزان، الطباطبائي: ١٥ / ١٥٦.

٢ـ مجمع البيان، الطبرسي: ٧ / ٢٦٧.

٣ـ تفسير العياشي، العياشي: ٣ / ١٣٥.

٤ ـ تفسير النيسابوري، بهامش تفسير الطبري: ١ / ٥.

٥ ـ سورة الأنبياء: ١٠٥.

وهذا وعد إلهي آخر كتبه الله عزَّ وجلَّ وقضاه في كتب السالفين منذ القدم بأن يرث العباد الصالحون الأرض وما عليها. فالأرض ظلت لفترات طويلة محكومة من قبل الظالمين والمستبدين إلا في بعض الفترات التي شهد فيها الناس حكومة الصالحين، وهي فترات قليلة جداً وقصيرة نسبة إلى حكم الظالمين. فأغلب أيام الأرض كانت في ظل حكومة الطغاة. وكان المؤمنون والصالحون قلة مستضعفة، يسومهم المستكبرون سوء العذاب، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، ويجرعونهم الأمرّين.

ولكن الأمر سوف لن يستمر طويلاً على هذا النحو، حيث كتب الله عزَّ وجلَّ في الزبور من بعد الذكر ـ والظاهر أن الزبور هو كتاب داود عليه السلام والذكر هو كتاب موسى عليه السلام ـ أن الصالحين المستضعفين سوف يحكمون الأرض في نهاية المطاف، وينهون عصوراً متمادية من حكومة الظالمين واستبدادهم. والظاهر من الأرض أيضاً هي كل المعمورة، وكذلك الظاهر منها هي أرض الحياة الدنيا، لا أرض الآخرة[1].

وقد جاءت الروايات الشريفة لتفسر هذه الآية الكريمة بدولة الإمام المهدي عليه السلام. قال أبو جعفر عليه السلام: «**هم آل محمد صلوات الله عليهم**»[2].

وعنه أيضاً عليه السلام: «**هم أصحاب المهدي آخر الزمان**»[3].

---

١ ـ يوجد رأي يرى أنها أرض الآخرة، وأن الصالحين يرثون الأرض في الآخرة، استنادا إلى قوله تعالى: { **وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين** }. الزمر: ٧٤. ولكن الظاهر من لفظ الأرض عند إطلاقه هذه الأرض المعهودة، إلا أن تدل قرينة أخرى على خلاف ذلك، ولا قرينة هنا كما في الآية الرابعة والسبعين من الزمر.

٢ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٢٤ / ٣٥٩.

٣ـ تأويل الآيات الظاهرة: ٣٢٧.

نكتفي بهذه الآيات التي تدل دلالة واضحة على الوعد الإلهي بقيام دولة عالمية إسلامية ووراثة الصالحين للأرض في آخر الزمان، وقد فسرت بالإمام المهدي عليه السلام في الروايات الشريفة· ومن أراد المزيد فليراجع كتب الحديث والتفسير، وبعض الكتب التي اختصت بذكر الآيات النازلة في الإمام المهدي عليه السلام، مثل كتاب: (**المحجة فيما نزل في القائم الحجة**) للسيد هاشم البحراني وغيره·

الوعد الإلهي في السنة الشريفة

لقد تواترت الأحاديث الشريفة في الإمام المهدي عليه السلام ودولته الكريمة عند السنة والشيعة· وأخرجها محدثو الفريقين في كتبهم ومصنفاتهم عن جمع كبير من الصحابة مثل: أمير المؤمنين علي عليه السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام، والامام الحسن المجتبى عليه السلام، والامام الحسين عليه السلام، وأم سلمة، وعايشة، وعبد الله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وسلمان، وأبى أيوب الانصاري، وأبي علي الهلالي، وجابر بن عبدالله الانصاري، وجابر بن سمرة، و ثوبان، وأبي سعيد الخدري، و عبد الرحمان بن عوف، وأبي سلمى، وأبي هريرة، وأنس بن مالك، وعوف بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وأبي ليلى الانصاري، وعدي بن حاتم، وطلحة بن عبيد الله، وقرة بن أياس المزني، وعبد الله بن الحارث، وأبي أمامة، وعمرو بن العاص، وعمار بن ياسر، وأبي الطفيل، وأويس الثقفي وغيرهم· وأما عن التابعين وتابعي التابعين فحدث ولا حرج·

تواتر أحاديث المهدي عند الجمهور

وقد صرّح بتواترها جمع كثير من علماء السنة فضلاً عن الشيعة، منهم على سبيل المثال ابن أبي الحديد المعتزلي حيث قال: «**قد وقع اتفاق الفرق من المسلمين على أن الدنيا والتكليف لا ينقضي إلا عليه**»[١]. ومنهم الصبان في إسعاف الراغبين حيث قال: «**وقد تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله بخروجه، وأنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عدلاً**»[٢].

ومنهم السيد أحمد بن السيد زيني دحلان مفتي الشافعية في الفتوحات الإسلامية قال: «**والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة، فيها ما هو الصحيح، وفيها ما هو حسن، وفيها ما هو ضعيف وهو الأكثر، ولكنها لكثرتها وكثرة مخرجيها، يقوّي بعضها بعضاً حتى صارت تفيد القطع. لكن المقطوع به أنه لابد من ظهوره، وأنه من ولد فاطمة، وأنه يملأ الأرض عدلاً**»[٣].

ومنهم الشوكاني في عون المعبود قال: «**إن الأحاديث الواردة في المهدي متواترة، والأحاديث الواردة في الدجال متواترة، والأحاديث الواردة في نزول عيسى متواترة**»[٤].

ومنهم القرطبي في تفسيره قال: «**الأخبار الصحاح قد تواترت على أن المهدي من عترة الرسول صلى الله عليه وآله**»[٥].

١ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي: ٢/٥٣٥.
٢ـ إسعاف الراغبين، الصبان: ب ٢ ص ١٤٠.
٣ـ الفتوحات الإسلامية، زيني دحلان: ٢/٢١١.
٤ـ عون المعبود، الشوكاني: ١١ / ٤٥٨.
٥ـ تفسير القرطبي: ٨ / ١٢١.

وقال ابن حجر في الصواعق: «قال أبو الحسين الآبري: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وآله بخروجه وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسى فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه»[1]. وغير ذلك من كلمات علماء السنة التي صرحوا فيها بتواتر أخبار المهدي عليه السلام والتي تركناها خوفاً من الإطالة، وأخرجها أكابر أئمتهم، وصنفوا فيها مصنفات خاصة[2]. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ البرهان في علامات مهدي آخر الزمان للعالم الشهير ملا علي المتقي المتوفى س ٩٧٥.

٢ ـ البيان في أخبار صاحب الزمان للعلامة الگنجي الشافعي المتوفى س ٦٥٨.

---

١ ـ الصواعق المحرقة، ابن حجر: ٩٩. وللمزيد في ذلك راجع: منتخب الأثر، الكلبيكاني: ٣٤ـ٣٥. وأما من صرح بتواترها من علماء الشيعة فجمع غفير، وأغلب من تعرض لأخبار المهدي من علماء الشيعة ومحدثيهم صرح بتواترها.
مع ذلك، ورغم كثرة أحاديث الإمام المهدي عليه السلام وصحة الكثير منها وقوة سنده، حاول البعض أن يشكك فيها، وفي تواترها، مستنداً إلى الإختلاف الموجود في متونها، وضعف أسناد بعضها. ولكن ذلك لا يستقيم عند أهل التحقيق، لأن ضعف بعض الأسناد لا يضر بقطعية التواتر، واختلاف ألفاظ الأحاديث ومتونها لا يضر في المتواتر المعنوي، إذ يؤخذ بالقدر المشترك والمضمون المتفق عليه بين الأحاديث مما يعلم أو يقطع بصدوره. مع أننا نقول أن بعض أحاديث المهدي عليه السلام هي من المتواترات اللفظية التفصيلية. وبعضها من المتواترات الإجمالية التي أيضاً لا عبرة باختلاف ألفاظها بعد القطع بصدور واحد منها.

٢ ـ قد ذكر بعض المؤلفين (روزكار رهايي: ١/ ١٦) أكثر من ألف كتاب ألف في المهدي عليه السلام من الفريقين، وهناك ما يقارب خمسين كتاباً ألفه أبناء السنة في الإمام المهدي عليه السلام. راجع كتاب (الإمام المهدي عليه السلام) لعلي محمد علي دخيل ص ٢٦٠. وقد زاد العدد كثيراً الآن.

٣ ـ عقد الدرر في أخبار الامام المنتظر لجمال الدين يوسف الدمشقي من أعلام القرن السابع.

٤ ـ مناقب المهدي عليه السلام لابي نعيم الاصبهاني المتوفى س ٤٣٠.

٥ ـ القول المختصر في علامات المهدي المنتظر لابن حجر المتوفى س ٩٧٤.

٦ ـ العرف الوردي في أخبار المهدي للسيوطي المتوفى س ٩١١.

٧ ـ مهدي آل الرسول لعلي بن سلطان محمد الهروي الحنفي.

٨ ـ فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر للشيخ مرعي.

٩ ـ المشرب الوردي في مذهب المهدي لعلي القاري.

١٠ ـ فرائد فوائد الفكر في الامام المهدي المنتظر للمقدسي.

١١ ـ منظومة القطر الشهدي في أوصاف المهدي، لشهاب الدين احمد الخليجي الحلواني الشافعي.

١٢ ـ العطر الوردي بشرح القطر الشهدي للبليسي.

١٣ ـ تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان لابن كمال باشا الحنفي المتوفي س ٩٤٠.

١٤ ـ إرشاد المستهدي في بعض الاحاديث والآثار الواردة في شأن الامام المهدي لمحمد علي حسين البكري المدني.

١٥ ـ أحاديث المهدي، وأخبار المهدي لابي بكر ابن خيثمة.

١٦ ـ الاحاديث القاضية بخروج المهدي لمحمد بن إسماعيل الامير اليماني المتوفى س ٧٥١.

١٧ ـ أحوال صاحب الزمان للشيخ سعد الدين الحموي.

١٨ ـ الاربعين (من احاديث المهدي) لابي العلاء الهمداني.

١٩ ـ تحديق النظر في اخبار المهدي المنتظر لمحمد بن عبد العزيز بن مافع.

٢٠ ـ تلخيص البيان في أخبار مهدي آخر الزمان لعلي المتقى.

وغير ذلك من الكتب التي ألفها أبناء العامة في المهدي المنتظر عليه السلام[١].

١ـ وأما الصحاح والمسانيد التي ذكرت أحاديث المهدي عليه السلام فهي كثيرة جداً. فممن أخرج أحاديث المهدي من علماء ومحدثي السنة:

أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، والمتقي في كنز العمال وأبو داود في سننه، وإبن ماجة في سننه، والقندوزي في ينابيع المودة، والحمويني الشافعي في فرائد السمطين، والخوارزمي في المناقب، والحافظ ابن أبي الفوارس في الأربعين، والبغوي في مصابيح السنة، وابن حجر في الصواعق، والسمهودي في جواهر العقدين، والبيهقي في السنن، والسيوطي في الجامع الصغير، والحاكم في المستدرك، والطبراني في المعجم الكبير والاوسط والصغير، والشبلنجي في نور الابصار، والصبان في اسعاف الراغبين، ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السئول، وأبو نعيم الاصبهاني في حلية الاولياء، والثعلبي في تفسيره، ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، والرازي في تفسيره، والجاحظ في البيان والتبيين، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، وابن عساكر في تاريخه، وعلي بن برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية، وأبو عمرو الداني في السنن، والنسائي في السنن، والقرطبي في الفضايل، وابن الجوزي في تاريخه، وابن المنادي في الملاحم، وابن الأثير في أسد الغابة، والمناوي في كنوز الحقائق، وابن حبان في الصحيح، وابن المغازلي في المناقب، والشبراوي في الاتحاف بحب الاشراف، وابن قتيبة في غريب الحديث، والمقري في السنن، والشعراني في التذكرة، والبرزنجي في الإشاعة، وابن عبد البر في الاستيعاب، والهيثمي في مجمع الزوائد ، وأبو يعلى في مسنده، وياقوت الحموي في معجم البلدان، والبيهقي في دلائل النبوة، والذهبي في تلخيص المستدرك، وابن أعثم في الفتوح، والحسكاني في شواهد التنزيل، والآلوسي في روح المعاني، وابن حجر في لسان الميزان، وابن كثير في البداية والنهاية، والنبهاني في الفتح الكبير، والديار بكري في تاريخ الخميس، والمقدسي في البدء والتاريخ، ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة، والخركوشي في شرف النبي، والخطيب في تاريخ بغداد، وغيرها من الكتب والجوامع الأخرى. وللمزيد راجع كتاب لمحات، للشيخ لطف الله الصافي: ص ٧١.

فلا يصغى بعد ذلك لمن حاول رد أحاديث المهدي، أو الطعن بصحتها كابن خلدون ومن حذا حذوه من المتأخرين[١]، بعد أن صححها علماء

---

١ ـ هناك عدة ملاحظات على رأي ابن خلدون الذي يعتبر من أوائل المشككين في أحاديث المهدي عليه السلام:

فأولاً: الرجل مختص بالتاريخ وعلم الإجتماع، وليس من رواد أو نقاد الحديث كما صرح به غير واحد. ولكل من العلمين مجاله الخاص به.

وثانياً: إن ابن خلدون استعرض ثمانية وعشرين حديثاً فقط من أحاديث المهدي وحاول أن يدرسها ويفند أسنادها، وأهمل الكثير، بل الأكثر من أحاديث المهدي ولم يتعرض لها. فكيف يحكم بعدم صحة البقية من خلال الاستقراء الناقص.

وثالثاً: أنه صرح بأنه لا يسلم من تلك الأحاديث إلا القليل فما الذي منعه من أن يأخذ بذلك القليل ـ حسب دعواه ـ إذا كان صحيحاً أو سليماً من النقد.

ورابعاً: يظهر من بعض القرائن أن الذي دعاه لرد أحاديث المهدي هو موقفه من الدولة الفاطمية، ومن الخليفة الفاطمي (عبيد الله بن محمد جد السلاطين الفاطميين) الذي قام ضد الأغالبة (السنة) وتلقب بهذا اللقب وبنى مدينة المهدية. فهو أراد أن يبطل كونه المهدي الموعود، بالإضافة إلى قطع الطريق أمام أدعياء المهدوية الكثر آنذاك، فحاول أن يهدم القضية من الأساس من خلال رد أحاديث المهدي. ويُلمح ذلك من عنوان بحثه حول المهدي، حيث عنونه بالعنوان التالي: (أمر الفاطمي، وما يذهب إليه الناس من شأنه، وكشف الغطاء عن ذلك) .

ثم إن ابن خلدون له مسار آخر في رد أحاديث المهدي عليه السلام ـ غير التضعيف السندي ـ يتعلق بتصوراته وقواعده ونظرياته الإجتماعية التي آمن بها. فنراه يقول في نهاية الفصل الذي عقده لذكر المهدي:

«الحق الذي ينبغي أن يتقرر لديك: أنه لا تتم دعوة من الدين والملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع من يدفعه، حتى يتم أمر الله فيه. وعصبية الفاطميين، بل وقريش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق، ووجد أمم قد استعلت عصبيتهم على عصبية قريش إلا ما بقي بالحجاز في مكة وينبع بالمدينة من الطالبيين، من بني حسن وبني حسين وبني جعفر، وهم منتشرون في تلك البلاد، وغالبون عليها، وهم عصائب بدوية متفرقون في مواطنهم وإماراتهم وآرائهم. فإن صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم، ويؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه، حتى تتم له شوكة وعصبية وافية بإظهار كلمته، وحمل الناس عليها.

وأما على غير هذا الوجه، مثل أن يدعو فاطمي منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الآفاق، من غير عصبية ولا شوكة، إلا مجرد نسبه في أهل البيت، فلا يتم ذلك ولا يمكن».

المسلمين، ونقاد الحديث الذين يعتمد عليهم في هذا الباب، وبعد أن تواترت بها الأحاديث الشريفة.

نعم حاول البعض من منكري المهدوية الطعن بذلك من خلال التركيز على أن الشيخين مسلم والبخاري لم يخرجا أحاديث المهدي عليه السلام. ولكن ذلك ليس صحيحاً كبرى وصغرى.

فأولاً: ليس كل ما لم يذكره البخاري ومسلم هو مختلق وضعيف، فما أكثر الأحاديث التي لم يذكراها وذكرها الآخرون وصححوها، وهما لم يدعيا أنهما أحاطا بجميع الأحاديث الصحيحة وجمعاها في صحيحيهما، بل صرحا بخلاف ذلك. ومن هنا كتبت المستدركات على الصحيحين.

وثانياً: قد أخرج الشيخان (مسلم والبخاري) في صحيحيهما بعض الأحاديث المرتبطة بالمهدي. فقد أخرج مسلم في صحيحه عن جابر وأبي سعيد: «**يكون في آخر الزمان خليفة يحثو المال حثواً ولا يعده عدّاً**»[1].

وأخرج البخاري عن أبي هريرة: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم**»[2].

ولا ندري لماذا لا يمكن ذلك، وهل أن النبي انتصر بقريش التي حاربته وقاطعته أم بقوم آخرين؟! مع العلم أن دعوة الإمام المهدي عليه السلام ليست دعوة قومية أو عشائرية حتى يتم ما فرضه، بل هي دعوة الإسلام الذي أذاب التعصب القومي والقبائلي، بل هي دعوة العدل الذي تطمح إليه البشرية بمختلف فئاتها وانتمائاتها.

وقد رد الكثير من علماء السنة ـ فضلاً عن الشيعة ـ كلامه، وألف البعض في ذلك كتاباً، كالأستاذ أحمد محمد الصديق، حيث ألف رسالة في الرد عليه أسماها (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون) وقد أجاد وأفاد فيها.

١ـ صحيح مسلم: ٢/١٩٣.

٢ـ صحيح البخاري: ٦/٣٥٨، وعن مسلم مثله.

وصحيح أن هاتين الروايتين وغيرهما لم تصرحا باسم المهدي، ولكن الأحاديث الأخرى فسرت هذه الروايات، وحددت مصداقها بالمهدي، والسنة كما هو القران الكريم يفسر بعضها بعضاً.

فإذاً ليست عقيدة الإمام المهدي من مختصات الشيعة، أو من مبتدعاتهم ـ كما يرى البعض ـ بحال من الأحوال[1]. وإنما هي قضية إسلامية أصيلة، آمن بها جميع المسلمين بمختلف انتماءاتهم المذهبية. وقد صرّح بذلك حتى أولئك الذين لديهم موقف سلبي تجاه الشيعة. يقول ابن تيمية:

«إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم. وهذه الأحاديث غلط فيها قومٌ أنكروها»[2].

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز (وهو من مشايخ الوهابية):

«أمر المهدي معلوم، والأحاديث فيه مستفيضة، بل متواترة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها. وهي متواترة تواتراً معنوياً، لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها، وصحابتها، ورواتها، وألفاظها. فهي ـ بحق ـ تدل على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت، وخروجه حق... وقد رأينا أهل العلم أثبتوا أشياء كثيرة بأقل من ذلك.

والحق أن جمهور أهل العلم، بل هو الاتفاق على ثبوت أمر المهدي، وأنه حق، وأنه سيخرج في آخر الزمان. وأما من شذَّ من أهل العلم ـ في هذا

١ـ يلمح بعض الباحثين إلى أن عقيدة المهدي هي من مختصات الشيعة كما يظهر ذلك من أحمد أمين وغيره.

٢ ـ منهاج السنة: ٤/٢١١.

الباب ـ فلا يلتفت إلى كلامه في ذلك»[1].

ويقول ناصر الدين الألباني:

«وخلاصة القول: أن عقيدة خروج المهدي عقيدة ثابتة متواترة عنه صلى الله عليه وآله وسلم، يجب الإيمان بها، لأنها من أمور الغيب، والإيمان بها من صفات المتقين، كما قال تعالى: ﴿ ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ﴾ وإن إنكاره لا يصدر إلا من جاهل أو مكابر»[2].

وإليك بعض ما رواه القوم عن رسول الله صلى الله عليه وآله: فقد روى الإمام أحمد، والترمذي، وأبو داود، وغيرهم، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **«لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»**[3].

وفي مستدرك الصحيحين، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى

---

١ ـ مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الثالث من السنة الأولى، سنة ١٣٨٨هـ نقلناه عن مجلة تراثنا: ٣٢/٣٤.

٢ ـ من مقال في مجلة التمدن الإسلامي الدمشقية ج ٢٧،٢٨ ص ٦٤٢، للسنة ٢٢ نقلناه عن مجلة تراثنا: ٣٢/٣٣. وأود هنا أن أذكر كلمة للأستاذ الدكتور عبد الباقي يقول فيها ما نصه:

«إن المشكلة ليست في حديث أو حديثين، أو راوٍ أو راويين، إنها مجموعة من الأحاديث والأخبار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع على تناقلها مئات الرواة، وأكثر من صاحب كتاب صحيح. لماذا نرد كل هذه الكمية ؟! أكلها فاسدة ؟! لو صح هذا الحكم لانهار الدين ـ والعياذ بالله ـ نتيجة تطرق الشك والظن الفاسد إلى ما عداها من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم إني لا أجد خلافاً حول ظهور المهدي، أو حول حاجة العالم إليه، وإنما الخلاف حول من هو، حسني أو حسيني؟ سيكون في آخر الزمان، أو موجود الآن ؟ خفي وسيظهر ؟ ظهر أو سيظهر ؟ ولا عبرة بالمدعين الكاذبين، فليس لهم اعتبار». الدكتور عبد الباقي، بين يدي الساعة: ١٢٣، نقلاً عن كتاب (أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، الشيخ جعفر السبحاني ص ٤٠٣).

٣ـ رواه ابن ماجه في سننه: ٣ / ٣٤٩، و أحمد بن حنبل في مسنده: ١ / ٥٠٠، ورواه بلفظه في منتخب الأثر: ١٩٢ عن صحيح أبي داود: ٢ / ٢٠٧.

الله عليه وآله قال:

«ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم، لم يسمع بلاء أشد منه· حتى تضيق بهم الأرض الرحبة· يملأ الأرض جوراً وظلماً، حتى لا يجد المؤمن ملجأ يلتجئ إليه من الظلم· فيبعث الله رجلاً من عترتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدخر الأرض من بذرها شيئاً إلا أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئاً إلا صبّه الله عليهم مدراراً· يعيش فيهم سبع سنين، أو ثمان، أو تسع· تتمنى الأحياء الأموات مما صنع الله بأهل الأرض من خيره»[1].

وعنه أيضاً صلى الله عليه وآله: «أبشروا بالمهدي، رجل من قريش من عترتي، يخرج في اختلاف من الناس وزلزال، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويرضى عنه ساكن الأرض والسماء، ويقسم المال صحاحاً بالسوية»[2].

المهدي في أحاديث أهل البيت عليهم السلام

وأما عن طريق الشيعة، فهناك كم هائل من الأحاديث التي تعرضت لموضوع المهدي عليه السلام بتفاصيل أكثر مما في الكتب السنية· ونحن هنا نذكر حديثاً عن كل إمام من الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين تبركاً، وإلا فالأحاديث عنهم أكثر مما تحصى، وسيوافيك الكثير منها في طيات

١ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٥ / ٦٥٩·

٢ـ الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثمي، ج٢، باب ١١·

الفصل الأول: مستقبل العالم بين وراثة الليبراليين ووراثة الصالحين ٦٣

البحث:

عن الحسين عليه السلام، أن أميرالمؤمنين عليه السلام قال لـه: «التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق، المظهر للدين، الباسط للعدل. قال الحسين عليه السلام: يا أمير المؤمنين وإن ذلك لكائن ؟ قال: إي والذي بعث محمداً بالنبوة، واصطفاه على جميع البرية، ولكن بعد غيبة وحيرة فلا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين، الذين أخذ الله عزَّ وجلَّ ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه»[1].

وعن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قال في حديث: «ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم خلفه، فإن الله عزّ وجلَّ يخفي ولادته، ويغيب شخصه، لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الإماء، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة، وذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير»[2].

وعن الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام: «منا اثنا عشر مهدياً، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي، هو الإمام القائم بالحق، يحي الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون»[3].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام، قال لأبي خالد الكابلي: «يا

١ـ كمال الدين، الصدوق ١ / ٣٠٤.

٢ـ كمال الدين، الصدوق: ١/٣١٥.

٣ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥١/ ١٣٣.

كابلي إن أولي الأمر الذين جعلهم الله عزوجل أئمة الناس وأوجب عليهم طاعتهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم الحسن عمي، ثم الحسين أبي، ثم انتهى الأمر إلينا· ثم سكت·

فقلت له: يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أن الأرض لا تخلو من حجة لله تعالى على عباده، فمن الحجة والإمام بعدك ؟·

قال: ابني محمد واسمه في صحف الأولين باقر، يبقر العلم بقراً، هو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه جعفر، واسمه عند أهل السماء الصادق·

قلت: يا سيدي فكيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون ؟

قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسموه الصادق، فإن الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدعي الإمامة اجتراء على الله وكذباً عليه، فهو عند الله (جعفر الكذاب) المفتري على الله تعالى، والمدعي لما ليس له بأهل، المخالف لأبيه والحاسد لأخيه، وذلك الذي يروم كشف ستر الله عزوجل عند غيبة ولي الله·

ثم بكى علي بن الحسين عليه السلام بكاءً شديداً، ثم قال: كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله، والمغيب في حفظ الله، والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه برتبته، وحرصاً منه على قتله إن ظفر به، طمعاً في ميراث أخيه حتى يأخذه بغير حق·

فقال أبو خالد فقلت: يا ابن رسول الله وإن ذلك لكائن ؟ فقال: إي وربي إن ذلك مكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا

بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال أبو خالد فقلت: يا ابن رسول الله ثم يكون ماذا ؟.

قال: **ثم تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده. يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان، فإن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله عزوجل سراً وجهراً»**[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام بعدما أنشده الكميت رحمه الله هذا البيت:

متى يقوم الحق فيكم متى يقـــوم مهديكم الثانـــي

قال عليه السلام: «**سريعاً إنشاء الله سريعاً. يا أبا المستهل إن قائمنا هو التاسع من ولد الحسين عليه السلام، لأن الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر، الثاني عشر هو القائم**».

قال الكميت: قلت: يا سيدي فمن هؤلاء الإثني عشر ؟.

قال: «**أولهم علي بن أبي طالب، وبعده الحسن والحسين، وبعد الحسين علي بن الحسين، وبعده أنا، ثم بعدي هذا ووضع يده على كتف جعفر**».

قلت: فمن بعد هذا ؟.

قال: «**ابنه موسى، وبعد موسى ابنه علي، وبعد علي ابنه محمد، وبعد محد ابنه على، وبعد علي ابنه الحسن وهو أبو القائم الذي يخرج فيملأ الدنيا**

١ـ كمال الدين، الصدوق: ١/٣١٩.

قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً، ويشفي صدور شيعتنا».

قلت: فمتى يخرج ؟.

قال: «لقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال: إنما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلا بغتة»[1].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، سأله السيد الحميري قائلاً: يا ابن رسول الله لقد روي لنا أخبار عن آبائك عليهم السلام في الغيبة وصحة كونها فأخبرني بمن تقع ؟.

فقال عليه السلام: «ستقع بالسادس من ولدي، وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم القائم بالحق، بقية الله في الأرض، وصاحب الزمان. والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه، لم يخرج من الدنيا حتى يظهر، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[2].

وقال الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «أنا القائم بالحق، ولكن القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله عزَّوجلَّ، ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً، هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتد فيها أقوام، ويثبت فيها آخرون. ثم قال عليه السلام: طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبرائة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم، ثم

١ـ الغدير، الأميني: ٢/٢٠٣.

٢ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٧/٣١٧.

طوبى لهم، وهم والله معنا في درجتنا يوم القيامة»[1].

وعن شاعر أهل البيت عليهم السلام دعبل الخزاعي رحمه الله قال: أنشدت مولاي الرضا علي بن موسى عليهما السلام قصيدتي التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفـر العرصـات

فلما انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقـوم على اسم الله والبركات

يميز فينـا كل حـق وباطـل ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا عليه السلام بكاءً شديداً، ثم رفع رأسه إليَّ فقال: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم ؟.

فقلت: لا يا مولاي إلا إني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً.

فقال عليه السلام: **«يا دعبل الامام بعدي إبني محمد، وبعد محمد إبنه علي، وبعد علي إبنه الحسن، وبعد الحسن إبنه الحجة القائم، وهو المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتى يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»**[2].

وعن أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام: **«إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته، ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من**

١ـ كمال الدين، الصدوق: ٢/٣٦١.

٢ـ معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٥/ ١٢٧.

ولدي، والذي بعث محمداً بالنبوة وخصنا بالامامة انه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[١].

وقال الامام أبو الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام: «**الإمام بعدي الحسن إبني، وبعد الحسن إبنه القائم، الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً**»[٢].

وعن الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام: «**أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيه الوقاتون، فكأني أنظر إلى أعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة**»[٣].

هذا غيض من فيض، وما هو إلا نموذج للأحاديث الكثيرة المتظافرة المتواترة التي غصت بها بطون الكتب والمعاجم الشيعية.

وهذه الروايات الشريفة وإن كانت لا تتحدث عن الدولة والحكم. إلا أن المنجزات التي تتحدث عنها لا يمكن أن تقوم بغير دولة وحكومة عادلة. هذا بالإضافة إلى الروايات التي تحدثت عن الملك، أو عن بعض تفاصيله بصراحة. مثلاً: روى حذيفة بن اليمان، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المهدي رجل من ولدي... يملك عشرين سنة**»[٤].

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**ملك القائم منا تسعة**

١ـ كفاية الأثر، القمي: ٢٧٦.

٢ـ كفاية الأثر، القمي: ٢٨٨.

٣ـ الصراط المستقيم، العاملي: ٢/٢٣٢.

٤ـ ينابيع المودة، القندوزي: ٣ / ٢٣٦.

عشر سنة واشهر»[١].

وهكذا جاء في الرواية عن أبي جعفر عليه السلام: «دولتنا آخر الدول ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء وهو قول الله عزَّ وجلَّ والعاقبة للمتقين»[٢]. هذا مضافاً إلى الروايات التي تحدثت عن منجزاته الحكومية من مثل: القضاء، وتوزيع الولاة على الأقطار، والأمور العمرانية التي يقوم بها من حفر الأنهار، أو شق الطرق. وستأتي تفاصيل ذلك في طيات البحث.

أصالة قضية المهدي في الإسلام

وبناء على ما تقدم فعقيدة الإمام المهدي عليه السلام، وخروجه آخر الزمان وإقامته للدولة الكريمة، وأنه من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله هي مسألة أصيلة في الفكر الإسلامي، وعقيدة عامة عند جميع المسلمين على مر العصور، ولم يختص بها الشيعة في زمن من الأزمنة. نعم ربما تكون أكثر فاعلية في المجتمع الشيعي، ولها رونق خاص في أوساطهم أكثر من بقية المسلمين، وذلك أمر آخر.

فكون الشيعة يعتقدون أن المهدي عليه السلام هو أحد أئمتهم المعصومين عليهم السلام، وأنه ولد في القرن الثالث الهجري، ولا يزال حياً غائباً، يعلم بهمومهم، ويرعاهم بلطفه، وينظر إليهم بعين عنايته، وينتفعون بوجوده كما ينتفعون بالشمس إذا حجبها السحاب على حد تعبير الحديث

١ـ علل الشرايع، الشيخ الصدوق: ١ / ١٩٢.

٢ـ الغيبة، الطوسي ٤٧٣.

الشريف.. كل ذلك جعل مسألة الإمام المهدي عليه السلام أكثر حيوية وفاعلية في المجتمع الشيعي، مما جعلهم يرتبطون به وبقضيته أكثر من غيرهم، لأنهم يتعاملون مع أمام حي موجود. وهذا بحد ذاته يمثل امتيازاً كبيراً للمذهب الشيعي لا يوجد عند الآخرين.

أما السنة فلكونهم لا يعتقدون على نحو العموم بالتفاصيل التي يعتقد بها الشيعة بالنسبة إليه، من كونه أحد الأئمة المعصومين، ومن ولادته وحياته كل هذه السنين، ومن كونه يمتلك موقعاً وتاثيراً في الوجود، كل ذلك لم يجعل قضية المهدي عليه السلام تمتلك نفس الحضور الفاعل في ساحتهم كما عند الشيعة[1].

ولكن هذا لايعني أن هذه المسألة من مختصات الشيعة أو من مبتدعاتهم، وإنما هي كما رأينا في الأحاديث المتقدمة مسألة إسلامية أصيلة اتفق عليها المسلمون على مختلف مشاربهم.

وقضية المصلح العالمي ليست قضية تناولتها المصادر الإسلامية فقط،

---

١ ـ مما تجدر الإشارة إليه أن كثيراً من علماء السنة ومحدثيهم اتفقوا مع الشيعة في ولادة الإمام المهدي عليه السلام سنة ٢٥٥ للهجرة، وأنه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وصرحوا بذلك في كتبهم. وقد جمع الشيخ نجم الدين جعفر بن محمد العسكري في كتابه (المهدي الموعود المنتظر) أسماء أربعين عالماً سنياً اعترف بولادة الإمام المهدي عليه السلام. وزاد عليه الشيخ لطف الله الصافي ستة وعشرين عالماً آخر، فبلغ مجموعهم ستة وستين عالماً. منهم على سبيل المثال: محمد بن طلحة الشافعي المتوفي سنة (٦٥٢)، وسبط ابن الجوزي المتوفي سنة(٦٥٤)، ومحمد بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفي سنة (٦٥٨)، وابن خلكان المتوفي سنة (٦١٨)، ومحيي الدين بن عربي المتوفي سنة (٦٣٨)، وابن حجر المتوفي سنة (٩٧٤)، وسليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي المتوفي سنة (١٢٧٠)، وغيرهم من العلماء السنة الذين وافقوا الشيعة الأثني عشرية على ولادة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وإنما ظلت عقيدة المنقذ الذي يقوم في آخر الزمان ويقيم دولة الحق التي تسعد بها البشرية بعد شقائها، وتزول فيها كل عوامل الخوف والظلم، تستأثر باهتمام أبناء البشر على مر العصور، تداولها الناس جيلاً بعد جيل، وتناقلتها الكتب على اختلافها، وبشرّت بها الشرائع على تنوعها.

وعندما نرجع إلى كتب العهدين نرى حضور هذه الفكرة بشكل ملموس فيها. ونشاهد فيها تفاصيل كثيرة تكاد تتطابق مع الكثير من الأحاديث الإسلامية الواردة في هذا المجال[1]. وكذلك ورد ذكر المصلح الكبير الذي يظهر آخر الزمان ويخلص الناس من شقائهم في كتب الهنود والصينيين والإيرانيين القدماء وغيرهم[2].

وقد يرى بعض الباحثين أن ذلك اختلاق من الناس عندما يتعرضون لظروف إجتماعية عصيبة، ويمرون بأزمات حادة، حيث يحاولون الهروب من المشاكل التي تحيط بهم، والتخفيف من ألمهم بانتظار مخلّص يخلّصهم من واقعهم المر.

والحقيقة هذا رأي غير دقيق. صحيح أن الشعور بالمنقذ العالمي والإهتمام به يزداد عندما يتعرض الناس لهزات عنيفة، ولمشاكل عويصة، ولكن هذا لا يدل على خرافة هذا التصور واختلاقه. فإن ذلك أمر مغروس في النفس أولاً، ووعدت به الرسالات السماوية المختلفة ثانياً.

فهناك طموح مغروس في فطرة الإنسان يشده نحو الكمال والسعادة.

---

١ ـ جمعها السيد أسد الله هاشمي في كتابه باللغة الفارسية: ظهور حضرت مهدي أز يدكاه اسلام ومذاهب وملل جهان.

٢ ـ يراجع نفس المصدر.

وهناك باعث فطري يدفعه نحو المزيد من التكامل والتطور المادي والمعنوي. وهذه غريزة من غرائز النوع البشري، ولولاها لما تطور الإنسان على مر التاريخ ووصل إلى ما وصل إليه الآن، ولظل رهين حياته البدائية الأولى.

ولم يجعل الله تبارك وتعالى غريزة في الإنسان إلا وجعل لها ما يكرسها. فلابد يوماً أن يصدق هذا الطموح ويصل الإنسان إلى كماله المنشود، ويتحقق ما كان يأمل به على مر العصور. وهذا من المؤشرات الفطرية الواضحة على اليوم الموعود، ودولة آخر الزمان، وهو الذي ألهم الكثير من الأدباء والفلاسفة إلى الإيمان بقيام مجتمع انساني مثالي تنعدم فيه كل دواعي الشقاء، وتسوده السعادة والأخاء.

فقد كتب أفلاطون (الجمهورية)، وكتب الفارابي (المدينة الفاضلة)، وكتب بيكون (اتلانتا الجديدة)، ونلمح ذلك عند كامبانلا في كتابه (مدينة الشمس) الذي يتطلع فيه إلى المدينة الهادئة الهانئة، التي لا تعرف الظلم ولا الاضطهاد ولا التفاوت الطبقي الفاحش. وأيضاً عند توماس مور في كتابه (يوتوبيا). وهكذا ألف سنت آغوستين (مدينة الله) على هذا المنوال أيضاً. وهكذا عندما نراجع كلمات الفلاسفة والمفكرين الغربيين نجد فيها لمسات واضحة عن هذا الطموح الإنساني.

يقول برتراند راسل: «إن العالم بانتظار مصلح يوّحد العالم تحت علم واحد، وشعار واحد»[1].

ويقول ألبرت انشتاين: «إن اليوم الذي سيسود العالم كله الصفاء

---

١ ـ أحمد حسين يعقوب: حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر: ٧٤.

والصلح ويكون الناس متحابين ليس ببعيد»[١].

وغير ذلك من كلمات العلماء والفلاسفة والأدباء التي لا مجال لاستقصاءها هنا، وهي تنبئك بوضوح عن تلك الرؤية وذلك الأمل والطموح الإنساني الذي يحمله جميع الناس على اختلاف طبقاتهم. بل إن هذا الشعور الفطري دفع حتى أشد المنكرين للغيب والغيبيات بوجود يوم موعود تتحقق فيه سعادة الإنسان، كما نقرأ ذلك في الفكر الماركسي الإلحادي الذي آمن بالشيوعية كمرحلة أخيرة للتاريخ حيث سيسود الأمن والرفاه والسعادة.

---

١ ـ ن. م.

الفصل الثاني

ضرورة قيام الدولة العالمية
ودور العولمة في ذلك

الفصل الثاني

ضرورة قيام الدولة العالمية
ودور العولمة في ذلك

ضرورة الدولة

كان المجتمع الإنساني في بداياته الأولى يعيش البساطة في علاقاته الإجتماعية والتجارية نتيجة لبدائيته وبساطة عيشه. إلا أنه بمرور الزمان، وباتساع المجتمع الإنساني وتمدده، وتعدد حاجاته، وتعقيد علاقاته، بدا قيام نظام إجتماعي يرتّب علاقات الناس، وينظّم شؤون حياتهم، ويحل المشاكل التي تنتابهم، ضرورة إنسانية لا مفر منها. ونتيجة لهذه الضرورة أخذت بوادر تشكيل الدولة والنظام تبدو شيئاً فشيئاً في المجتمع الإنساني، ومرّت بمراحل عديدة حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم.

فالدولة ضروة لا مناص منها في المجتمع البشري، لأن حياة الناس لا يمكن أن تستقيم بدون دولة تحكمهم وتدير أمورهم وتنظم شؤونهم، وخصوصاً في العالم المعاصر الذي تعقدت فيه الحياة، وتشابكت العلاقات تشابكاً كبيراً.

وقد عرف المجتمع البشري أنماطاً وصيغاً متعددة للنظام والدولة. فبدأت

الدولة مشوارها الطويل بالنظام القبلي الذي كان يعتمد على سلطة رئيس القبيلة وصلاحياته المتعددة التي كان يخضع لها الجميع. ثم انتقلت إلى طور الحكومة الدينية والمذهبية التي حكمت بقاعاً كثيرة من العالم في تاريخه الطويل، وبعد ذلك انتقلت الى الطور القومي الذي لا يزال سائدا إلى اليوم، ومن ثم نشأت دول وحكومات بصيغ متعددة.

واليوم نشهد العالم يتجه نحو الدولة العالمية الموحدة، وإلى الإنتماء العالمي بدل الإنتماء القومي والوطني. وهذه نتيجة لابد للبشرية أن تصل إليها حسب الرؤية الإسلامية والتخطيط الإلهي.

فكما أن الناس كانوا أمة واحدة تجمعها أهداف واحدة ومصير واحد، يحكمهم نظام واحد على الفطرة الإلهية الأولى في بداية انطلاقة المجتمعات الإنسانية كما يحدثنا القرآن الكريم: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ... ﴾[1]، ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[2]. فكذلك سوف ترجع الناس أمة واحدة على الفطرة السليمة، يجمعهم النظام والرؤية والمصلحة الواحدة. لكنها أمة تختلف في حياتها عن بساطة الحياة الأولى وسذاجة عيشها وأفكارها وطموحاتها، بل ستعود أمة واحدة متطورة على جميع المستويات.

١ـ سورة البقرة: ٢١٣.

٢ـ سورة يونس: ١٩.

ضرورة قيام الدولة الواحدة

وظهور الدولة العالمية الواحدة ليس مجرد طموح بل هو ضرورة لابد من العمل من أجل إنجازها· فالعالم لن يشهد الهدوء والإستقرار على هذا الكوكب ما لم يصل إلى نظام عالمي ودولة عالمية واحدة، يعيش الجميع تحت ظلها، ويقتسمون ثرواتها، وينعمون بخدماتها سوية كالعائلة الواحدة التي تعيش تحت سقف بيت واحد، تجمعهم بالإضافة إلى العلاقة الإنسانية وحدة العيش ووحدة المصير·

فما دامت الدول متعددة ومتباعدة فسوف لن تصل البشرية إلى ما تصبو إليه· لأن تضارب المصالح، وتباين المناهج، والإختلاف في القوة والضعف، والفقر والغنى، بالإضافة الى نوازع الشر والأحقاد والعصبيات الموروثة هي السبب الوحيد في التنازع والتصارع والتجاوز بين الدول، وهي السبب في إشعال نار الحروب المدمرة التي صبغت تاريخ البشرية بالدماء على مدى التاريخ· ولن تحل هذه المشكلة إلا بقيام نظام عالمي ودولة عالمية واحدة·

فبقيامها ستُجتث كل أسباب وعوامل الصراع والنزاع بين المجتمعات الإنسانية· سوف لن يكون هناك احتلال لأن الإنسان لا يحتل أرضه، ولن يكون هناك سطو على خيرات الشعوب لأن الجميع شعب واحد وأمة واحدة، وسوف لن تكون هناك حروب لأن الخصائص الجغرافيه والقومية وحتى المذهبية سوف تفقد تأثيرها في الدولة الواحدة· الكل يفكر بمصلحة بلده ككل، وبلده هو العالم كله·

ولو أن ما أنفق على الحروب والأزمات المتعددة بين الدول، وما صرف فيها من المال والجهد والوقت، صرف في سبيل إعمار الأرض وبناء المجتمع،

لرأيت أن الكرة الأرضية تختلف عن حالها الراهن اختلافاً كبيراً. ولهذا نجد أن أشهر فلاسفة الغرب ومفكريهم أكدوا على هذا المسألة تأكيداً بالغاً، وجعلوها الطريق الضروري لسعادة العالم.

فالفيزيائى الكبير (البرت إنشتاين) يرى: «**أن تعدد الحكومات سوف يجر العالم إلى الدمار، وأن العالم أمام خيارين، إما أن يبقى على نظام الحكومات القومية الحالي، الذي سيجر إلى دمار العالم، أو يقوم بتشكيل حكومة عالمية واحدة**»[١].

وأما الفيلسوف الإنجليزي المعروف (برتراند راسل) فيقول: «**إن اليوم لا يوجد مشكلة كبيرة أمام قيام دولة عالمية عظيمة. ولأن ما تتركه الحروب المعاصرة من دمار كوني هو أكبر بكثير من السابق، فإما أن نقبل قيام دولة عالمية واحدة، أو نرجع إلى العصور البربرية، ونرضى بدمار البشرية**»[٢].

وهكذا نرى ذلك واضحاً عند البروفيسور الإنجليزي (آرنولد توينبي)، حيث يرى: «**بأن الطريق الوحيد للصلح ونجاة البشر هو قيام دولة عالمية واحدة، والوقوف أمام سباق التسليح النووي**»[٣].

ونلمح ذلك عند الفيلسوف الألماني الشهير (كانت) حيث يقول: «**إن تحقق الأمن والنظم العالمي منوط بوضع قانون عالمي موحد، وهو الأمر الذي نادى به الأنبياء من قديم الأزمان، وعملوا على تحقيقه**»[٤].

١ـ ظهور حضرت مهدي(ع)، أسد الله هاشمي: ٤١٢.

٢ـ ن. م: ٤١٣.

٣ـ ن. م: ٤١٤.

٤ـ ن. م: ٤١٥.

فواضح من خلال كل تلك التصريحات أن قيام دولة عالمية واحدة يحكمها نظام عالمي واحد هو ليس مجرد طموح يتوق له الناس فحسب، وإنما هو ضرورة قصوى لابد أن يعمل الناس على تحقيقها، إن كان يهمهم مصير البشرية على هذا الكوكب الصاخب.

ومما لابد من الإشارة إليه أن هذه الدولة وهذا النظام لابد أن يكون نظاماً إلهياً، مستمداً شريعته وشرعيته من الله تعالى، حتى يتجاوز الأخطاء الكثيرة التي أدت إليها النظم الأرضية، والعقبات التي وقفت أمامها. فقد ذكرنا أن النظم الأرضية البعيدة عن الله وتعاليمة هي نظم ناقصة بحسب طبيعتها لأنها ناتجة من الإنسان الذي يمثل النقص والحاجة، وهي نظم قاصرة عن أن توفر للإنسان سعادته التامة، لأن الكمال والسعادة الإنسانية لا تتحقق إلا بالإرتباط بالله تبارك وتعالى على كل الأصعدة والمستويات. وهذا ما توصل إليه كثير من المفكرين الغربيين، وما سيتوصلون إليه بعد ذلك عندما يرون أنهم لا غنى لهم عن الله ولا ملجأ منه إلا إليه وإلى دينه، إلى الإسلام الذي أتى به نبيه الخاتم محمد صلى الله عليه وآله.

يقول صموئيل هنتغتون في كتابه الشهير (صدام الحضارات):

«لا آدم سميث ولا توماس جفرسون سيفي بالإحتياجات النفسية والعاطفية والأخلاقية للمهاجرين الجدد إلى المدينة، أو الجيل الأول من خريجي المدارس الثانوية، ولا المسيح قد يفي بها وإن كانت فرصته أكبر... على المدى الطويل محمد سينتصر»[1].

١ـ صموئيل هنتغتون، صدام الحضارات: ١٠٨.

وقد تحققت إلى درجة كبيرة أرضية وجود هكذا دولة على مستوى الواقع وعلى مستوى الوعي البشري، من خلال ما أنتجه تيار العولمة والمعلوماتية. ولسنا ندعي بأن البشرية باتت قريبة جداً من إنجاز هذا الطموح، إذ لازالت كثير من العقبات السياسية والثقافية والمذهبية تقف حائلاً دون ذلك، ولكن كل مانراه هو أن البشرية سائرة باتجاه ذلك الهدف الكبير بخطى حثيثة، وسيتم إنجازه انشاء الله تبارك وتعالى ـ وكما وعد ـ على يدي الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

العولمة باختصار

ساهمت العولمة بما أفرزته من تحولات كبرى في الصعيد العالمي على مستوى الإقتصاد والسياسية وتقانة المعلومات بصياغة واقع عالمي جديد يختلف عما سبق تماماً. حيث أضحى العالم الآن قرية كونية واحدة، زالت من بينها الحدود والحواجز الجغرافية، وحتى الثقافية والقومية. وصار العالم شبيهاً بالعائلة الواحدة، وبرز الإنتماء العالمي يظهر على السطح بعد الإنتماء القومي والمحلي.

في أجواء انتهاء الحرب الباردة التي انتهت بسقوط الإتحاد السوفيتي والنظام الثنائي القطبية، وتزامنا مع ولادة النظام العالمي الجديد الإحادي القطبية بقيادة أمريكا، انطلقت في الغرب فكرة العولمة كمفردة من مفردات هذا النظام، أو آلية من آلياته. وهي وإن لم تكن وليدة العقد الأخير من القرن العشرين، إذ أنها نتيجة لسيرورة تاريخية طويلة، ولكنها انطلقت في أواخر

القرن المنصرم بقوة وحرارة في الواقع العالمي. وأخذت لها حيزاً كبيراً من الإهتمام العالمي. فروّج لها السياسيون الغربيون، والشركات العالمية الكبرى، وعكف عليها المختصون، لدراستها، ودراسة أبعادها وإفرازاتها وماهيتها وجذورها، وغير ذلك من الأمور الأخرى التي تتعلق بها. وانقسم الباحثون في الموقف منها إلى فرق عديدة، فما بين مؤيد لها، وبين رافض، وبين متأمل، وبين منتظر للمستقبل..

وتعود لفظة عولمة في أصلها إلى الكلمة الإنجليزية **(Global)**، والتي تعني عالمي أو دولي أو كروي. أما المصطلح الإنجليزي: **(Globalization)**. فمعناه الكوكبة أو الكونية أو العولمة. ولكن كانت الغلبة للعولمة على حساب الكوكبة والكونية لشيوع استخدامها[1].

ولم يصل العلماء والباحثون في هذا الجانب إلى تعريف محدد للعولمة كما يصرح بذلك الكثير من المفكرين، نظراً لتعدد أبعادها وتمظهراتها، ونظراً لتحولاتها الكبيرة السريعة التي تأتي كل يوم بجديد. إلا أن هناك عناصر عامة يمكن لنا من خلال ملاحظتها أن نخرج بتصور إجمالي عن العولمة. فمثلا العامل الإقتصادي الذي يبدو من خلال ملاحظة العولمة، أنها عندما انطلقت كانت تتابع أهدافاً اقتصادية.

فنتيجة لزيادة التعامل التجاري بين البلدان وعلى مستويات متعددة، ولأجل نشوء الشركات الكبرى المتعدية الجنسيات في ظل النظام الرأسمالي، التي لها أهداف ومصالح متعددة في العالم، والتي تبحث عن مصادر الطاقة

١ـ عبد الجليل كاظم، مجلة المستقبل العربي، عدد ٢٧٥، ص ٥٩.

والمواد الخام كما تبحث عن الأسواق العالمية، كان لابد من وجود آلية محددة تمكنها أن تنقل رؤوس أموالها وتبدل أسواقها بحرية تامة· فنشأت هناك شبكة معقدة من العلاقات التجارية والإقتصادية في العالم ربطت العالم بعضه ببعض· ونشأت منظمات ترعى هذه الشبكات والعلاقات العالمية متمثلة بصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية وغيرها· بالإضافة إلى التحالفات الإقتصادية في العالم·

فأصبح العالم مترابطاً إلى درجة كبيرة من الناحية الإقتصادية· بحيث أن كل أزمة تقع في جانب من العالم تتداعى لها أماكن أخرى فيه· خصوصاً إذا كانت في الدول العظمى التي تملك شركات عظمى تتحكم باقتصاد العالم· وهذا يدل على أن الاقتصاد لم يعد بعد اليوم اقتصاداً قومياً، وإنما اقتصاداً عالمياً·

وتهدف العولمة الإقتصادية إلى مزيد من حركة رؤوس الأموال، ورفع الحواجز والقيود المختلفة أمامها· بحيث تكون متعدية الجنسيات أو معدومة الجنسيات لا تحدها حدود قومية أو قطرية أو غيرها· وبالتالي فالعولمة تهدف إلى تقليل سيادة الدولة وتدخلها في الجانب الإقتصادي· فالعولمةالإقتصادية هي:

«عملية سيادة نظام اقتصادي واحد، تنضوي تحته مختلف بلدان العالم في منظومة متشابكة من العلاقات الإقتصادية، تقوم على أساس تبادل الخامات والسلع والمنتجات والأسواق ورؤوس الأموال»[1].

وعلى المستوى السياسي مثلاً يرى الباحثون أن العولمة السياسية تهدف

١ـ م· س·

إلى إلغاء الحدود القومية والجغرافية، وتهديد سيادة الدولة وزعزعة أركانها· فالدولة في عصر العولمة لا تملك الكثير من الخيارات أمام العالم وعوامل التأثير فيه، لا من ناحية اقتصادية ولا ثقافية ولا حتى سياسية· العولمة السياسية تعني: «نقلاً لسلطة الدولة واختصاصاتها إلى مؤسسات عالمية تتولى تسيير العالم وتوجيهه، وهي بذلك تحل محل الدولة وتهيمن عليها»[١]· وإن كان البعض يرى بأن الحديث عن نهاية الدولة القومية وانتهاء السيادة سابق لأوانه[٢]·

وهكذا يمكن أن نلحظ العولمة في الجانب الثقافي وفي سرعة تبادل المعلومات الذي وفرته المعلوماتية الحديثة، والذي أدى إلى مزيد من التقارب الثقافي بين الشعوب وإن بصورة غير متكافئة كما سنشير بعد ذلك·

وهكذا يمكن أن نلمحها في قضايا أخرى لا نريد الخوض في تفاصيلها لأنه ليس من هدفنا الحديث عن العولمة بجميع تفاصيلها·

وعلى كل حال فأكثر ما يميز عالم العولمة الذي هو قيد التشكل أنه عالم بلا حدود، يهدف إلى توحيد العالم وتجاوز الحدود الجغرافية والإقتصادية والثقافية وكذلك السياسية، وفي مرحلة لاحقة إلغاؤها[٣]·

وهناك خلاف بين الباحثين بالنسبة إلى ماهية العولمة فهل هي نظام عالمي، أم مجرد مجال، أم حالة حضارية معينة· فيرى المعلق الأمريكي (توماس فريدمان) مثلاً: «أن العولمة هي نظام عالمي جديد يعيد تشكيل

---

١ ـ عمر، إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك: ٧٤·

٢ ـ أحمد عبد الرحمان، المستقبل العربي عدد ٢٧٨/٣٤·

٣ ـ عبد الخالق عبد الله، المستقبل العربي، عدد٢٧٨/ ٢٤·

الدول والمجتمعات والأفراد والقناعات على جميع المستويات. ويرى أن أحد عناصر العولمة السرعة التي تقاس باللحظة بدلا من الساعة»[١].

أما الكاتب البريطاني (انطوني غيدنز) فيرى أن العولمة: «هي حالة حضارية جديدة، هي حالة ما بعد الحداثة القائمة فعلاً في المجتمعات ما بعد الصناعية. ويرى أنها تخلق عالماً لا يخضع لسيطرة كائن من كان، ولا يعرف من يوجه مساراته ويتحكم في اتجاهاته، وهو مفتوح على كل الإحتمالات، بما فيها أكثر الإحتمالات خطورة في التاريخ»[٢].

أما الباحث البريطاني (رولاند روبرتسون) فيرى: «أنها مجال عالمي جديد، وهذا المجال الجديد الذي تحدثه العولمة وتتحرك فيه هو مجال متداخل ينقل البشرية إلى طور العالم المنكمش، والمجتمع الواحد، وربما الحكومة الواحدة، التي تنضوي تحتها البشرية في أنحاء العالم»[٣].

بين العولمة الغربية والعالمية المهدوية

اتضح مما سبق: إن العولمة انطلقت إلى العالم من البيئة الغربية، وأمريكا بالذات، ونشأت في أحضانها، كآلية مهمة لتوطيد دعائم النظام العالمي الجديد، وتكريس السيطرة الغربية على العالم في مجالاته السياسية والإقتصادية والثقافية، بما تملكه من قدرات فائقة، وإمكانات عظيمة، لا تتوفر في غيرها بنفس المستوى. وهي نظام عالمي، أو حالة حضارية تهدف إلى رفع الحدود

١ـ ن. م: ٥٦.

٢ـ ن. م: ٢٥.

٣ـ ن. م: ٢٧.

والحواجز أمام الشركات الكبرى متعدية الجنسيات، وأمام السيل الدافق للمعلومات، وتقوم بتقليص سيادة الدولة، وتحجيم دورها، وهي تحاول فرض نظام سياسي وثقافي واقتصادي موحد على العالم، هو النظام الليبرالي الرأسمالي الغربي[١].

أما بالنسبة إلى العالمية المهدوية فهي تعني قيام دولة عالمية مركزية واحدة، تطبق فيها شريعة الله التي لا تخص فئة دون فئة، ولا قومية دون أخرى، بل هي للعالمين جميعاً. والعالمية هي من خصائص النظام الإسلامي، وقد أشارت النصوص الإسلامية على مستوى القران الكريم والسنة المطهرة إلى ذلك بصورة واضحة. يقول تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً ﴾[٢].

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾[٣].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾[٤].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٥].

وغير ذلك من الآيات التي أشارت إلى عالمية الرسالة الإسلامية. هذا بالإضافة إلى الآيات والروايات التي أشارت إلى عالمية دولة الإمام المهدي عليه السلام بالذات قبل قرون متمادية وسنشير إليها في محلها إنشاء الله.

---

١ ـ يقول محمد عابد الجابري: «العولمة تفرض طريقاً واحداً وفكراً وحيداً: الليبرالية ولاشيء غير الليبرالية». المستقبل العربي، عدد٢٢٩ ص ١٣٧.

٢ ـ سورة النساء: ٧٩.

٣ ـ سورة الأعراف: ١٥٨.

٤ ـ سورة سبأ: ٢٨.

٥ ـ سورة الأنبياء: ١٠٧.

وما من شك أن العالمية التي يطرحها الاسلام والتي ستطبق في دولة الإمام المهدي عليه السلام تختلف اختلافاً جذرياً عن تيار العولمة في البيئة والمفهوم والأهداف والوسائل· وليس هنا مجال بيان ذلك، ولربما بحثناه في كتاب مستقل إنشاء الله تعالى· فغرضنا هنا هو بيان علاقة العولمة بفكرة الدولة العالمية وتأثيرها فيها·

تأثير العولمة على دولة الإمام المهدي العالمية

لاشك بأن قضية الإمام المهدي عليه السلام تتأثر بالظروف الموضوعية والتحولات العالمية العظيمة بصورة كبيرة· ولاشك أن ما أتت به العولمة من تحولات عظيمة في المسرح العالمي على صعيد الوعي وعلى صعيد الواقع، وما أفرزته من تحديات خطيرة، سوف تترك أثراً كبيراً على قضية الإمام المهدي عليه السلام·

والذي أراه أن تيار العولمة الذي يصوغ عالمانا المعاصر ويؤثر فيه بدرجة كبيرة، و(من إحدى زواياه)[1] ما هو إلا مفردة من مفردات التخطيط الإلهي العام للبشرية وللدولة العالمية للإمام المهدي عليه السلام· إذ أن العولمة

---

١ ـ هذه الزاوية التي نتحدث عنها هي (ظاهرة العالمية) التي برزت من رحم العولمة على الواقع البشري، والتي أدت أدوات العولمة إلى إنجازها وإن بطريقة غير مقصودة· والتي هي في الحقيقة نتيجة السيرورة التاريخية· أما العولمة بما هي إفراز لحضارات أخرى، وبما هي فعل تفوقي استعلائي يدعو إلى أو يفرض تطبيق بعض الأنماط الحضارية في العالم، فهي لا تصب في صالح الدولة العالمية مباشرة، كما سنشير إلى ذلك فيما يأتي من البحث· وبالتالي فنحن نفرق بين العولمة والعالمية·

يقول محمد عابد الجابري: العولمة (Globalisation) إرادة للهيمنة، وبالتالي قمع وإقصاء للخصوصي· أما العالمية (Universalite-Universalisme) فهي طموح إلى الارتفاع بالخصوصية إلى مستوى عالمي· المستقبل العربي، عدد ٢٢٨، ص ١٧·

اختزلت الطريق أمام الدولة العالمية، ومهدت السبل، وهيأت الأرضية اللازمة لقيام دولة عالمية واحدة، تحكم العالم تحت دستور واحد، ورؤية واحدة.

لقد كان الحديث عن حكومة عالمية قبل قرون، بل قبل عقود من اليوم يصنّف في ضمن أحلام اليقظة في نظر الكثيرين. وذلك للمساحة الشاسعة للعالم،وترامي أطراف المناطق المعمورة في الأرض، واختلاف الإيديولوجيات، والتعصب القومي والمذهبي، والآف الحدود المتنوعة التي تفصل بين شعوب العالم، من حدود جغرافية وقومية ودينية وثقافية وسياسية.. مما يجعل من الصعب جداً قيام حكومة واحدة تسيطر على كل هذه المناطق الشاسعة من العالم، وتضم بين هذه المتضادات المتنوعة.

إلا إنه في ظل العولمة أصبح العالم أكثر تقارباً وتشابكاً وانكماشاً من ذي قبل. وزال الكثير من الحدود التي كانت قائمة من ذي قبل، والتي كانت تعزل شعوب العالم عن بعضها. فبفضل التطور الكبير في تقانة المعلومات ووسائل الاتصال أصبح العالم يبدو الآن وكأنه قرية واحدة، وراح العالم يقترب بصورة كبيرة من فكرة (القرية الكونية الواحدة).

في القرى الصغيرة كل شئ يؤثر في كل شئ. أي حدث اقتصادي أو سياسي أو أمني أو إجتماعي، يصل خبره بسرعة إلى الجميع في خلال دقائق أولاً، ويترك أثره على أهل القرية جميعاً ثانياً. كذلك أمسى اليوم عالمنا الكبير، تصل فيه الأخبار باللحظة في ظل التطور الكبير في دنيا الاتصالات المثيرة، ويعيش العالم الحدث بعد وقوعه بدقائق في كل أرجاء الأرض. فكأن الحدث الذي وقع في الولايات المتحدة الأمريكية قد وقع في قرى أفريقيا، والعكس بالعكس. وهكذا أيضاً نرى أن كل حدث سياسي أو اقتصادي أو

أمني يقع في دولة من دول العالم، يترك أثره الكبير على سائر دول العالم، فكيف لو قد وقع ذلك الحدث في دولة واحدة، فإنه يترك أثره على كل تلك الدولة· وذلك نتيجة التداخل الكبير بين العالم بشتى أرجاءه· وهذا ما أنتجته العولمة في الأيام الأخيرة·

وكما لم تعد الحدود الجغرافية تقف حائلاً بين الشعوب وتأثرها ببعضها، كذلك لم تعد الحدود الثقافية والإيديولوجية قادرة على عزل الشعوب وحبسها داخل الإطار المذهبي أو الديني أو الثقافي· فالعالم بات الآن أكثر تواصلاً من ذي قبل، وأكثر تأثراً على الصعيد الحضاري والإيديولوجي· غلواء التعصب الديني والمذهبي والقومي خفتت إلى حد كبير عما كانت عليه قبل اليوم· والصراع الإيديولوجي لم يعد حاراً كما كان، خصوصاً بعد انهيار الإتحاد السوفيتي وسقوط الإيديولوجية الشيوعية· السياسة أصبحت عالمية، والاقتصاد عالمي، والثقافة عالمية، والرياضة عالمية·· كل ذلك من منجزات العولمة على صعيد الواقع·

وعلى صعيد الوعي أيضاً قطعت العولمة أشواطاً غاية في الأهمية في طريق توحيد العالم وضمّه إلى بعض· فالوعي البشري ارتقى من طور القبلي إلى المذهبي إلى الوطني إلى القومي ثم إلى العالمي والكوني[١]· البشرية لم تجعل في حساباتها ـ بصورة عامة ـ مسألة الحكومة العالمية، والدولة الواحدة، والعالم الواحد، قبل اليوم· حيث كان الإطار القومي أو المذهبي أو الوطني، هو الذي يصيغ تصوراتها ويكون حاضراً دائماً في وعيها· بخلاف اليوم حيث برز الكل العالمي واضحاً في وعي الناس·

١ـ عبد الخالق عبد الله، مجلة المستقبل العربي، عدد ٢٧٨ ص٣٢·

إن بروز الإنتماء العالمي، والولاء الإنساني، والوعي الكوني، هو من أهم معالم العولمة السياسية، ومن أكثر الأبعاد عمقاً على المدى البعيد [١].

إن تقلص المسافات.. خلق رؤية سياسية جديدة تتجاوز الرؤية القومية. فالجميع يعلمون أنهم يعيشون على كوكب صغير ما زال ينكمش بصورة مستمرة. لم تعد مسؤولياتهم ولا اهتماماتهم محددة وفقاً لخطوط رسمت بشكل عشوائي عبر العالم. فعلى كوكب صغير جداً لم يعد لهم من خيار، إلا أن يكونوا مواطني العالم كله [٢].

القرية الكونية، النظام العالمي الجديد... هذه كلها كلمات شاعت في التسعينيات، كانت تعكس تطلعاً متفائلاً لفجر القرن المقبل. كل فكرة من هذه الأفكار جلبت إحساساً بأننا سوف ندرك فى النهاية أننا عائلة واحدة [٣].

العالم أضحى اليوم يدرك ضرورة قيام دولة عالمية واحدة، ويرى أنها فكرة تقترب من الواقع كثيراً، وهذا إنجاز مهم في عصر ما قبل الظهور، يمهد الأرضية لقيام هذه الدولة، ويهيئ النفوس والمشاعر لاستقبالها والاقتراب منها، والعمل على إنجازها. وكلما كان العالم مستعداً ومهيئاً لتقبل فكرة الدولة العالمية الواحدة، ومدركاً لضرورة قيامها، ومستعداً للمشاركة في إنجازها، كلما اقترب الناس من اليوم الموعود واقترب اليوم الموعود منهم.

إذن فنحن نعتقد بأن العولمة بما أفرزته من تحولات عالمية كبيرة في

---

١ ـ ن. م.

٢ ـ الباحث في كلية سانت انتوني، اكسفورد ايفان لوارد، نقلا عن مجلة المستقبل العربي عدد ٢٦٠، ص ١٣٥.

٣ ـ اليزابث دودسول، المديرة التنفيذية لبرنامج البيئة في الأمم المتحدة. ن. م.

الوعي والواقع الإنساني، تصب في صالح الدولة العالمية، وتمهد الأمور لها· بشرط أن نستثمر هذه الفرص التي أتاحتها العولمة في صالح القضية المهدوية، وأن نقوم بعولمة القضية المهدوية من خلال العولمة فإن المجال أصبح متاحاً ومتيسراً لذلك·

الأثر السلبي للعولمة

ولكن على رغم الإيجابيات التي يمكن أن تتركها العولمة على قضية الإمام المهدي عليه السلام ودولته المباركة، توجد هناك سلبيات أيضاً يمكن أن يكون لها تأثير سلبي عليها إذا لم نستطع تلافيها وعلاجها علاجاً جذرياً·

ومن أهم السلبيات التي تتركها العولمة على القضية المهدوية تأثيرها الخطير على وعي الناس وثقافتهم بصورة عامة، وعلى القاعدة الشعبية الممهدة للإمام المهدي عليه السلام بصورة خاصة· الممهدون للإمام المهدي عليه السلام أو (الموطئون) كما تسميهم الروايات الشريفة، لهم دور كبير في التمهيد للدولة العالمية، فهم يشكلون المنطلق والمتكأ للحركة المهدوية المباركة· وللعولمة آثار سلبية كثيرة على تشكل هذه القاعدة وقوتها وتماسكها·

فقد قلنا سابقاً إن عالم العولمة هو عالم بلا حدود· وأن الشعوب فقدت كل جدران الحماية لذاتها، وهويتها الحضارية، وخصوصيتها الثقافية· فوسائل الإعلام الجبارة من شبكات الإنترنت والفضائيات وغيرها تخترق اليوم كل الحدود والحواجز· والشركات الإعلامية الضخمة هي بيد الدول الغربية، بحيث تبدو إمكاناتنا الإعلامية في الوقت الحاضر بالنسبة إليها كالقزم إلى جنب

العملاق. وهذه الشركات الكبرى تحاول عولمة الثقافة الغربية، وفرض نموذج ثقافي وقيمي على العالم كله، هو النموذج الغربي والأمريكي بالتحديد[١]. مما حدا بالبعض أن يعبر عن حركة العولمة الحاضرة بـ(الأمركة)[٢].

وذلك لاستئثار الثقافة الأمريكية بمختلف مفصاصلها المتنوعة على الساحة العالمية، نتيجة لما تمتلكه الولايات المتحدة من إمكانيات ضخمة في هذا المضمار، ونتيجة لبعض الخصائص التي تتميز بها الثقافة الأمريكية كالاستهلاكية مثلا، التي تجعلها سهلة الهظم في المجتمعات المتنوعة.

المهم أنه في المجال الثقافي تهدف العولمة إلى فرض الهوية الثقافية الغربية كنموذج حضاري للعالم أجمع، واستلاب هوية الشعوب الأخرى، واستبدالها بهوية أخرى مستوردة، بما يملكه صناع العولمة من آليات ضخمة في وسائل الإعلام[٣].

---

١ ـ يعبر محرر النيويورك تايمز عن الثقافة الأمريكية بأنها (نفاية الثقافات وثقافة النفايات) مجلة المستقبل العربي، عدد ٢٧٥، ص ٦٦.

وقد واجهت الثقافة الأمريكية مجابهة ورفضاً كبيراً حتى من قبل سائر الدول الغربية. لأنها ثقافة منحطة ومبتذلة، وفاسدة ومفسدة، تترك آثارها القاتلة على ثقافة الشعوب، وقيمها، وعلى بناء الأسرة، وتربية الأطفال، والأمن الإجتماعي... وكانت فرنسا وكندا ودول أوربية أخرى في طليعة من أبدوا امتعاضهم من الثقافة الأمريكية، أو الهيمنة الثقافية الأمريكية.

٢ ـ يقول بعض الروائيين الأمريكيين: «إن شركة دزني سوف تفترس العالم كما افترست أمريكا من قبل بدأ بالشباب» مجلة المستقبل العربي، عد٢٦٨، ص ٥٨.

٣ ـ يقول الباحث المغربي عبد الإله بلقزيز في هذا الصدد: «من المهم هنا الإشارة إلى أنها ـ يقصد الثقافة ـ أصبحت سلعة ينطبق عليها من الأحكام والإجراءات ما ينطبق على سواها من السلع المادية. غير أن الأهم هو الإقرار بأن مجال المنافسة في تسويق هذه السلعة بات ضيقاً للغاية. ولا يتسع إلا للقوى التي تمتلك قدرة تقانية أكبر، الأمر الذي يفرض القول بأن التبادل الثقافي العالمي الجاري ـ في ركاب التجارة الحرة ـ تبادل غير متكافئ، ولا يعبر عن أية إمكانية لتحويل العولمة الثقافية إلى تثاقف متوازن بين الثقافات والشعوب والمجتمعات، بل يحتفظ لها بتعريف واحد: الغزو والاختراق». المستقبل العربي، عدد٢٢٩ ص ٩٧ـ٩٨.

يقول الدكتور محمد عابد الجابري عن العولمة أنها: «تتولى القيام بعملية تسطيح الوعي، واختراق الهوية الثقافية للأفراد والأقوام والأمم. ثقافة جديدة لم يشهد لها التاريخ من قبل مثيلاً: ثقافة إشهارية إعلامية سمعية وبصرية، تصنع الذوق الاستهلاكي (الإشهار التجاري)، والرأي السياسي (الدعاية الانتخابية)، وتشيد رؤية خاصة للإنسان والمجتمع والتاريخ. إنها (ثقافة الاختراق)، التي تقدمها العولمة بديلا من الصراع الإيديولوجي»[١].

إذاً: العولمة وإن كانت تتيح تبادل المعلومات بين الشعوب، ولكنها لا تعني التواصل الثقافي بين العالم، بقدر ما تعني الاغتصاب الثقافي، والاستلاب الحضاري، والاحتكار الإعلامي من قبل الدول الكبرى، وأمريكا بالذات تجاه الدول الضعيفة[٢]. فأمريكا تحتكر الإعلام بما أوتيت من إمكانيات هائلة، وتحاول فرض النمط الأمريكي في التفكير والقيم والعادات والثقافة والتصورات على العالم أجمع.

النمط الأمريكي الذي تفرضه الشركات الإعلامية الضخمة سوف يؤدي إلى ثقافة عالمية هي في الضد من ثقافة الدولة العالمية المهدوية، مما سيشكل حاجزاً وفاصلاً كبيراً بين تصورات الناس وقناعاتهم، وبين الرؤية الاسلامية للمستقبل. وكذلك سيساهم في ضياع القاعدة الشعبية للإمام المهدي عليه السلام، وتفسخها، واغترابها عن دينها وقيمها، وفقدانها لهويتها،

---

١ ـ محمد عابد الجابري، مجلة المستقبل العربي، عدد ٢٢٨، ص١٨.

٢ ـ تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ١٧٠٠ جريدة يومية، وآلاف النشرات الأسبوعية، وما يقارب ٩٠٠٠ محطة إذاعية، و١٠٠٠ محطة تلفزيونية، و سبع مراكز إنتاجية رئيسية، و ٢٥٠٠ دار لنشر الكتب. مجلة المستقبل العربي، عدد ٢٦٠، ص٧٥.

وتباعدها عن رسالتها ومسؤليتها تجاه الدولة العالمية، وخصوصاً بالنسبة إلى الجيل الجديد (جيل الستلايت) الذي تشكل وسائل الإعلام الحديثة من الإنترنت والفضائيات وثقافة الصورة قناعاته وتصوراته وقيمه وسلوكه[١].

مما يستدعي من الدول الإسلامية أن تبادر إلى التفكير في إيجاد الحلول اللازمة لذلك، وتوفير الحماية الكافية للشعوب الإسلامية من الغزو الثقافي المحموم، والاستلاب الحضاري القاهر.

ولا ينفع في ذلك حضر الإنترنت والأطباق اللاقطة وما شاكلها، فإن بناء الجدران لا ينفع اليوم في حماية الشعوب، فكلما بنينا جداراً تطاولت عليه وسائل الاتصال المتطورة بشكل مستمر. بل الحل في توفير البدائل الإسلامية اللازمة، وإعادة بناء الذات وتحصينها ضدَّ الاختراق الثقافي الذي تقدّمه العولمة.

والخلاصة : إن الدولة العالمية الواحدة هي ضرورة بشرية بما تمثله من حاجة إنسانية ملحّة ، وهي ضرورة تاريخية بمعنى أن البشرية لابد أن يصلوا إليها في نهاية المطاف . والنصوص الدينية تؤكد هذا المعنى ، كما أن معطيات الواقع تؤكده أيضاً . والعولمة إذا ما نظرنا إليها من زاوية ما تنتجه من تقارب

---

١ ـ يقول الباحث بول سالم مدير المركز اللبناني الدراسات في بيروت: «إن أكثر ما يلفت الانتباه من ظواهر العولمة المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية الأمريكية (popular culture) من الانتشار والسيطرة على أذواق الناس في العالم. فالموسيقى الأمريكية والتلفزيون والسينما، من مايكل جاكسون إلى رامبوا إلى دلاس، أصبحت منتشرة في مختلف أنحاء العالم، كما أن النمط الأمريكي في اللباس والأطعمة السريعة وغيرها من السلع الاستهلاكية انتشرت على نطاق عالمي واسع، بالأخص بين الشباب. إضافة إلى ذلك أخذت اللغة الإنجليزية، وخصوصاً اللهجة الأمريكية تصير لغة عالمية. ن. م، عدد ٢٢٩ ص ٨٦.

وانكماش وتوحد عالمي فإنها تصب في صالح قيام الدولة العالمية الواحدة التي نعتقد أنها ستكون دولة الإمام المهدي عليه السلام ، طبقاً للوعد الإلهي الجازم الذي يتسق مع الهدف الرباني من خلق الإنسان · ولكنها في نفس الوقت تترك آثارا سلبية على الوعي الديني عند الناس ، والإنبعاث الحضاري الإسلامي ، وهي آثار لابد من تلافيها ومواجهتها والتصدي لها بجدية ·

الفصل الثالث

خصائص الدولة العالمية للإمام المهدي عليه السلام

الفصل الثالث

خصائص الدولة العالمية للإمام المهدي (ع)

الدولة كيان إجتماعي قديم. وهي ضرورة من ضرورات الناس. إذ لا يصلح الناس بدون دولة وحكومة تنظم أمورهم، وتدافع عنهم، وتوفر لهم الحماية والأمن، وتقيم العدل بينهم، وتأخذ للمظلوم من الظالم. ولا نريد أن نفلّسف ضرورة وجود الدولة خصوصاً في زماننا الحاضر، إذ أن كل إنسان عاقل يدرك جيداً اليوم أنه لابد من وجود دولة وحكومة تحكم الناس، ولا يستقيم جود الناس بدونها. ولهذا نرى منذ القدم نشأت هناك حكومات متعددة تكريسا لهذه الضرورات.

وقد شهد العالم قديماً وحديثاً وجود أنواع مختلفة من الدول والحكومات. وكل واحدة من هذه الحكومات لها خصائصها ومميزاتها التي تميزها عن غيرها. والحكومة العالمية للإمام المهدي عليه السلام هي حكومة إلهية تطبق دستوراً إلهياً، ويحكمها رجل إلهي معصوم. وهي تشترك مع بعض الدول التي سبقتها ـ خصوصاً الدول الإسلامية ـ ببعض المشتركات، إلا أنها تتميز بخصائص كثيرة تميزها عن بقية الدول التي سبقتها جميعاً. وهذه الخصائص تجعلها تجربة ومثالاً فريداً في التاريخ.

ونحن عندما نتحدث عن هذه الخصائص نتحدث عنها بصفتها الواقعية القائمة، لا بصفتها النظرية فقط· فقد تجد دولة من الدول تؤمن بتطبيق العدل في العالم، ولكنها من ناحية واقعية لم تستطع تنفيذ ذلك· فعلى سبيل المثال: نرى أن (العالمية) هي من الركائز الأساسية في النظرية الإسلامية للحكم، ومنذ أن بعث النبي صلى الله عليه وآله في الجزيرة العربية كان يدعو لذلك· ولكنه وللظروف الموضوعية التي أحاطت به لم يستطع تحقيق ذلك، ولم يستطع أحد غيره أن يحقق ذلك· بينما الإمام المهدي عليه السلام سوف ينجز هذا الهدف الكبير، ويقيم الدولة العالمية التي تحكم كل المعمورة تحت ظل الإسلام· فنحن هنا نتحدث عن خصائص الدولة المهدوية التي لا يشاركها غيرها فيها، في طابعها العام وفي منجزاتها· ومن أهم هذه الخصائص:

١ـ العالمية

من خصائص الدولة العالمية المباركة، أنها دولة عالمية· بمعنى أنها لا تكتفي بالحكم على مساحة معينة من الأرض حتى ولو كانت كبيرة نسبياً، وإنما تبسط نفوذها وسيادتها على جميع المعمورة· وسوف تكون الدولة الوحيدة في العالم التي لا تقوم بإزاءها دولة أخرى، وستنفرد بالحكم في الساحة العالمية، وستزول كل الدول التي كانت قائمة قبلها· وهذا حدث كبير لم يشهد له التاريخ مثيلاً على الإطلاق·

عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ قال: «**إذا قام القائم ذهب دولة الباطل**»[1]·

١ـ منخب الأثر، الصافي: ٥٨٧·

وهذه الخصوصية هي التي تساعد الإمام المهدي عليه السلام في بسط العدل ونشر الهدى في ربوع الأرض. إذ مع تعدد الدول والحكومات سوف تظل عوامل الظلم والجور والخوف قائمة بقيام المصالح المتضادة بين الدول، والتي هي سبب النزاع والخصام والعداء بينها. إذ أن كل دولة تريد أن تستأثر بتلك المصالح على حساب الدول الأخرى. بالإضافة إلى الأنانيات والعصبيات التي يثيرها هذا التعدد والتنوع في الحكومات كما أشرنا سابقاً إلى ذلك.

ويمكن أن نستفيد هذه الخصوصية من كثير من الآيات والروايات التي تحدثت عن موضوع الإمام المهدي عليه السلام. مثل قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[1]. فإن الظاهر منها أن الصالحين سوف يرثون الأرض جميعاً، بناء على أن المراد من ذلك في الحياة الدنيا كما هو الظاهر.

وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾[2]. إذا فسرنا الأرض بكل الأرض كما هو الظاهر أيضاً. وهذه الآيات مفسرة من قبل الأئمة بالإمام المهدي عليه السلام كما مر علينا في الفصل الأول.

وقد أيدت الروايات الشريفة هذا الأمر بصورة مكثفة. جاء في الحديث القدسي: «لأظهرن بهم ـ أي الأئمة الاثني عشر ـ ديني، ولأعلين بهم كلمتي، ولأطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأملكنهم مشارق الأرض ومغاربها»[3].

١ـ سورة الأنبياء: ١٠٥.

٢ـ سورة النور: ٥٥.

٣ـ كمال الدين، الصدوق: ٢٤٤.

وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «القائم منا... يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عزَّ وجل ّبه دينه على الدين كله ولو كره المشركون»[١].

وعنه أيضاً: «المهدي وأصحابه يملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها، ويظهر الدين، ويميت الله عزَّوجلَّ به وبأصحابه البدع والباطل كما أمات السفهة الحق، حتى لا يرى أثر من الظلم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولله عاقبة الأمور»[٢].

وفي حديث جابر بن عبد الله، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن ذا القرنين كان عبداً صالحاً، جعله الله حجة على عباده... إلى أن قال: وأن الله عزَّ وجلَّ سيجري سنته في القائم من ولدي، ويبلغه شرق الأرض وغربها، حتى لا يبقى منهلاً ولا موضعاً من سهل ولا جبل وطأه ذو القرنين إلا وطأه»[٣]. وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله: «يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها»[٤].

وفي حديث الباقر عليه السلام: «يفتح الله له الروم والصين والترك والديلم والسند والهند وكابل شاه والخزر...»[٥].

«وهذا أكبر استيعاب ممكن لمناطق العالم بحسب مستوى الفهم العام للمجتمع حال صدور النصوص. الفهم الذي لم يكن ليساعد على تعداد ما

١ـ ن. م: ٣١٠.

٢ـ منتخب الأثر، الشيخ الصافي: ٥٨٥.

٣ـ تفسير نور الثقلين، الحويزي: ٣ / ٢٩٤.

٤ـ كمال الدين، الصدوق: ٢٦٦.

٥ـ ن. م.

هو أكثر من ذلك. وفي الحقيقة إن هذه المناطق إنما ذكرت لإعطاء الانطباع عن مدى سعة فتح الإمام المهدي عليه السلام ودولته، وسيقت كأمثلة لذلك لا على وجه التعيين»[1].

ويكفينا في التدليل على ذلك الحديث المشهور: (**يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**). فإنه ليس بإمكانه أن يملأ الأرض ـ كل الأرض ـ قسطاً وعدلاً إذا لم تكن خاضعة لنفوذه وحكمه.

أما كيف يستطيع إدارة العالم كله بمناطقه الشاسعة. فالحقيقة إذا ما أخذنا بالروايات التي تقول أن العالم لا يبقى منه إلا ثلث فالأمر سهل كما يقال. ولكن إذا تجاوزنا هذه الأخبار، وقلنا أن العالم سيبقى على ما هو عليه قبل الظهور فأيضاً ليس من الممتنع أن يستطيع الإمام المهدي عليه السلام إدارته هو وأصحاب الألوية الذين سيحكمون الأرض، مع تطور وسائل المواصلات والإتصالات. وقد يكون النظام السياسي الذي سيسود الدولة العالمية شبيهاً بالنظام الفيدرالي الحديث، ويقسّم العالم إلى دويلات أو ولايات مرتبطة بالحكم المركزي للدولة العالمية.

و سيكون الأمر متيسراً إذا ما أخذنا بنظر الإعتبار التطور العلمي الهائل في وسائل النقل ووسائل الاتصال، الذي سيؤدي إلى انكماش العالم، وتحقيق ما يسمى بالقرية الكونية الواحدة. فإن العالم في أجواء العولمة يسير نحو التقارب، وإزالة الحدود بين الشعوب، وربطها بشبكة من العلاقات الإقتصادية والثقافية والسياسية، التي تبدو من خلالها وكأنها دولة واحدة.

١ـ تاريخ ما بعد الظهور، السيد محمد الصدر: ٤٦١.

النظام السياسي في دولة الإمام المهدي عليه السلام

ابتداء يمكننا القول أن الإمام المهدي عليه السلام لا يطبق أحداً من الأنظمة السياسية السابقة للظهور في دولته المترامية الأطراف.

فالمفروض أن الأنظمة السابقة على الظهور، بما فيها الديمقراطية التي يعتبرها أصحابها النموذج الأمثل للحكم في العصر الحديث[١]، سوف يظهر فشلها في حلّ مشاكل الناس، والوصول بهم إلى سعادتهم التامة. فيدرك الناس أنه لا مخلص لهم من تعاسة الحياة إلا الإمام المهدي عليه السلام ودولته الكريمة، وهذا ما سوف يتوصلون إليه في العاجل أو الآجل. وهذا هو الذي تحدثت به الأخبار عن أهل البيت عليهم السلام، وكما جاء في الأخبار: «**دولتنا آخر الدول ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا بمثل سيرة هؤلاء وهو قول الله تعالى والعاقبة للمتقين**»[٢]. مما يعني فشل كل الأنظمة والحكومات السابقة على الظهور في تحقيق السعادة التامة للعالم.

فما دام أن الحكومات المتعددة والشرائع المتنوعة هي صنيعة البشر أنفسهم، ووليدة أفكارهم ـ الناقصة أساساً عن إدراك المصالح والمفاسد الواقعية ـ فهي نظريات وشرائع نسبية قد تصيب الواقع وقد تخطئه بنسب مختلفة. وسوف لن يوجد فيها نظام أو مذهب خالص من الأخطاء والسلبيات. وشريعة الله فقط هي الخالية من النقائص والعيوب، لأنها تنزيل من عليم حكيم.

١ـ ينبغي التنبيه على أن النظام الديمقراطي وإن كان يختلف عن النظام الاسلامي في الرؤية والفلسفة والأسس إلا أن هناك توافقاً معه في بعض التفاصيل والآليات التي لايسعنا تناولها هنا.

٢ـ م. س.

مع ذلك فإن الأنظمة السياسية التي تحكم العالم هي أنظمة بعيدة عن الإسلام وتعاليمه السامية. والإمام المهدي عليه السلام كما نعرف سوف يحكّم الإسلام في دولته الكريمة. والإسلام له نظامه الشامل المختص به، وهو نظام قائم بنفسه، ليس مستمداً من نظام أو قانون آخر. نعم في الأنظمة السياسية السابقة على الظهور بعض الإيجابيات التي تتعلق بالأمور الإدارية والتنظيمية، التي هي وليدة تجربة إنسانية طويلة سوف تفيد منها الدولة العالمية في نظامها السياسي، حيث لا مانع من ذلك.

فإذن: الإمام المهدي عليه السلام سوف يطبق النظام الإسلامي في دولته الكريمة. والصيغة الشرعية للحكومة الإسلامية في عصر الظهور هي صيغة الإمامة المبتنية على النص الإلهي كما نعتقد به نحن الشيعة الإمامية. والمهدي عليه السلام هو أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام المنصوص عليهم.

أما ما يتعلق بالتفاصيل الأخرى، فإنا لا نملك تفاصيل محددة عنها في الروايات والأخبار. غاية الأمر أن بوسعنا أن نتحدث عنها طبقاً للقواعد العامة، وما تقتضيه طبيعة الأحوال. فكل مصلح في التاريخ، حتى من الأنبياء عليهم السلام، لم يأت ليلغي كل ما تقدم قبله من قوانين وأعراف وتنظيمات لأنه سوف يلغي ويصادر جهود بشرية طويلة، وتجربة إنسانية ثرية. ولكنه ينظر إلى ما يخالف تعاليم الشريعة التي جاء بها، وما لا يتفق مع مشروعه الإصلاحي فيقوم بإلغائه، وما اعتراه التشويه والنقصان فيقوم بتقويمه وإتمامه، وما يتفق وأهدافه فيقوم بإقراره. والإمام المهدي عليه السلام غير مستثنى من هذه القاعدة العقلائية. فما ألفه الناس واعتادوا عليه من تنظيمات معينة، وما

توصل إليه العالم من حلول لبعض المشاكل الإدارية والتنظيمية، وغير ذلك من الأمور الأخرى التي لا تتنافى مع المشروع الإصلاحي للدولة العالمية، سوف تجد مكانها كما اعتقد في دولته الكريمة.

وليس بعيداً أن يكون النظام الفيدرالي كما قلنا حاكماً في الدولة العالمية المترامية الأطراف، إذا لم تكن طبيعة العالم حينذاك تتنافى معه. خصوصاً وأننا عند دراستنا للحكم الاسلامي في العصور الأولى نجده شبيهاً إلى حدٍّ كبير بالنظام الفيدرالي، أو نظام الولايات. وهذا ما يمكن لنا أن نلمحه في بعض الأخبار، كما في خبر أصحاب الألوية وحكام الدولة العالمية.

عن المفضل بن عمر، عن الصادق عليه السلام : «**كأني أنظر إلى القائم على منبر الكوفة وحوله أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وهم أصحاب الألوية، وهم حكام الله في أرضه على خلقه**»[1].

وهكذا يمكن أن يبقى النظام الوزاري والإداري على حاله، مع بعض التغييرات التي تقتضيها طبيعة الدولة العالمية. فيكون هناك وزراء ومستشارون ومحافظون ومؤسسات وبلديات... وغير ذلك.

أما بالنسبة للبرلمان فمن الواضح أن الإمام عليه السلام لا يستخدمه بصيغته الغربية المعاصرة لأن ذلك يخالف مبادئ الإسلام. فالبرلمان بصيغته الغربية يملك حق التشريع، ويصبح ما يسنة من قوانين وما يشرّعه من شرائع ملزمة للجميع، بينما الحكم والتشريع في الرؤية الإسلامية هو لله تبارك وتعالى، وما الناس إلا منفذين لحكمه وتشريعه. وهذا هو أحد وجوه اختلاف الديمقراطية مع نظام الحكم في الإسلام. فالحكم والتشريع هو فعل الله

١ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢ / ٣٢٧.

تبارك وتعالى، ولا يكون للأكثرية أَي دور في تشريع حكم أو تغييره، وهذا من الواضحات في الفكر الإسلامي.

غير أنه بالإمكان أن يسمح بتشكيل مجلس يضم ممثلين من قبل الشعب، وظيفته حل مشاكل الناس، والمطالبة بحقوقهم، وسن التنظيمات الإدارية، وبعض القوانين ضمن دائرة الأحكام الإسلامية، وتحت إشراف الإمام عليه السلام. وهذا شئ ضروري في الدولة العالمية الواسعة.

عاصمة الدولة العالمية

من خلال النصوص الكثيرة التي بين أيدينا، يتضح لنا بما ليس فيه مجال للشك أن عاصمة الدولة العالمية المباركة ستكون الكوفة وما يتبعها من مناطق مجاورة.

فالكوفة، والعراق بصورة عامة يمتلك موقعاً ستراتيجياً مهماً في الماضي والحاضر. وهذا ما يوضح لنا تهافت الحركات المختلفة قبل الظهور على السيطرة عليه كما سيمرُّ علينا في حركة الفتح العالمي. وهذه المكانة المهمة للكوفة قد بوأتها لأن تكون منطلقاً لفتح العالم في صدر الإسلام، حيث انطلقت الفتوحات منها، وكانت تمدها بالإمكانات المختلفة من مال وجيش وسلاح. وسيكون لها نفس الدور في عصر الظهور كما سيمرُّ بنا، حيث ستكون منطلق الفتح المهدوي.

وللكوفة بعد ذلك قداسة كبيرة، ورمزية مقدسة في التاريخ. فهي محط رحال الأنبياء عليهم السلام، ومثوى الكثيرين منهم، وما من نبي إلا وقد زارها وصلى في مسجدها، وهي مفتتح حكم الأئمة عليهم السلام.

ومن جميل الصدف ـ وليس بصدفة ـ أن يكون بداية حكم الأئمة المعصومين عليهم السلام في الكوفة وختامه فيها أيضاً. والكوفة وأهل العراق عموماً ما بين البدء والختام قدموا الكثير من أجل الأئمة عليهم السلام، فمن حقهم أن يكافئوا بهذه المكافئة العظيمة. ولنستعرض الآن بعض الروايات التي أشارت إلى ذلك.

يسأل المفضل بن عمر الإمام الصادق عليه السلام: **سيدي فأين تكون دار المهدي عليه السلام، ومجتمع المؤمنين ؟.**

قال: **«دار ملكه الكوفة، ومجلس حكمه جامعها، وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة، وموضع خلواته الذكوات البيض من الغريين»**[1].

وفي خبر آخر عنه عليه السلام: **«كأني أرى نزول القائم في مسجد السهلة بأهله وعياله».** قال: أبو بصير قلت: **يكون منزله ؟.**

قال: **«نعم هو منزل إدريس عليه السلام، وما بعث الله نبياً إلا وقد صلى فيه»**[2].

ولا تنافي بين الخبرين، فربما يكون منزله الأول هو السهلة ثم ينتقل عنه للكوفة، وقد يكون له منزلان فيهما. على أن السهلة سوف تكون تابعة أو داخلة ضمن الكوفة، فإنها لا تبعد عنها إلا قليلاً. وستكون الكوفة والسهلة والنجف كلها منطقة واحدة. بل يظهر من الأخبار أنها سوف تمتد مساحتها لتصل إلى مشارف مدينة كربلاء المقدسة.

١ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٣ / ١١.

٢ـ ن. م: ٥٢ / ٣١٧.

وإذ يتخذ القائم عليه السلام الكوفة عاصمة له، سوف تكون درة التيجان وغرة البلدان، تهوي إليها النفوس، وتطمح إليها الأنظار، ويتسابق إليها المؤمنون. وذلك لأنها بالإضافة إلى أنها العاصمة السياسية للإمام المهدي عليه السلام ستكون العاصمة الروحية كذلك. وذلك لوجوده فيها، وإقامة المراسم الدينية بها من قبله، من صلاة جمعة وجماعة ودعاء واعتكاف... وغير ذلك.

وهكذا ستكون العاصمة الفكرية أيضاً، يشعّ منها العلم والفكر والوعي على بقاع العالم المختلفة. ففي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «كأني أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة قد ضربوا الفساطيط يعلمون الناس القرآن كما أنزل»[1].

ولأجل هذه الأهمية الفائقة التي ستحظى بها الكوفة، ستشهد هجرات كبيرة إليها من المدن الأخرى حتى تضيق بأهلها. وترتفع قيمة الأرض فيها والبيوت السكنية بصورة مذهلة. سأل المفضل أبا عبد الله الصادق عليه السلام: يا مولاي كل المؤمنين يكونون بالكوفة ؟.

قال عليه السلام: «إي والله لا يبقى مؤمن إلا كان بها أو حواليها. وليبلغن مجالة فرس منها ألفي درهم، وليودن أكثر الناس أنه اشترى شبراً من أرض السبع بشبر من ذهب، ولتصيرن الكوفة أربعة وخمسين ميلاً، ولتجاورن قصورها كربلاء»[2].

١ـ ن. م: ٣٦٤.

٢ـ ن. م: ٥٣ / ١١.

ونتيجة لازدياد الأعداد السكانية في الكوفة سوف تحدث مشكلة في صلاة الجمعة، حيث لا يتسع مسجد الكوفة لأعداد المصلين الغفيرة. لهذا يطلبون من الإمام عليه السلام بناء مسجد كبير يسع هذه الجماهير المتعطشة للصلاة خلفه. فيستجيب الإمام عليه السلام لهم ويبني لهم مسجداً كبيراً في النجف الأشرف. جاء عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**فإذا كانت الجمعة الثانية قال الناس: يا بن رسول الله الصلاة خلفك تضاهي الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله، والمسجد لا يسعنا. فيقول: أنا مرتاد لكم. فيخرج إلى الغري، فيخط لهم مسجداً له ألف باب يسع الناس**»[1].

ولن يكتفي الإمام عيه السلام بهذا المسجد، بل سيبني مساجد أخرى في الكوفة. جاء في الحديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**تبنى له ـ أي للمهدي ـ أربع مساجد، مسجد الكوفة أصغرها، وهذا ومسجدان في طرفي الكوفة، من هذا الجانب وهذا الجانب، وأومأ بيده نحو البصريين والغريين**»[2].

وعلى كل حال فنتيجة للبركات المادية والمعنوية الناتجة من وجود الإمام في الكوفة سوف يكون أهلها أسعد الناس به، كما ورد في الروايات.

لغة الدولة العالمية

ليس من الضروري أن تكون لغة الدولة المهدوية المباركة هي اللغة العربية، أو الفارسية، أو الإنجليزية، فإن القوميات سوف تفقد تأثيرها

١ـ ن. م: ٥٢ / ٣٣١.

٢ ـ معجم احاديث الإمام المهدي (ع): ٣ /١١٢.

السياسي في الدولة العالمية. سوف تضم الدولة العالمية في رحمها عناصر متنوعة، وقوميات متعددة. وسوف يذوب التعصب للقوميات فيها كما أذاب الإسلام في قانونه كل القوميات والعناصر المختلفة كعوامل للتعصب ضدَّ الآخرين، وكموازين للإستعلاء والتكبر على الناس. وشدَّ الناس برابطة أقوى من رابطة الدم والعنصر والقومية ألا وهي رابطة الدين والإسلام الذي يمثل مظهراً عظيماً من مظاهر الوحدة الإنسانية. وجعل المقياس في التفاضل بين البشر هو التقوى لا غير: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[1]. وقد أكد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هذا المبدأ بقوله: «**ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى**».

في الدولة العالمية ليس للقوميات امتياز بما هي قوميات. وإنما الإسلام هو الذي يوحد الجميع تحت ظل الأخوة الإيمانية يقول تعالى: ﴿ **إنما المؤمنون أخوة** ﴾[2]. ويدلنا على ذلك مجموعة من الأخبار. منها ما رواه النعماني في الغيبة عن أبي بصير، عن الباقر عليه السلام قال: «**يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، على العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف... ولا يأخذه في الله لومة لائم**»[3]. وموقفه من العرب ليس ناشئاً من عقدة نفسية تجاههم وإنما سوف لن يحابي العرب ـ باعتبارهم ينتمون إلى نفس القومية التي ينتمي إليها ـ لأنه لا تأخذه في الله لومة لائم.

---

١ ـ الحجرات: ١٣.

٢ـ الحجرات: ١٠.

٣ـ الغيبة، النعماني: ١٢٢

وكذلك عندما نطالع روايات الظهور وما بعد الظهور سوف نجد للقوميات الأخرى ـ غير العربية ـ دوراً فاعلاً في دعوة الإمام المهدي عليه السلام. فأصحابه الذين هم عدة أهل بدر وهم عماد دعوته، يكونون من أقطار شتى. يقول الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام متحدثاً عن أصحاب القائم عليه السلام: «**يتوافون من الآفاق ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدّة أهل بدر**»[١]. وهو واضح في أنهم يتوافدون عليه من مختلف البلدان.

وهناك رواية صريحة في أن بعض أركان جيشه هم من أولاد العجم (مطلق غير العرب). فقد أخرج النعماني في الغيبة، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**أصحاب القائم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، من أولاد العجم بعضهم**»[٢].

وأخرج أيضاً بسنده عن الأصبغ ابن نباتة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: «**كأني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلمون الناس القرآن كما أنزل**»[٣].

فإذاً ليس للقوميات دور كبير في دولة الإمام المهدي عليه السلام بما هي قوميات عصبية. وهذا ليس معناه أن تلغى القوميات من الأساس، فلا يكون من أهداف الدولة المهدوية محاربة القوميات وإلغاء الإنتماء القومي للأفراد. وإنما نقصد أنها ـ الدولة العالمية ـ غير قائمة على أساس قومية أو طائفة أو عنصر معين. ويبقى للإفراد أن يحافظوا على انتماءهم لقومياتهم، بما تتضمنه من أعراف وتقاليد لا تتنافى مع الدين، بما في ذلك لغتهم التي نشأوا عليها.

١ـ الغيبة، الطوسي: ٢٨٤

٢ـ الغيبة، النعماني: ١٧٠

٣ـ ن. م.

غير أننا لا نستبعد أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلاد، ويتعامل بها الناس في المؤسسات والدوائر الرسمية، ويدرسها الطلاب كمنهج ثابت في صفوفهم. وذلك لعدة اعتبارات:

إن القائد الأعلى للدولة رجل عربي، وعاصمة الدولة المهدوية عربية، والدستور الأساسي وهو القرآن الكريم دستور عربي. والأحاديث والروايات والأدعية المباركة التي تلعب دوراً أساسياً في تربية المجتمع كلها عربية. فإذا أراد المجتمع المهدوي أن يتعلم الإسلام ويعيه وعياً تاماً، ويتربى عليه، فعليه أن يتوفر على قدر كافي من تعلم اللغة العربية.

وهكذا يمكننا أن نلاحظ ملاحظة أخرى، وهي أن اللغة تمثل مظهراً وحدوياً مهماً يحتاجه المجتمع المهدوي المتنوع والموزع على أصقاع متباعدة من الأرض. ولهذا نرى الإسلام أوجب أن تكون العبادات وكثير من المعاملات باللغة العربية، وذلك يمثل عنصر وحدة كبير.

وأيضاً يمكن لنا أن نبرز ملاحظة واقعية أخرى. وهي اننا نرى كثيراً من الدول التي تضم قوميات ولغات مختلفة تحكمها لغة واحدة. وذلك لتسهيل أمور الناس، وتلافي المشاكل التي قد تنشأ من غياب لغة رسمية واحدة.

على ذلك لا يستبعد أن يتخذ الإمام المهدي عليه السلام لغة معينة، ولا يبعد كونها العربية، لتكون لغة رسمية للبلاد، وتدرس كمنهج ضروري في المدارس والجامعات، ويبقى لكل شعب أن يتكلم باللغة التي نشأ عليها دون أي حرج، وأن تكون له جرائد ومجلات وما شابهها تتكلم بلغته. وهذا تصور تقتضيه طبيعة الأشياء ولا يوجد فيه نص بخصوصه، وإنما ذكرناه لسؤال بعض الناس عنه.

٢ـ نشر الإسلام وتحكيمه في العالم

وهذه من أهم خصائص الدولة العالمية· فالإسلام دين عالمي جاء ليخرج الناس ـ كل الناس ـ من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والظلم إلى نور الإيمان والعدالة· وأراد له الله تبارك وتعالى أن يحكم العالم كله، ليأخذ بيد البشرية إلى مرفأ الأمن وساحل النجاة· لكنَّ الإسلام لم يجد الفرصة الكافية لتحقيق ذلك، وظل الإسلام يحكم في مساحة مكانية محدودة، وإن كانت واسعة نسبياً·

وحتى المجتمعات الإسلامية التي آمنت بالإسلام كدستور إلهي يراد له أن يحكم الواقع الإنساني كله، لم يطبق الإسلام في كثير من أرجائها تطبيقاً كاملاً، خصوصاً في الجوانب السياسية والإقتصادية والثقافية· فكل النظم الحاكمة في هذه الدول نظم غربية مستوردة، إلا بعض الإستثناءات القليلة· ولم يحدث في التاريخ أن دولة نشرت أو حكّمت الإسلام على مستوى العالم كله، وبقي ذلك ميزة من ميزات الدولة العالمية للإمام المهدي عليه السلام· حيث لن يكتفي بنشر الإسلام بين أبناء البشر فقط، وإنما يحكّمه في واقع الناس، فيكون القانون السائد هو قانون الإسلام·

ومما لا شك فيه أن الأديان الإلهية المختلفة تجري من منبع واحد، وتصب في مصب واحد، وتتابع أهدافاً واحدة بعث من أجلها الأنبياء عليهم السلام، ولكنها تختلف في بعض التفاصيل التي تغطي جوانب الحياة المختلفة، وخصوصاً تلك التي ترتبط بالجانب العملي للإنسان· وسبب هذا الاختلاف واضح· فالشرائع السماوية جاءت لتغطي حقباً زمانية وحلقات تاريخية معينة في مسار البشرية· ومن الطبيعي أن كل دورة حضارية تمر بها البشرية لها

مستواها الفكري والسلوكي الخاص· والشرائع في تفاصيلها جاءت لتعالج هذا المستوى الحضاري الخاص· من هنا كانت تنتهي صلاحية تلك الشرائع في قسم من أحكامها وقوانينها بانتهاء تلك المرحلة من حياة البشرية، وعبورها إلى مرحلة أخرى لها حاجاتها وتطلعاتها الجديدة· وذلك يستدعي انبثاق شريعة أخرى تواكب تطورات الحياة الجديدة، وتسد الفراغ الحاصل فيها، وتجيب على الأسئلة المتنوعة التي تطرحها، وتحل المشاكل المتنوعة التي تتمخض عنها· وهذا ما يسمى بمبدأ (النسخ) في الشرائع·

ولما كانت الشريعة الإسلامية هي آخر الشرائع وخاتمتها، وجاءت لتواكب تطور البشرية إلى قيام الساعة، وتستوعب الواقع الإنساني والحضاري كله بما أودع الله فيها من قابلية ومرونة فائقة، فلا شك أنها ستكون الشريعة الحاكمة في دولة الإمام المهدي عليه السلام· وذلك لأنها تمثل الأطروحة الإلهية الكاملة الشاملة التي لا يمكن تطبيق العدل التام إلا بها· ولا يستقيم فرض آخر غير هذا· لأن الإمام المهدي عليه السلام إما أن يأتي بدين جديد، أو يعمل بأحد الأديان السابقة على الإسلام، او يعمل بالإسلام· وكلا الفرضين الأولين غير تام· أما بالنسبة إلى الفرض الأول فلا يصح، لأن الأديان ختمت بالإسلام، وانقطع الوحي بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، والإمام أجل من أن يبتدع ديناً ويدعو الناس إليه·

وأما بالنسبة للفرض الثاني فهو بعيد كسابقه حتى ولو قلنا أنه يعمل بها كما أنزلت لا كما هي محرفة اليوم· وذلك لما ذكرناه قبل قليل من أن الإسلام نسخ الشرائع السابقة عليه، لأن صلاحيتها انتهت ولا تستطيع أن تواكب الزمان، باعتبار أنها جاءت لتغطي فترة زمانية معينة· وليس فيها مزية على

الإسلام تستوجب تقديمها عليه. فمن غير الصحيح أن يترك الإمام المهدي عليه السلام ديناً قوياً قويماً، وشريعة حيةً خالدةً كالإسلام ويرجع إلى شرائع لا تصل إلى مستوى الإسلام أبداً، فلابد أنه يطبق دين جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الإسلام. هذا من ناحية التصور العام.

أما لو رجعنا إلى الأدلة والنصوص الإسلامية فسوف نجد أنها تصب في هذا المنحى الذي ذكرناه. وأول ما يواجهنا في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾[1]. حيث اتفق المفسرون على أنه الإسلام. فهو الدين الذي ارتضاه الله لعباده بقرينة قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾[2]. وقد فسرت تلك الآية الكريمة بدولة الإمام المهدي عليه السلام. وهكذا قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[3]. هذا بالإضافة إلى الآية الكريمة: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[4].

وأما الروايات الشريفة فهي واضحة في هذا الباب. ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام المهدي لا يبقي أرضاً إلا نودي فيها

---

١ ـ النور: ٥٥.

٢ ـ المائدة: ٣.

٣ ـ التوبة: ٣٣.

٤ ـ آل عمران: ٨٥.

شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله»[١].

وفي الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: **«إن الإسلام قد يظهره الله على جميع الأديان عند قيام القائم»**[٢].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن تحدث عن الأئمة عليهم السلام:

«ويأتي على أمتي زمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا يبقى من القرآن إلا رسمه، فحينئذ يأذن الله تبارك وتعالى بالخروج، فيظهر الله به الإسلام ويجدده»[٣].

وعنه أيضاً: **«القائم من ولدي، إسمه إسمي، وكنيته كنيتي، وشمائله شمائلي، وسنته سنتي· يقيم الناس على ملتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربي عزَّ وجلَّ»**[٤]· وغير ذلك من الروايات الكثيرة الأخرى·

إذن: لدينا كثافة روائية تغطي هذا الموضوع، ولا تترك مجالاً للشك بأن الدستور الذي يحكم الدولة العالمية هو الإسلام· إلا أننا نواجه بعض الروايات التي ربما يفاد منها غير ذلك· وهذه الروايات على قسمين: قسم يتحدث عن حضور الأديان الأخرى في الدولة المهدوية المباركة· وقسم يتحدث عن أنه يأتي بكتاب جديد، وسنة جديدة·· وأمثال ذلك·

---

١ ـ منتخب الأثر: ٣٦١·

٢ ـ ن· م: ٣٦٢·

٣ـ ن· م: ١٤١·

٤ـ إعلام الورى، الطبرسي: ٢/٢٢٧·

التعددية الدينية

أما بالنسبة للقسم الأول من الروايات الذي يتحدث عن التعددية الدينية في زمان الإمام المهدي عليه السلام فإننا نواجه اتجاهين متعاكسين في الأخبار. ولنبحث المسألة بطرح هذا السؤال:

هل ستكون هناك تعددية دينية في دولة الإمام المهدي عليه السلام، بحيث نشهد أدياناً ومذاهب أخرى إلى جنب الإسلام، أم لا ؟.

الإسلام فيما لدينا من أدلة عامة لا يعارض أن يعيش الآخرون تحت نظامه بأمان وسلام، في مقابل أن يحترموا النظام العام، ويدفعوا ضريبة مالية معينة تسمى (الجزية)، تأخذها الدولة منهم مقابل ما تقدمه لهم من خدمات: كتوفير الأمن اللازم لهم، وحمايتهم من الأخطار التي تهددهم.. وما إلى ذلك. طبعاً هذا الحكم مختص بالديانات الإلهية التي تقف مع الإسلام على أرض مشتركة ولا يشمل المشركين. وهذا حكم إسلامي واضح لا أريد الخوض في تفاصيله. وبما أن الإمام المهدي عليه السلام إنما يطبق الإسلام، ويستن بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ويعمل بكتاب الله، فالمفروض أن يعمل بهذا الحكم، ويسمح لأهل الكتاب أن يظلوا على دينهم، ويمارسوا شعائرهم بكل كرامة. طبعاً ما لم تخالف النظام العام[١].

وأما بالنسبة للأدلة الخاصة فتوجد لدينا بعض الأخبار التي تؤيد هذه الفكرة فمثلاً:

---

١ ـ السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره يميل إلى هذا الرأي في موسوعته القيمة. لاحظ: (تاريخ ما بعد الظهور ص ٦١٢).

يسأل الإمام الصادق عليه السلام: فما يكون من أهل الذمة عنده ؟. فيقول: «يسالمهم كما سالمهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ويؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون»[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إذا قام قائم أهل البيت عليهم السلام قسم بالسوية... ويستخرج التوراة وسائر كتب الله عزَّ وجلَّ من غار بإنطاكية، ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن»[٢].

وهناك من يفيد من قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[٣]. أن اليهود والنصارى سوف يبقون إلى يوم القيامة بحسب ظاهر الآية الكريمة. يقول صاحب تفسير الأمثل ما نصه:

«هنا يتبادر سؤال إلى الذهن، وهو أن اليهود والنصارى بموجب هذه الآية سيبقون في الدنيا حتى يوم القيامة، وأن أتباع هاتين الديانتين سيبقون أيضاً، مع أن الأخبار الخاصة بظهور الإمام المهدي عليه السلام تبين أنه يخضع جميع الأديان ويحكم العالم كله.

يتضح جواب هذا السؤال بالتدقيق في الأحاديث. فنحن نقرأ في الأحاديث عن المهدي عليه السلام أنه لايبقى بيت في البدو ولا في الحضر إلا

---

١ ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢ / ٣٨١.

٢ـ الغيبة، النعماني: ٢٣٧.

٣ـ سورة آل عمران: ٥٥.

ويدخله التوحيد، أي أن الإسلام سيكون الدين الرسمي في العالم كله، وتكون الحكومة حكومة اسلامية، ولا يحكم العالم سوى القوانين الاسلامية· ولكن هذا لايمنع من وجود أقلية من اليهود والنصارى تعيش تحت ظل حكومة المهدي عليه السلام وفق شروط أهل الذمة·

إننا نعلم أن حكومة المهدي عليه السلام لاتجبر الناس على اعتناق الاسلام، بل تتقدم بالمنطق· أما التوسل بالقوة العسكرية فلبسط العدالة، وللإطاحة بالحكومات الظالمة، ولانضواء العالم تحت لواء الإسلام، لا لإجبار الناس على قبول الإسلام، وإلا فلن يكون هناك أي معنى لحرية الإرادة والاختيار»[١].

وهناك روايات تذهب في الإتجاه المعاكس، وترى بأن الحكم الفاعل في زمن الظهور سوف لن يفرق بين المشركين و أهل الكتاب· فالجميع عليهم أن يؤمنوا بالإسلام أو يقتلوا· روى المجلسي في البحار، عن ابن بكير قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً ﴾· فقال: «أنزلت في القائم عليه السلام إذا خرج باليهود والنصارى والصابئين والزنادقة وأهل الردة والكفار في شرق الأرض وغربها، فعرض عليهم الإسلام، فمن أسلم طوعاً أمره بالصلاة والزكاة، وما يؤمر به المسلم ويجب لله عليه· ومن لم يسلم ضرب عنقه»[٢].

---

١ ـ تفسير الأمثل: ٢ / ٣٨٥· وهذا التفسير لا يرتضيه بعض المفسرين ولديهم في توجيه الآية الكريمة وجوه أخرى والله العالم·

٢ ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢ / ٣٤٠

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله عن نبي الله عيسى عليه السلام: «**فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام**»[١].

وفي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾. يقول عليه السلام: «**إن ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله. فلا يبقى أحد إلا أقرَّ بمحمد صلى الله عليه وآله**»[٢].

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر، مشيراً إلى الآية المتقدمة: «**يا مفضل لو كان ظهر على الدين كله ما كان مجوسية ولا نصرانية ولا يهودية... وإنما قوله ليظهره على الدين كله في هذا اليوم، وهذا المهدي، وهذه الرجعة**»[٣]. ومثله عن ابن عباس[٤].

ويؤيد هذا الإتجاه الآيات التي تحدثت عن إظهار الإسلام على الأديان الأخرى، وتمكينه في الأرض. وهكذا الروايات التي فسرت هذه الآيات، أو جاءت مستقلة وذكرت ظهور الإسلام واكتساحه للعالم، بحيث ما من بقعة إلا وينادى فيها بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. وهذا الإتجاه

---

١ ـ سنن أبي داود: ٤ / ١١٧. بناء على أن المراد من قوله (يضع الجزية) أي يرفع حكمها كما هو الظاهر من سياق الحديث، ويحتمل أيضاً أن يكون مراده بوضع الجزية تطبيقها على أهل الكتاب فيكون من مؤيدات الرأي الأول.

٢ـ المحجة، البحراني: ٨٧.

٣ـ ن. م.

٤ـ ن. م.

مؤيد بروايات كثيرة، لا تقف أمام كثرتها الروايات المعاكسة.

وقد يقال أيضاً: إن لدينا حقاً وباطلاً، وليس هناك تلاقي بينهما، فلابد للحق إذا ما أتيحت له الفرصة أن يزيل الباطل ويجتث جذوره من الوجود. والإسلام هو الحق، وغيره ومن لا يؤمن به فهو على باطل. وأما الحكم الإسلامي العام والذي يسمح بالتعددية الدينية بشروط خاصة، فقد يكون مختصاً بالفترة السابقة على الظهور. فإن لعصر الظهور مميزاته وتخطيطه الخاص به تماماً كما هو الحكم الخاص بالمنافقين، حيث كان المنافقون يعيشون في ظل الدولة الإسلامية دون أن يعاقبهم النبي صلى الله عليه وآله على ذلك أو يقتلهم. ونحن نعرف أنه لا يكون للمنافقين وجود في عصر الظهور. وكثير من الأحكام هي من هذا القبيل.

فالحكم الذي أصدره الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه ضد الباغين عليه القاضي بعدم اتباع المدبر والإجهاز على الجريح، كان حكماً خاصاً بذلك الظرف الزمني، وسيتغير في زمان الإمام المهدي عليه السلام. روى أبو خديجة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إن علياً عليه السلام قال: كان لي أن أقتل المولّي، وأجهز على الجريح، ولكن تركت ذلك للعاقبة من أصحابي إن جرحوا لم يقتلوا. والقائم له أن يقتل المولّي، ويجهز على الجريح**»[1]. وهكذا الرواية عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت لأبي جعفر: «**أيسير ـ المهدي عليه السلام ـ بسيرة محمد صلى الله عليه وآله؟**.

قال: **هيهات يا زرارة ما يسير بسيرته**.

١ـ الغيبة، النعماني: ٢٣١.

قلت: جعلت فداك لِمَ ؟.

قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله سار في أمته باللين، كان يتألف الناس والقائم يسير بالقتل. بذاك أمر بالكتاب الذي معه، أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحداً. ويل لمن ناواه»[1].

فبعض الأحكام كانت خاضعة لظروف معينة وسوف تتبدل بتبدل تلك الظروف. والإمام المهدي عليه السلام إنما يحكم طبقاً للعهد والكتاب الذي معه، وهو من تعاليم رسول الله صلى الله عليه وآله بلاشك. وسيأتي تفصيل ذلك في قضاء القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف.

والحاصل: إن الروايات متعارضة فيما بينها حول هذه المسألة، وأخبار الطائفة الثانية أكثر عدداً. نعم لو كان التعارض مستقراً بين الطائفتين من الأخبار أمكن قبول الطائفة الأولى لموافقتها لكتاب الله [2].

١ـ ن. م.

٢ ـ لا يخفى أن الطائفة الأولى من الروايات أوفق بكتاب الله، إذ أن الحكم الإلهي الوارد في القرآن الكريم هو أن أهل الكتاب يقرون على دينهم وشعائرهم، في مقابل أن يدفعوا الجزية للدولة الإسلامية لقاء حمايتها لهم وتوفيرها لهم بعض الخدمات. إلا أن يقال: إن لعصر الظهور تخطيطه الخاص به، وأحكامه الخاصة التي قد تخالف الأحكام التي كانت موجودة قبل الظهور، وهي أحكام مبلّغة من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، ويحتفظ بها الإمام المهدي عليه السلام كما تقدم لدينا سابقاً. أو يقال في الجمع بينهما أن القضية تخضع لمرحلية معينة. ففي مرحلة زمنية معينة يكون للأديان الأخرى حضورها، وفي مرحلة أخرى تذوب تلك الديانات في المجتمع الاسلامي. وبعبارة أخرى: إن أهل الكتاب سوف يكونون على ثلاث طوائف: طائفة تحارب الإمام عليه السلام وتجيش الجيوش لقتاله، وهؤلاء سوف يحاربهم الإمام بقوة السلاح. وطائفة تقتنع بالإسلام وتدخل في دين الله طوعاً لا كرهاً. فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. وطائفة لا تقتنع بالإسلام ولكن لا تحارب الإمام المهدي عليه السلام فهؤلاء يقرهم على دينهم في المرحلة الأولى بشروط معينة، ولكن بعد ذلك تذوب هذه الطائفة في المجتمع الإسلامي، وتدخل في الإسلام عبر جيل أو جيلين.

الإمام المهدي والأمر الجديد

قلنا أن الإمام المهدي عليه السلام سوف يطبق الإسلام في دولته الكريمة إلا إنه هناك بعض الأخبار التي تتحدث عن أنه يأتي بأمر وكتاب وقضاء جديد. وهذه الأخبار تحتاج إلى شئ من التوضيح. ولنستعرضها أولاً ثم نقوم بمناقشتها.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «إن قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد كما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله. وإن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»[١].

وعنه أيضاً: «يهدم ما كان قبله كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله، ويستأنف الإسلام جديدا»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام القائم دعا الناس إلى الإسلام جديداً، ودعاهم إلى أمر قد دثر فضل عنه الجمهور»[٣].

وعنه أيضاً: «إذا قام القائم عليه السلام استأنف دعاء جديداً كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله»[٤].

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، على العرب شديد. ليس شأنه إلا السيف، لا يستتيب أحداً، ولا تأخذه في الله لومة لائم»[٥].

١ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢ / ٣٦٦.

٢ـ ن. م: ٣٥٤.

٣ـ الإرشاد، المفيد: ٢ /٣٨٣.

٤ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢ / ٣٦٧.

٥ـ الغيبة، النعماني: ٢٣٣.

هذه هي الروايات الواردة في هذا المقام، وهناك روايات أخرى تحمل نفس المضمون. وليس فيها ما يجري على ألسنة الناس من أنه يأتي بدين جديد، وإنما ذكرت أمراً جديداً، وكتاباً جديداً، وقضاءً جديداً. وهذه الأمور التي سيأتي بها ليست مخالفة للإسلام أو مناقضة لتعاليمه، بل هي من صميم الإسلام. ويشهد لذلك ما تقدم من نصوص دلت على أنه إنما يطبق الإسلام، ويستن بسنة رسول الله لا غير، ويدعو إلى كتاب الله كما في الحديث المتقدم عن رسول الله صلى اله عليه وآله وسلم. غاية الأمر أن ذلك يكون جديداً على الناس.

فالمسلمون بعد مئات السنين التي تفصلهم عن عصر التشريع، سوف يبتعدون فكراً وسلوكاً عن الإسلام المحمدي الأصيل، بحيث يرجع الإسلام غريباً كما بدأ غريباً، ولا يبقى منه إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، كما تقدم في الأحاديث السابقة. ولو أجلنا نظرنا في المجتمعات الإسلامية المعاصرة لرأينا الانشداد الكبير للغرب وحضارته المادية فكراً وسلوكاً، ولشاهدنا المحاكاة التامة للمظاهر الغربية. بحيث أنك عندما تدخل بعض المجتمعات الإسلامية لا تعرف أنك في مجتمع إسلامي إلا من خلال بعض المظاهر الضئيلة المتبقية. ولربما يزداد هذا الانسلاخ الحضاري للمسلمين في المستقبل الآتي. فعندما يأتي الإمام عليه السلام ويدعوا الناس إلى الإسلام بأصوله وتعاليمه الأصيلة، سوف تكون دعوته جديدة في مضمونها على المسلمين، فضلاً عن غير المسلمين. وبعبارة أخرى، سوف تكون دعوته المباركة غريبة على الواقع الإسلامي الغريب عن الإسلام الأصيل، لا على نفس الإسلام.

وهذا ما أشارت إليه الرواية المتقدمة عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ودعاهم إلى أمر قد دثر فضل عنه الجمهور**».

بالإضافة إلى ذلك نحن نعلم أن ما نملكه من أفكار وأحكام وسنن ليست كلها هي الإسلام مائة بالمائة، وإنما هي اجتهاداتنا في إطار الإسلام · وهي اجتهادات نسبية لا تمثل الحقيقة المطلقة النائية عن الخطأ والإشتباه· خصوصاً وأن التراث الإسلامي كثير منه ضاع في متاهات التاريخ المظلمة، حيث أحرقت كتب، ودمرت مكتبات، وأعدم علماء ورواة، فضاع العلم معهم· وما وصل إلينا منه لعبت بقسم منه يد التحريف الآثمة، واعتراه التحريف والتغيير المتعمد وغير المتعمد· فكثير من الأحكام والأفكار الموجودة في الساحة الإسلامية، والتي تعبر عن استنباطات المفكرين النسبية سوف يقوم الإمام عليه السلام بإلغائها، لأنها تصدم مع الحكم الواقعي المحفوظ عنده· وسيغير كثير من القناعات حول الإسلام والقرآن والسنة·

بالإضافة إلى ذلك كله، توجد كثير من الأحكام لم تبلغ، أو لم تطبق في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله بعبارة أدق· فبعض الأحكام بلّغت وطبّقت في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله· والبعض الآخر لم يطبّق إلا في زمان الأئمة المعصومين عليهم السلام· والبعض الآخر لا يطبق إلا في زمان القائم عليه السلام باعتبار تناسبه مع تلك المرحلة التي ستأتي مع ظهوره· وهكذا نجد أن بعض ما بلّغ وطبّق في عصر التشريع كان يعالج واقع ما قبل الظهور، وأما عصر الظهور فهو عصر له خصوصياته وتخطيطه الخاص· وهذا التخطيط وهذه الأحكام الخاصة به بلّغها النبي صلى الله عليه وآله، وهي

محفوظة عند الإمام المنتظر روحي فداه· وسيأتي إنشاء الله تعالى مزيد بيان وتفصيل لذلك عند الحديث عن قضاء الإمام المهدي عليه السلام ·

مذهب الدولة العالمية

من الأبحاث المرتبطة بالبحث السابق، الحديث عن مذهب الدولة العالمية· فأي المذاهب سيحكم هذه الدولة المباركة ؟·

ومن الواضح أن المذاهب الإسلامية القائمة حالياً ما هي إلا اجتهادات العلماء وآرائهم واستنتاجاتهم النسبية من مصادر التشريع· ومن غير الممكن أن المنتظر روحي فداه، وهو الإمام المعصوم المطلع على تفاصيل الشريعة وأحكامها الواقعية، أن يتبع مذهباً من المذاهب التي شيّدتها أفكار غير معصومة قد تصيب وقد تخطىء· فهو إنما يطبق الإسلام محضاً كما أنزل، ويبين الكتاب كما أراد الله تبارك وتعالى·

وعلى هذا الأساس قد يوافق هذه المذاهب وقد يخالفها في تفاصيل الشريعة، بقدر ما أدركته هي من الشريعة الإسلامية المباركة· وإلى هذا يشير ابن عربي في الفتوحات عند كلامه عن الإمام المهدي عليه السلام، حيث يقول: «**به يرفع الله المذاهب من الأرض· فلا يبقى إلا الدين الخالص· أعداءه مقلّدة العلماء أهل الاجتهاد، لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهبت إليه أئمتهم**»[1]·

ولو درسنا القضية من زاوية أخرى، وقلنا بأن المراد من المذاهب بمعنى الأصول العامة التي تقوم عليها المذاهب، لا هذا الكيان الشامل بكل تفصيلاته، فلا شك أنه سوف يتبنى المذهب الشيعي الإمامي الإثني عشري·

١ـ الفتوحات المكية، ابن عربي: ٢ / ٣٢٧·

وذلك لما ثبت في محله من أن مذهب أهل البيت عليهم السلام هو المذهب الحق· بل إطلاق لفظ المذهب عليهم فيه شئ من المسامحة، لأنهم هم الإسلام لا مذهب في الإسلام· وأما المذاهب الأخرى فما هي إلا اجتهادات في الإسلام· ولهذا نقول أنها مذاهب في الإسلام، أي تمثل فهماً معيناً للإسلام، وقد يخطئ هذا الفهم وقد يصيب· أما الأئمة من أهل البيت عليهم السلام فليسوا مجتهدين كباقي المجتهدين، بل هم الشرع لا غير· قولهم وفعلهم وتقريرهم هو الشرع·

والإمام المهدي عليه السلام هو من ذرية أهل البيت عليهم السلام، وأحد أئمة مذهبهم الشريف، فمن غير المعقول أن يترك المذهب الحق ـ الذي هو مذهب آباءه وأجداده، والذي هو أحد أقطابه ـ ويتمذهب بمذهب آخر بعيد عنه· والروايات في أنه من أهل البيت عليهم السلام كثيرة جداً· روى أحمد، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي، أجلى، أقنى، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**»[1]· وعنه أيضاً: «**لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي، يواطئ إسمه إسمي**»[2]· إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة الأخرى·

وأما الروايات الواردة عن الأئمة عليهم السلام والتي تدل على أنه منهم، وأنه الإمام الثاني عشر فكثيرة، يجدها كل من نظر في كتب الشيعة ومصنفاتهم في هذا الباب· وعليه فمن غير المنطقي أن الإمام الثاني عشر في مذهب أهل البيت عليهم السلام يخالف هذا المذهب ويتبنى غيره· ولو كان

١ـ مسند أحمد: ١/٥٨·

٢ـ معجم أحاديث المهدي عليه السلام: ١ / ١٠٦·

كذلك لما أيّده الأئمة كل هذا التأييد، ومهّدوا له كل هذا التمهيد. إذ كيف يؤيدون رجلاً يدين بغير مذهبهم، وهم يعلمون أن مذهبهم هو المذهب الحقدون المذاهب الأخرى.

غير أنا نعود ونكرر ما ذكره ابن عربي من أن المذاهب ترتفع في زمانه ولا يبقى إلا الدين الخالص.

٣ـ العدل الشامل

كما ينشر الإمام المهدي عليه السلام الإسلام في ربوع الأرض، كذلك يبسط العدل فيها، فلا يبقى للظلم مكان يقر فيه. فلا دمعة مظلوم، ولا شكوى مغصوب، ولا أنّة مضطهد. في دولته الكريمة لا يوجد شخص يستسهل أن يغصب حق غيره، ولا يوجد شخص يخاف أن يؤخذ حقه. يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. يملأها كلها، فلا تجد في أرجاء الأمة حينئذ مكاناً فارغاً من العدل، أو مشغولاً بالظلم، لأنها حينما تمتلئ بالعدل سوف لن يجد الظلم له موطأ قدم.

الإمام المهدي عليه السلام سوف يحقق الهدف الكبير الذي بعث من أجله الأنبياء عليهم السلام، والذي أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[1].

---

١ ـ سورة الحديد: ٢٥. والآية تجعل الهدف من بعث الأنبياء، وإنزال الكتب إقامة العدل في المجتمع، ومن قبل الناس أنفسهم. فالآية لم تقل أرسلنا رسلنا ليقوموا بالقسط، وإن كانوا هم لا يقومون إلا بالقسط لمكان عصمتهم، ولكنها قالت ليقوم الناس بالقسط، أي أن رسالة الأنبياء ووظيفتهم أن يعدوا الأمة، ويهيئوها فكرياً ونفسياً وأخلاقياً لتقوم بالقسط، فيتحقق بذلك المجتمع العادل الكامل.

وذلك من خصائص الدولة المهدوية المباركة التي أشارت إليها الأحاديث الشريفة، والتي جعلت العدل عنوان تلك النهضة الشريفة. يقول الحديث المتواتر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**».

وفي هذا الباب أخرج القندوزي الحنفي، عن أحمد والماوردي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**أبشروا بالمهدي، رجل من قريش، من عترتي، يخرج في اختلاف من الناس وزلزال، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً. ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويقسم المال بالسوية، ويملأ قلوب أمة محمد غناه، ويسعهم عدله**»[1].

فعدله سوف يسع الناس جميعاً. وعلى حدٍّ تعبير الإمام الصادق عليه السلام في الرواية التي يرويها النعماني في كتاب الغيبة: «**أما والله ليدخلن عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحر والقر**»[2]. فالعدل سوف يكون عدلاً شاملاً كاملاً ليس معه ظلم أبداً مهما كان نوع ذلك الظلم.

والواقع أننا لم نسمع في التاريخ القريب والبعيد أن دولة استطاعت أن تنجز ذلك بصورته الكاملة. لا نريد أن نقول أن الإمام المهدي عليه السلام أكثر كفاءة من رسول الله صلى الله عليه وآله، أو من أمير المؤمنين عليه السلام ـ أعوذ بالله ـ فرسول الله صلى الله عليه وآله هو عين العدل، وأمير المؤمنين عليه السلام كان العدل كله. ولكنهما لم ينشرا العدل في العالم كله من جهة، باعتبار أنهما لم يحكما العالم أجمع، ولم يجتثا كل عوامل الظلم في المجتمع

١ـ ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ٣ / ٣٤٤.

٢ـ الغيبة، النعماني: ٢٩٧.

الإسلامي من جهة أخرى، وذلك لعدم وجود الفرصة الكافية، ولبعض الموانع الموضوعية الحاكمة آنذاك. وأيضاً لنوع القضاء الحاكم في دولتيهما.

فإن النظام القضائي الحاكم في دولة النبي صلى الله عليه وآله ودولة الإمام علي عليه السلام والذي كان يحكم به القضاة كان قائماً على أساس الظاهر، أي (الأيمان والبينات) مما لا ينفي وجود مظلوم أُخذ حقه طبقاً لبينة أو يمين كاذبة. فقد يوجد في الواقع مظلوم في دولتيهما لم يملك الإثباتات الكافية لإثبات حقه. أما في زمان القائم عليه السلام فلن يوجد مظلوم ولا ظالم، لا ظاهراً ولا واقعاً، لأن الإمام عليه السلام سوف لن يتعامل مع الناس بالظاهر فقط وإنما طبقاً لعلمه الواقعي أيضاً. إذ إنه يحكم بحكم داود لا يسأل الناس بينة. وما دام أننا وصلنا إلى هذه النقطة فلا بأس أن نمرَّ على النظام القضائي في دولة الإمام المهدي عليه السلام.

النظام القضائي

دعونا في البداية نستعرض بعض الروايات التي تحدثت عن القضاء المهدوي، ثم نقوم بدراستها، لنخرج بتصور محدد حول القضاء في عصر الظهور.

فمن جملة هذه الروايات ما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: **«إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله حكم بحكم داود وسليمان عليهما السلام، لا يسأل الناس بينة»**[1].

١ـ أصول الكافي، الكليني: ١ / ٣٩٦.

وأخرج النعماني عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر عليه السلام حديثاً يقول فيه: «... ثم يأمر منادياً ينادي: هذا المهدي يقضي بقضاء داود وسليمان، لا يسأل الناس على ذلك بينة»[١]. وأخرج مثله عن الإمام الصادق عليه السلام[٢].

وعن الحسن الشيباني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: رجل من مواليك يستحل مال بني أمية ودمائهم، وأنه وقع عنده وديعة. قال عليه السلام: «أدوا الأمانة إلى أهلها وإن كان مجوساً، فإن ذلك لا يكون حتى قيام قائمنا، فيحل ويحرم»[٣].

وعن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «دمان في الإسلام حلال من الله عزَّ وجلَّ لا يقضي فيهما أحد بحكم الله عزَّ وجلَّ حتى يبعث الله القائم من أهل البيت عليهم السلام، فيحكم بحكم الله عزَّ وجلَّ فيهما لا يريد بينة: الزاني المحصن يرجمه، ومانع الزكاة يضرب رقبته»[٤].

وعن زرارة، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «قلت: أيسير ـ المهدي عليه السلام ـ سيرة محمد صلى الله عليه وآله ؟.

قال: هيهات يا زرارة ما يسير بسيرته.

قلت: جعلت فداك ولم ؟!

قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله سار في أمته باللين، كان

١ـ الغيبة، النعماني: ٣١٣.

٢ـ ن. م.

٣ـ وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٣ / ٢٢٣.

٤ـ كمال الدين، الصدوق: ٢/ ٦٠٩، والمحاسن، للبرقي: ١/١٦٩.

يتألف الناس، والقائم يسير بالقتل· بذاك أمر في الكتاب الذي معه، أن يسير بالقتل، ولا يستتيب أحداً· ويل لمن ناواه»[١].

وعن أبي خديجة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن علياً عليه السلام قال: كان لي أن أقتل المولّي، وأجهز على الجريح، ولكن تركت ذلك للعاقبة من أصحابي، إن جرحوا لم يقتلوا· والقائم له أن يقتل المولّي، ويجهز على الجريح» [٢].

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام: «يقضي القائم بقضايا ينكرها بعض أصحابه ممن قد ضرب قدامه بالسيف· وهو قضاء آدم عليه السلام· فيقدمهم فيضرب أعناقهم· ثم يقضي الثانية فينكرها قوم آخرون ممن قد ضرب قدّامه بالسيف، وهو قضاء داود عليه السلام· فيقدمهم فيضرب أعناقهم· ثم يقضي الثالثة، فينكرها قوم آخرون، ممن قد ضرب قدّامه بالسيف، وهو قضاء إبراهيم عليه السلام· فيقدمهم فيضرب أعناقهم· ثم يقضي الرابعة، وهو قضاء محمد صلى الله عليه وآله، فلا ينكرها أحد عليه»[٣].

ومما تقدم نرى أن المهدي عليه السلام يحكم بحكم داود وسليمان وإبراهيم وآدم ومحمد عليهم وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام· والظاهر أن قضاءه بقضاء إبراهيم وآدم ليس هو الخط العام الذي يسير عليه، وإنما يمثل حالة مرحلية مؤقتة· بخلاف حكم داود وسليمان·

وعند مراجعتنا للقرآن الكريم والروايات الشريفة، لم نجد أثراً يدلنا

١ـ الغيبة، النعماني: ٢٣٦·

٢ـ ن· م·

٣ـ البحار: ٥٢ / ٣٨٩·

على نوع حكم آدم وإبراهيم عليهما السلام، لا في الأسلوب العام ولا في التفاصيل· أما داود وسليمان عليهما السلام فقد حدثنا القرآن الكريم والروايات الشريفة عن حكمهما في قضية الزرع الذي نفشت فيه غنم بعض الأشخاص فأتلفته· حيث حكم داود بالضمان، وأن على صاحب الغنم أن يدفع النعاج التي تسببت في إتلاف الزرع إلى صاحب الزرع· وحكم سليمان بالضمان أيضاً، ولكن بأن يدفع صاحب الغنم من نتاجات تلك الأغنام إلى صاحب الزرع بقدر التالف· لاحظ الرواية في تفسير البرهان عن الصادق عليه السلام [١]· وليس فيها أنهما حكما بدون بينة· ولكن يستفاد من الخبرين الأولين أن حكم سليمان وداود كان بدون بينة·

نعم في قضاء داود عليه السلام مع الخصمين اللذين تسورا المحراب نرى أنه حكم فيه بدون بينة· فقضى لصاحب النعجة على صاحب التسعة وتسعين نعجة من دون أن يستمع لبينته·

بناء على ما تقدم من أخبار نفهم أن حكم الإمام المهدي عليه السلام بحكم آدم وإبراهيم قد يكون حكماً مؤقتاً هدفه اختبار طاعة أصحابه وتسليمهم له، كما توحي به رواية أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام المتقدمة· وأما حكمه بحكم داود فيكون حالة مستمرة في قضاءه عليه السلام·

وتوجيه ذلك أن الدولة العالمية هي الدولة العادلة التي سيطبق بها العدل كله وينتفي منها الظلم كله، ما ظهر منه وما بطن· ولهذا ودرءاً لتستر الظالمين بالأدلة الظاهرية المزوّرة، نرى الإمام عليه السلام يحكم على طبق الواقع لا على طبق الظاهر، حتى لا يكون هناك مظلوم في دولته لا يملك المثبتات

١ـ تفسير البرهان، هاشم البحراني: ٥ / ٢٣٨·

الكافية لإثبات حقه. وإنما تعامل النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام بالظواهر وعلى طبق الإمارات الظنية، ليخطّوا لنا طريقاً في ذلك من بعدهم. وإلا كان لهم أن يحكموا على طبق علمهم الخاص. ولكنهم أرادوا أن يقرروا لنا المنهج القضائي في زمن ما قبل الظهور.

هذا بالنسبة إلى نفس الإمام عليه السلام. أما بالنسبة إلى سائر القضاة في الدولة العالمية، ولا بد أنه ينصب قضاة من قبله يقضون بين الناس في دولته الواسعة، فلا يمكن لنا افتراض عملهم بقضاء داود عليه السلام إلا بعد التسليم بأحد افتراضين: أن يملكوا العلم الخاص الذي يستطيعون من خلاله استكناه الواقع. أو أن تكون الدعاوى قليلة جداً بحيث يرجعون فيها جميعاً إلى الإمام المهدي عليه السلام. وحينئذ ليس من الضروري أن يكون هناك قضاة، وإنما يرجع الإنسان مباشرة إليه عليه السلام. إذا تم ذلك فبالإمكان القول أنهم يحكمون بحكم داود عليه السلام. وتوجد لدينا رواية عن الإمام الباقر عليه السلام تلقي لنا ضوءاً على هذه المسألة. يقول عليه السلام:

«إذا قام القائم عليه السلام بعث في أقاليم الأرض، في كل إقليم رجلاً يقول له: عهدك في كفك، فإذا ورد عليك أمر لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك واعمل بما فيها»[1]. وهذه الرواية تدل على وجود القضاة في الدولة المهدوية المباركة.

بناء على ذلك قد يقال أن قضاة الدولة المهدوية يملكون هذا العلم الخاص الذي أعطاه لهم القائم عليه السلام بصورة إعجازية، أو بحمله على

١ـ البحار، المجلسي: ٥٢ / ٣٦٥.

تقنية علمية متطورة· وأما افتراض قلة الخصومات والمرافعات في دولة الإمام المنتظر عليه السلام فله وجه صحيح بعد استقرار الدولة العالمية، وتربية الناس على العدل، ووصولهم إلى مرحلة متقدمة من الكمال· أما في بدايتها، وفي بداية تربية الناس وتطبيق العدل الكامل فقد يبعد ذلك، خصوصاً في المنازعات البسيطة· نعم في الأمور الخطيرة سيرجع حكام الأقاليم إلى الإمام المهدي عليه السلام ليبت فيها·

أما بالنسبة إلى الأقضية التي وردت في الأخبار، والتي سيخالف فيها الإمام عليه السلام المعروف عند الناس، والمعمول به في الشريعة، فنقول في توضيحه:

إن هناك بعض الأحكام الشرعية لم تطبق في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن الظرف لم يكن يساعد على تطبيقها، أو لأنها خاصة بتخطيط إلهي مختص بفترة ما قبل الظهور· كمسألة المنافقين، وأهل الكتاب، والمؤلفة قلوبهم، وما شابه ذلك· ويتضح ذلك عندما نقرأ الحديث المتقدم عن أبي خديجة عن الصادق عن أمير المؤمنين عليهما السلام· حيث ذكر العلة التي من أجلها ترك الإمام علي عليه السلام الإجهاز على الجريح واتباع المولّي، وذلك حتى لا يعاملوا أصحابه بالمثل· وأما ما يرتبط بحكمه بالواقع، وبحكم داود عليه السلام، فلإجل اجتثاث الظلم من أرجاء دولته المباركة، التي ستطبق العدل بتمامه·

ولا يخرج الإمام المهدي عليه السلام في أحكامه عن الإسلام وتعاليم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وإنما يسير ضمن الدائرة الإسلامية· وذلك لأنه يسير على طبق الكتاب الذي معه كما تقدم في إحدى الروايات، وبالعهد

الذي عهده إليه جده رسول الله صلى الله عليه وآله· فعندما يعترض أحد أصحابه على أحكامه، ويسأله أن ذلك تصرف شخصي من قبله أم بعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ يقول عليه السلام: «**بعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخرج له العهد في صندوق عنده، وقرأه عليه**»[1].

٤ـ الرفاه الإقتصادي

من الخصائص التي ورد التأكيد عليها كثيراً في النصوص الإسلامية المستوى المعيشي الرفيع الذي ستحظى به دولة الإمام المهدي عليه السلام · فسوف يعيش الناس حالة من النعمة والخير والرفاه لا تتصور· سوف لن يعرف المجتمع المهدوي معنى الفقر والحاجة والحرمان، لما انزل الله عليهم من نعمه، وخصَّهم بكرامته·

ولو طالعنا التاريخ لما وجدنا دولة من الدول أو مجتمعاً من المجتمعات يخلو من عامل الفقر· حتى الدول المتطورة صناعياً في عصرنا الحاضر تعاني من هذه المشكلة· فلو أخذنا أمريكا كأكبر قوة اقتصادية في العالم، سوف نرى أن المجتمع الأمريكي لا يزال يعاني الكثير من أبناءه من البطالة والفقر· نعم عندما نقيس المستوى الإقتصادي للدول النامية بالدول الصناعية، سوف تكون الأخيرة جنة بالنسبة للأولى· ولكن هذا ليس معناه أن هذه الدول خالية من الفقر ولو بنسبة واحد بالمليون، كما هو الحال في دولة الإمام المهدي عليه السلام، حيث قد دلّت النصوص الشريفة على عدم وجود ولا فقير واحد في أطرافها المترامية· حتى أن الموسر يبحث عمن يعطيه صدقته فلا يجد

١ـ البحار، المجلسي: ٥٣ / ٣٤٣·

مستحقاً لها· ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة... حتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهمَّ رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه عليه، فيقول الذي يعرضه عليه: لا إرب لي به»[١].

وأخرج القندوزي، عن أحمد والماوردي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أبشروا بالمهدي، رجل من قريش، من عترتي، يخرج في اختلاف من الناس وزلزال، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً·

ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويقسم المال بالسوية، ويملأ قلوب أمة محمد غناه، ويسعهم عدله· حتى أنه يأمر منادياً فينادي: من له حاجة إلى المال يأتيه· فما يأتيه أحد إلا رجل واحد ياتيه فيقول له المهدي عليه السلام: أئت السادن حتى يؤتيك·

فيأتيه فيقول: أنا رسول المهدي إليك، أرسلني إليك لتعطيني· فيقول: أحث حثواً· فيحثو، فلا يستطيع أن يحمله· فيلقي حتى يكون قدر ما يستطيع أن يحمله، فيخرج، فيندم، فيقول: أنا كنت اجشع الأمة نفساً· كلهم دعي إلى هذا المال فتركوه غيري· فيرد عليه، فيقول السادن: إنا لا نقبل شيئاً أعطيناه»[٢].

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم، حتى تمشي المرأة بين العراق والشام، لا تضع قدميها إلا على نبات»[٣].

١ـ صحيح البخاري: ٢ / ٥١٢·

٢ـ منتخب الأثر: ١٩٧·

٣ـ ن· م: ٥٩٢·

وعن حذيفة بن اليمان، عن النبي صلى الله عليه وآله: «يفرح به أهل السماء، وأهل الأرض، والطيور والوحوش والحيتان في البحر· وتزيد المياه في دولته، وتمد الأنهار، وتضعف الأرض أكلها»[١].

وفي الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «... وتجمع إليه أمول الدنيا من بطن الأرض وظهرها· فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ما حرم الله عزَّ وجلَّ، فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان قبله· ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً، كما ملئت ظلماً وجوراً وشراً»[٢].

وفي كتاب عقد الدرر، عن أمير المؤمنين: «... ويزرع الإنسان مدّاً وتخرج له سبعة أمداد كما قال الله تعالى»[٣].

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله: «ثم يبعث الله عز وجل رجلاً مني، ومن عترتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئها من كان قبله جوراً· وتخرج له الأرض أفلاذ أكبادها، ويحثوا المال حثواً ولا يعده عدّاً، حتى يضرب الإسلام بجرانه»[٤].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «يسهل الله تعالى له كل عسرة، ويذلل له كل صعب، ويظهر له كنز الأرض»[٥].

١ـ ن· م: ٥٨٩·

٢ـ معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٣/ ٣٢٣·

٣ ـ منتخب الأثر: ٥٩٢·

٤ـ ن· م: ٢٢١·

٥ ـ ن· م: ٢٩٩·

وتحدثنا الروايات عن مشاريع عمرانية وإنمائية قد تكون أمثلة لاطراد حركة الإنماء والعمران في الدولة العالمية· ففي الرواية عن الباقر عليه السلام: «**القائم منا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز... ولا يبقى في الأرض خراب إلا عمر**»[١].

وفي حديث المفضل بن عمر، عن الصادق عليه السلام: «**إذا قام قائم آل محمد عليه السلام بنى في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب، واتصلت بيوت الكوفة بنهري كربلاء**»[٢]· وورد أيضاً في الأخبار أنه يشق نهراً كبيراً بين النجف الأشرف وكربلا[٣]· وغير ذلك من الأخبار الأخرى·

من خلال الروايات المتقدمة يمكننا أن نستنتج عدة نقاط:

١ـ إن المياه التي تمثل المصدر الرئيسي للحياة، والعامل المهم في الازدهار الإقتصادي، سواء بما يتوفر فيها من ثروة مائية، أو بمساهمتها في المشاريع الإنمائية، أو في توليد الطاقة، ستكون متوفرة بصورة غزيرة في زمن الإمام المهدي عليه السلام·

٢ـ توفر المعادن الأرضية المختلفة، ومصادر الطاقة من النفط والغاز وغيرها (أفلاذ كبد الأرض) بصورة كبيرة في الدولة العالمية المباركة·

٣ـ وجود النقد والسيولة المالية الكافية لإدارة الحركة الإقتصادية في الدولة العالمية المباركة· بحيث أنه يحثو المال حثواً ولا يعده عداً كما تقدم في الأحاديث السابقة، وأنه تجمع له كنوز الدنيا، وتجمع له الأموال من بطن

١ـ إعلام الورى، الطبرسي: ٤٦٣·

٢ـ ن· م: ٤٦٠·

٣ـ منتخب الأثر: ٥٩٢·

الأرض وظهرها وما إلى ذلك...

٤ـ الأيدي العاملة، والتكنولوجيا المتطورة، والخبرة العلمية الكافية، سوف يكون لها حضور فاعل في الدولة العالمية. ولعلنا نلمح ذلك في الحديث المتقدم عن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما يقول: (وتضعف الأرض أكلها) فلعل ذلك للمشاريع الإنمائية الناجحة.

٥ـ بالإضافة إلى ذلك العدل الذي سيسود دولة الإمام المهدي عليه السلام، وطريقة التوزيع الصحيح للثروة، كما ورد في الحديث الشريف أنه يقسم المال صحاحاً بالسوية. والحقيقة أن الأرض لم تكن ثرواتها قليلة يوماً ما إلا أن العدل كان غائباً عن الحياة، فوجدت طبقات محرومة في المجتمعات، وعاشت على حسابها طبقات مستأثرة ظالمة. وكما يقول المفكر المعروف برناردشو، وكان أصلع الرأس كث اللحية: إن اقتصاد العالم كرأسي ولحيتي، وفرة بالانتاج وسوء في التوزيع. وإلى هذا يشير الحديث العلوي المبارك «ما جاع فقير إلا بما متع به غني» وحديثه الجميل الآخر الذي يقول: «ما رأيت نعمة موفورة إلا وإلى جانبها حق مضيع».

كل هذه العوامل المتقدمة ستجعل من الدولة العالمية المباركة نموذجاً فريداً في نوعه من ناحية الرفاه الإقتصادي، والسعادة المادية. وتلك سنة الله في المجتمعات الإنسانية، أنها إذا آمنت بالله تبارك وتعالى واتقت وعملت صالحاً، وفائت إلى خالقها، فسوف يفتح الله عزَّ وجلَّ عليها أبواب السماوات والأرض. يقو ل عز من قائل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[1].

١ـ سورة الأعراف: ٩٦.

ويقول: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً*يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً*وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾[1].

وبما أن المجتمع المهدوي المبارك مجتمع صالح، يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، مجتمع ينتفي منه الظلم ويسوده العدل، فسوف يفتح الله عليه بركات الأرض والسماء، حتى لا يوجد فقير ولا محرم على الإطلاق، استغنى الكل بنعمة الله تعالى. وحتى يحار الإنسان أين يضع صدقته وزكاة ماله.

٥ـ الأمن العالمي

وكما يبسط العدل بين الناس وعلى مستوى العالم كله، كذلك سوف ينشر الأمن وعلى مستوى العالم كله. وكما ترى فإن هذه الخصائص مترابطة فيما بينها تؤدي إحداها إلى الأخرى. فعندما يحكم الإسلام العالم معناه سيحكم العدل، وحينذاك سيسود الأمن.

الخوف والإضطراب بكل أشكاله ظل يمثل حالة ملازمة للتاريخ البشري على اختلاف حقبه وأدواره. ولم تستطع حتى الدول المتقدمة في عصرنا الراهن مع تطور أساليبها وخططها وآليات عملها، أن تحقق هذه المقولة التي تكفّلت بتحقيقها، والتي لا يمكن العيش بسعادة من دونها، أقصد (مقولة الأمن). بل على العكس من ذلك ازداد معدل الخوف والإضطراب بصورة كبيرة عما كان عليه في السابق، لأجل تطور أسلحة الدمار الشامل بشكل مذهل، حيث يمكن لهذه الترسانة العظيمة أن تدمر الكرة الأرضية بكاملها في دقائق معدودة، وكذلك الأسلحة البيولوجية الخطيرة. مع انعدام

١ـ سورة نوح: ١٠ـ١٢.

الضابط الأخلاقي من على مسرح الحياة المعاصرة، وخمود شعلة الضمير، وغياب الوازع الديني فيها. هذا بالإضافة إلى عوامل الخوف الأخرى من عوامل بيئية: كتلوث البيئة المطرّد يوماً بعد يوم. وعوامل اقتصادية: كازدياد عدد السكان في العالم بصورة كبيرة، ونقصان الموارد الإقتصادية، ومصادر الطاقة، وتسلط الرأسماليين الكبار على رقاب الطبقات الاجتماعية المستهلكة الضعيفة. وعوامل إجتماعية: كتفكك بناء الأسرة، وازدياد معدل الجريمة، وغياب الضابط الديني والأخلاقي.

وما الإرهاب الذي يشغل العالم اليوم إلا حصيلة كل هذه العوامل المتقدمة. وسوف لن يكون هناك بلد بمنأى عنه ما دامت جذورة موجودة. وليس هناك بيئة تنتج الإرهاب دون غيرها، وإن حاول الإعلام الغربي إلقاء تبعة ذلك على الإسلام والمسلمين، في توظيفٍ واضحٍ لهذا الشعار لضرب الإسلام الصاعد. وإنما القضية هي أينما وجدت جذور الإرهاب من جهل وفقر وظلم.. وغير ذلك في بيئة معينة كانت حضناً دافئاً للإرهاب. ولا يمكن القضاء عليه حتى بالأسلحة النووية ما دامت أسبابه قائمة وفاعلة، ولن يسعد العالم إلا باقتلاعها من الوجود.

الإمام المهدي عليه السلام سوف يحقق الأمن للعالم، ويزيل عنهم وطأة الخوف والقلق من خلال تجفيف منابعه، ويعيد إليهم الإستقرار والطمأنينة، حتى كأنهم يعيشون في الجنة، أو في السماء بين صفوف الملائكة، حيث لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وهذه من خصائص الدولة العالمية للإمام المهدي عليه السلام.

ويمكن لنا أن نستفيد هذه الخصوصية من قوله تعالى في التبشير بدولة

الإمام المهدي عليه السلام: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنا ﴾[1]. يبدلهم من بعد خوفهم المطلق أمناً مطلقاً. حتى ترعى الشاة مع الذئب كما ورد في بعض الأخبار، ولعلّها كناية عن سيادة الأمن وانعدام الخوف.

وفي الرواية عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «يقاتلون ـ أي أصحاب الإمام المهدي عليه السلام ـ حتى يوحّد الله ولا يشرك به شيئاً، وتخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب لا يؤذيها أحد»[2].

وللأمن أهميتة البالغة في حياة الإنسان، لأنه من دون الأمن لا يكون هناك طعم لحياة الإنسان، حتى مع توفر الرفاه الإقتصادي والترف المعيشي، فإن لقمة العيش لا تكون سائغة مع فقدان الأمن. وإلى ذلك أشار القرآن الكريم في معرض امتنان الباري عزَّوجلَّ على قريش بنعمه الكثيرة حيث عدَّ الأمن من أهم النعم التي من بها عليهم. ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ *الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[3]. فإن نعمة الإطعام من جوع لا تتم من دون نعمة الأمن من الخوف. بل إن الرفاه الإقتصادي لا يتحقق من دون توفر الأمن، لأن ازدهار الإقتصاد مرهون بالظرف الأمني المستقر، ولا تنجح الإستثمارات الإقتصادية من دون أرضية أمنية مستقرة تحمي رؤوس أموالها. فالإقتصاد والأمن إذاً عاملان مهمان ومترابطان في حياة المجتمعات.

١ـ م. س.

٢ـ منتخب الأثر، الكلبايكاني: ٣٧٩.

٣ – سورة قريش: ٣–٤.

٦ـ السلامة الإجتماعية

ما من شك أن المجتمع المهدوي المبارك سوف يكون أسعد مجتمع عرفه التاريخ على الإطلاق. حتى أن الأحياء يتمنون الأموات لما يتقلبون فيه من سعادة وهناء. المجتمع المهدوي هو المجتمع المثالي الذي يكون شبيهاً بالحلم في نفوس الناس، وليس بحلم. المجتمع الذي ينعدم فيه الفقر والحرمان والفساد والظلم والجور والجهل، ويسوده الخير والأمن والرخاء والألفة والمحبة والسلام.

سيكون المجتمع المهدوي أسعد المجتمعات لتوفر عوامل السعادة فيه، والتي من أهمها ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنا ﴾[1]. فقد أشارت الآية الكريمة إلى ثلاثة من مقومات الحياة السعيدة، وهي:

أولاً: الدولة العالمية التي يحكمها عباد الله الصالحون، الذين ينشدون الخير والسعادة للبشرية، ويبتعدون عن الظلم والإستبداد والإضطهاد لعباد الله. حيث أن جزءاً كبيراً من الظلم والحرمان ناتج من الحكام الطواغيت الذين يفسدون في الأرض، ويهلكون الحرث والنسل، ويسلبون حرية الناس ويمتهنون كرامتهم.

وثانياً: الدستور الإلهي الكامل المحيط بمصالح الإنسان ومفاسده، والذي لا يفرق بين أحد من عباد الله للون أو جنس أو طبقة معينة، والذي يسعى إلى تكامل الناس مادياً ومعنوياً. إذا ما أخذنا بنظر الإعتبار أن عمدة مشاكل الناس ناتجة من القوانين الظالمة التي لا ترعى حقوق الناس، والإيديولوجيات

١ـ م. س.

الناقصة التي لا تحيط بمشاكل الإنسان، ولا تعرف كاملاً ما يصلحه وما يفسده.

وثالثاً: هو سيطرة الأمن والإستقرار على جميع المستويات. حيث أن الإنسان لا يمكن أن يستلذ بحياته، ويستشعر سعادته ما دام خائفاً وجلاً، ومضطرباً قلقا.

الدولة العالمية المباركة سوف تحقق جميع تلك العوامل التي تساعد على حصول الإنسان على سعادته، كما وعد الله تبارك وتعالى به في كتابه الكريم. وسوف تقوم من خلال تطبيقها العدل وسعيها في تربية الإنسان وتحقيق الحاجات الأساسية له، بخلق مجتمع مثالي كامل ليس له نظير في الدنيا.

ويمكن لنا أن نتلمس بعض جوانب الإستقرار والسعادة الإجتماعية في بعض النصوص الشريفة التي كشفت لنا جزءاً من الصورة.

ففي المجتمع المهدوي تزول البغضاء بين العباد وذلك لزوال أسبابها: من ظلم، وحسد، وجهل، وتهالك على حطام الدنيا.. حيث سيزول كل ذلك من على وجه الأرض. جاء في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد**»[1]. والشحناء تعني البغض والحقد والكراهية.

وما من شك أن العالم اليوم ـ خصوصاً في الدول الصناعية ـ يعاني من أزمة إجتماعية خطيرة، تتمثل في تلاشي النسيج الإجتماعي، وتراخي الأواصر الإجتماعية، وتفكك الأسرة.. مما قد أنتجته الحضارة الحديثة، وحاولت تصديره للمجتمعات الأخرى. فالتآزر والتآخي، والشعور بالمسؤولية بين الناس الذي عهدناه في المجتمعات القديمة، والذي عملت الرسالات

١ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢ / ٣١٧.

السماوية على دعمه و تعميقه، والعواطف الجياشة التي كانت تربط القريب بقريبه، والجار بجاره، والإنسان بالإنسان الآخر.. قد تلاشت تماماً أو كادت في زماننا الحاضر، وما يأتي أعظم. فراح الإنسان يعيش ـ خصوصاً في المجتمعات الحداثية ـ كمجرد مواطن تربطه بالآخرين رابطة المواطنة بعدما كانت تشده بالآخرين رابطة الأخوة. ونراه يعيش كمجرد آلة خالية من العواطف والأحاسيس الجياشة، آلة تجيد السلام والكلام والحركة، بعدما كان كياناً مغموراً بالعواطف الحارة.

وعلى المستوى الأسري تبدو المشكلة أشد، حيث تحول هذا الكيان المبارك، الذي لانريد أن ندخل في تفاصيل أهميته ـ وما من شك أن له الدور الأكبر في حياة المجتمعات ـ إلى بناء مهلهل متداعي، لعبت به رياح الفساد. وقد أدّت هذه الحالة إلى إنتاج مشاكل عسيرة للمجتمعات المعاصرة لن تنفك من أسرها أبدا. وقد فقد الإنسان المعاصر عبر ذلك الأمن والإستقرار الذي كان يشعر به في أحضان الأسرة الفاضلة، والمجتمع المتآخي المسؤول، فهو يشعر بغربة قاتلة لا تطاق. هذه الحالة الإجتماعية المريرة سوف يتخلص منها المجتمع المهدوي ببركة القائم عجل الله تعالى فرجه، وبسبب التربية الصالحة التي سيمارسها مع الناس، وبسبب حكومة الدين لدنيا البشر الذي نتجت كل تلك المشاكل بسبب الإبتعاد عنه. وهذا ما بشّرت به الروايات الشريفة.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قلت يا رسول الله: أمنا آل محمد المهدي ؟ أو من غيرنا ؟.

قال: بل منا، يختم الله به الدين كما فتحه بنا. وبنا ينقذون من الفتن كما أنقذوا من الشرك. وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة، كما ألف بين

قلوبهم بعد عداوة الشرك، إخواناً في دينهم»[١]. ولعل ما ورد في الأحاديث من أن السباع والبهائم تصطلح، يراد به المبالغة أو الكناية عن سيادة الألفة والمحبة في الدولة الكريمة.

وسينعم المجتمع المهدوي بالأمن بعد سنين طويلة عاشها الناس تحت وطأة الخوف والرعب والإرهاب، حتى عادوا لا يعرفون معنى الأمن. وسيتذوقون طعم الإستقرار بعد أن فقدوه ولم يعد يزورهم حتى في الأحلام. تقول الرواية الشريفة: «**وتخرج العجوز الضعيفة ـ بعد الظهور ـ من المشرق تريد المغرب لا يؤذيها أحد**»[٢].

وستنعدم في المجتمع المهدوي الطبقات الإجتماعية الظالمة التي تحظى بامتيازات غير شرعية على حساب الآخرين، وقد ظلت قائمة من قديم الأزمان إلى يوم الناس هذا. فنظرة سريعة للتاريخ بل للواقع الإجتماعي الذي نعيشه الآن في أكثر دول العالم، تعطينا صورة واضحة عن الطبقية الحاكمة في أغلب مجتمعاتنا، سواء الطبقية القومية أو الإقتصادية أو غيرها من ألوان التمييز الطبقي. فحتى في اكثر دول العالم تطوراً وحداثة وادعاء للديمقراطية وحقوق الإنسان نرى فيها سمات واضحة لتلك الطبقية. فعلى المستوى القومي نرى الزنوج لا يزالون يعانون من التمييز العنصري البغيض في تعامل البيض معهم في الإدارات ومراكز الشرطة وما شاكلها في بعض الدول. وهكذا على المستوى الإقتصادي حيث يرزح الكثير من المواطنين تحت وطأة الفقر والحرمان، مع ما يتمتع به الآخرون من ثراء ورخاء، حتى

١ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥١ / ٨٥.

٢ـ منتخب الأثر: ٣٧٩.

أنه لتستوقفك ظاهرة المتسولين والمستوطنين للشوارع في كثير من الولايات في أمريكا عملاقة الإقتصاد العالمي.

وإذا ما نظرنا إلى المسالة في إطارها العالمي الأوسع سوف نرى بجلاء أن الهوة بين الشمال والجنوب بدأت تتسع بشكل مطّرد، وسوف تزداد اتساعاً في المستقبل كما يبشر به صنّاع العولمة.

أما في الدولة المهدوية المباركة فسوف لن تكون هناك قومية غربية أو شرقية محترمة، وقوميات أخرى محتقرة ومضطهدة، ولن يكون هناك شمال منعّم ومرفّه، وجنوب محروم ومدمّر. الجميع في الدولة العادلة سوف يحظى باحترامه وحقوقه دون أي تمييز. طبعاً مع الإشارة إلى أننا لا نقصد بذلك أن يتساوى الجميع في الحالة المعيشية، لأن الإختلاف هو سنة الله في خلقه، وهو ما تقتضيه طبيعة الأشياء. ولكن نقصد أن المجتمع المهدوي مع أنه لا يخلو من الإختلاف والتفاوت، إلا أن هذا التفاوت لن يكون فاحشاً، بمعنى أنه لا يتمدد البعض على حساب البعض الآخر. فالجميع مكفول لهم العيش الكريم، ويتفاوتون في ما عدا ذلك. وبعبارة أوضح: إن الحد الأدنى من العيش الكريم، المال، الوظيفة، الخدمات، التأمين الصحي... الخ، مكفول للإنسان، بحيث يشعر الإنسان بكرامته، والتفاوت يكون في ما عدا ذلك.

والنتيجة: إن المقياس في المجتمع المهدوي هو الدين، والميزان هو التقوى. وما دام المجتمع كله مؤمناً تقياً فسوف يكون متساوياً في الحقوق والواجبات. وسيحظى الجميع بحقوقهم كاملة غير منقوصة، ولن يكون هناك شخص يشعر بالغبن، أو بذهاب حقه.

جاء في حديث جعفر بن سيار: «**يبلغ من رد المهدي المظالم حتى لو كان**

تحت ضرس إنسان شئ انتزعه حتى يرده»[١]. وفي حديث علي بن عقبة: «إذا قام القائم حكم بالعدل، وارتفع في أيامه الجور، وآمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها، ورد كل حق إلى أهله»[٢].

وهناك أمر آخر تحدثت عنه الروايات، وهو انتشار السلامة الصحية في المجتمع المهدوي. فستنتهي الأمراض الفتاكة التي هددت الأمن الإجتماعي وأقضّت مضاجع الناس لفترات طويلة. جاء عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إذا قام القائم أذهب الله عن كل مؤمن العاهة، ورد إليه قوته»[٣].

وذلك قد يرجع إلى الثقافة الصحية التي سوف تحكم المجتمع، أو إلى التطور العلمي الذي سوف يصل إليه المجتمع المهدوي، بحيث تتطور كل العلوم بما فيها علم الطب بآلياته ووسائله، وسيجد العلاج لكثير من الأمراض المستعصية التي فتكت ولا زالت بالبشرية. أو يرجع ذلك إلى الصحة النفسية التي تلعب ولاشك دوراً كبيراً في الصحة الجسدية. حيث أن كثيراً من الأمراض الجسدية لها مناشئ نفسية كما يقرر علم الطب الحديث، وكما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «من كثر همه سقم بدنه».

ولاشك أن الناس في زمان الإمام المهدي عليه السلام سوف يحظون بصحة نفسية تامة، وذلك لزوال مناشئ الأمراض النفسية من الجذور. فمن أسبابها الفقر، والخوف، والمشاكل الإجتماعية والأسرية التي تعصف بالإنسان، والابتعاد عن الله تبارك وتعالى وعن الأمور الروحية والمعنوية، كما يقرر

١ـ ن. م: ٣٧٩.

٢ـ ن. م: ٣٧٩.

٣ـ معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٣ / ١٩٢.

القرآن ذلك بوضوح عندما يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾.

فالأمراض والعقد النفسية التي تعاني منها البشرية، خصوصاً في عالمنا المعاصر الذي جرّت عليه المدنية الحديثة الاف العقد والمشاكل النفسية، سوف تزول من المجتمع المهدوي بزوال مناشئها وأسبابها، وسوف تزول بزوالها كثير من الأمراض الجسدية المستشرية.

وقد ترجع الصحة الجسدية في جانب منها أيضاً إلى الإلتزام الديني، وتطبيق تعاليم الإسلام بحذافيرها. لأننا نرى أن كثيراً من الأمراض الفتّاكة في عالمنا المعاصر تتولد من انحرافات أخلاقية. فالإيدز مثلاً تلعب العلاقات اللاشرعية فيه دوراً كبيراً كما هو واضح عند الجميع. ولذلك ترى نسبة الإصابة به منخفضة جداً في المجتمعات المحافظة. وهكذا الكثير من الأمراض التي ربما لاندرك بأدواتنا العلمية ارتباطها بالعامل الأخلاقي ولكن الروايات تحدثت عنها بصراحة. كالحديث المنقول عن الإمام الكاظم عليه السلام: «كلما أحدث الناس من الذنوب مالم يكونوا يعملون، أحدث الله لهم من البلاء مالم يكونوا يعدّون».

٧ـ إكتمال العلم

ولا نعني به تطور العلم بنسبة معينة، فإن كل دولة طوّرت العلم شيئاً ما، فلا يكون ذلك من خصائص الدولة المهدوية المباركة، وإنما نعني بذلك انعدام الجهل كانعدام الفقر فيها بجميع أفراده. فكما يرتفع الفقر عن عالم الناس

كذلك يرتفع الجهل، فلا تجد جاهلاً في المجتمع المهدوي إطلاقاً. ستشرق الأرض بنور العلم على يدي الإمام المهدي عليه السلام. فقد ورد في الحديث الشريف عن الصادق عليه السلام: «**العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان... فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً**»[١].

والتطور هو سنة الله تعالى في الخلق التي ما تخلّفت طوال التاريخ، ولا أظن أنها تتخلف فيما يأتي. والتطور العلمي ضرورة ملحة في دولة الإمام المهدي عليه السلام. وذلك لأمرين أساسين:

الأول: إن التطور العلمي الذي وصلت إليه البشرية، أو التي ستصل إليه فيما بعد، يعتبر جزءاً أساسياً من سعادة الناس. وهذه قضية لا يختلف فيها اثنان. وإذا كان المجتمع المهدوي هو أسعد مجتمع على وجه الأرض، فمن غير المنطقي أن يكون فاقداً لهذا الجزء المهم من السعادة. فهل من السعادة أن يقطع الإنسان مئات، بل آلاف الكيلومترات على حمار أو بغلة لمدة طويلة قد تكون أشهراً، بعد أن كان يقطعها بالطائرة في ساعات معدودة، بلا تعب ولا نصب ؟!

وهل من السعادة أن يجلس الإنسان تحت مصباح نفطي أو زيتي ضئيل، يملأ أنفه وأحشاءه دخاناً، بعد أن كان يجلس تحت المصباح الكهربائي وكأنه في وضح النهار ؟!.

أو يبتعد عن أهله وأصدقائه وما يراهم إلا مرة ومرتين في عمره، لبعد السفر، بعد أن كان يراهم ويتحدث معهم عبر الإنترنيت، أينما كانوا، وكلما شاء؟!

١ـ البحار، المجلسي: ٥٢ / ٣٣٦.

الثاني: إن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يحتاج في سيطرته على العالم وإدارته لدولته المترامية الأطراف إلى وسائل الاتصال المتطورة، ووسائل النقل الحديثة. ومن غير ذلك يبدو الأمر شبه مستحيل إلا من خلال المعجزة التي لا داعي لحصولها بعد وجود الطرق الطبيعة المتاحة. ولهذا نرى وكما أخبرتنا الروايات الشريفة، أن الأرض ليس تبقى على تطورها فقط، وإنما سوف تتطور أضعافاً مضاعفة في زمانه عليه السلام. وإليك بعض الأخبار التي تدل على تطور العلم في زمانه سلام الله عليه:

في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام: «**إن قائمنا إذا قام مدَّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم، حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد. يكلمهم فيسمعون، وينظرون إليه وهو في مكانه**»[1].

وعنه أيضاً عليه السلام: «**إن المؤمن في زمان القائم عليه السلام وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي بالمشرق**»[2].

وفي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «**... وعلى هذا حال المهدي عليه السلام، ولذلك يسمى صاحب (المرأى والمسمع). فله نور يرى به الأشياء من بعيد كما يرى من قريب، ويسمع من بعيد كما يسمع من قريب**»[3]. ولا يخفى ما في هذه الروايات من الإشارة إلى وسائل الاتصال الحديثة من تلفون وتلفزيون وإنترنت، حيث تمكن الإنسان وهو في المشرق

---

١ ـ منتخب الأثر: ٦٠٦.

٢ ـ ن. م.

٣ـ معجم أحاديث المهدي عليه السلام: ٣ / ٣٢٦.

أن يرى أخاه في المغرب ويتحدث معه بكل بساطة. وربما تتطور العلوم أكثر من ذلك بكثير فإن العلم يأتي كل يوم بجديد، مما لم يخطر ببال أحد.

وفي الحديث عن الصادق عليه السلام: «**ويبعث الله الريح من كل واد تقول: هذا المهدي يحكم بحكم داود عليه السلام**»[١]. وقد يقصد بذلك الأثير الذي يحمل الصوت، والذي يستخدم في وسائل الاتصال الحديثة.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله عن أشراط الساعة يقول: «**والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، وتخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده**»[٢]. إذ ربما يشير ذلك إلى بعض التقنيات الحديثة كالهاتف النقال مثلاً الذي يعلق على الفخذ.

وعن أبي بصير عن الصادق عليه السلام: «**إنه إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر رفع الله تبارك وتعالى له كل منخفض، وخفض له كل مرتفع، حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته. فأيكم لو كان في راحته شعرة لم يبصرها**»[٣].

وكذلك هناك رواية أخرى تقول: «**إذا قام القائم عليه السلام بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً يقول له: عهدك في كفك فإذا ورد عليك أمر لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك واعمل بما فيها**»[٤]. ولا

١ـ الغيبة، النعماني: ٣١٥.

٢ـ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٥/ ٦٦١.

٣ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢ /٣٢٨.

٤ـ م. س.

يبعد أن يكون ذلك مرتبطاً ببعض التقنيات العلمية الحديثة. هكذا جاء في الأخبار أنه يركب السحاب ويرقى في الأسباب، وأنه ينز ل في سبع قباب من نور عندما ينزل الكوفة[١]. وغير ذلك من الأخبار الأخرى التي لا داعي لحملها على الجانب الإعجازي بعد إمكان تفسيرها بالطريق الطبيعي. والأئمة عليهم السلام تحدثوا عن كثير من القضايا المستقبلية بطريقة رمزية لعدم إمكان إدراكها آنذاك من قبل المخاطبين على ما هي عليه بصورة طبيعية. هذا كله على مستوى التطور التكنولوجي.

أما بالنسبة إلى العلم الديني أو الثقافة الدينية، فتوجد لينا نصوص كثيرة تدل على أنها تتسع اتساعاً كبيراً في دولة الإمام المهدي عليه السلام. وذلك يعتبر ضرورة لتهيئة الأرضية اللازمة لتربية الناس وتكاملهم. فإذا لم يكن الإنسان عارفاً بدينه على مستوى الأحكام والأخلاق والتعاليم التربوية والإيمانية، وإذا لم يكن مثقفاً بثقافة الإسلام لا يمكن أن يتكامل أبداً. ولهذا نلمح ذلك الاطراد الواسع للثقافة في الأخبار الشريفة التي تحدثت عن ذلك. فقد جاء عن أبي جعفر عليه السلام: «**إذا قام قائمنا عليه السلام وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وأحلامهم**»[٢]. ويمكن لنا أن نستنتج من ذلك انعدام الجهل تماماً في الدولة العالمية المباركة لعموم الحديث المبارك.

وعن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**وتؤتون الحكمة في زمانه، حتى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنة رسول الله**

١ـ تفسير العياشي: ١/ ١٠٣.

٢ـ م. س.

صلى الله عليه وآله»[١]. فالمرأة ليست ممتلكة للثقافة الدينية فقط، وانما تملك فهماً وعمقاً كبيراً في أحكام الإسلام، بحيث أنها تحكم في بيتها بكتاب الله.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**كأني أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة قد ضربوا الفساطيط، يعلمون الناس القرآن كما أنزل**»[٢].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**كأني بشيعة علي في أيديهم المثاني يعلمون الناس المثال المستأنف**»[٣]. وغير ذلك من الروايات الأخرى التي تعرضت لهذا الجانب أو أشارت إليه.

٨ـ التكامل العبادي

من الخصائص المهمة التي تحملها دولة الإمام المهدي عليه السلام الخصوصية العبادية. فالصبغة العامة لهذه الدولة الكريمة هي الصبغة الإلهية، حيث تسيّر الناس جميعاً في مسار العبودية الخالصة لله تبارك وتعالى في كل جوانب حياتهم. وبذلك يتحقق الهدف الإلهي من خلق البشرية.

فالله تبارك وتعالى باعتباره حكيماً، لامجال للعبث في أفعاله بحال من الأحوال. فكل أفعاله مغيّاة بغايات وأهداف، وإن كانت هذه الغايات لا ترجع إلى الله تعالى وإنما ترجع إلى العباد أنفسهم كما ثبت في محله. والإنسان ليس مستثنى من هذه السنة، فهو أيضاً خلق من أجل غاية عظمى وهدفٍ سامٍ. وعندما نرجع إلى القرآن الكريم نجد أنه يبين بوضوح الغاية من خلق

١ـ الغيبة، النعماني: ٢٣٩.

٢ـ ن. م: ٣١٧.

٣ـ ن. م: ٣١٨.

الإنسان، حيث يقول عزّوجلّ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾. فالغاية من خلق البشرية هي العبادة الخالصة لله تبارك وتعالى.

وكما قلنا آنفا أن الغاية لاترجع إلى الله عزَّوجلَّ لأنه هو الغني المطلق، وإنما ترجع إلى نفس المخلوق. فالله تبارك وتعالى غني عن عبادة الناس غير محتاج إليها، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين:

«أما بعد، فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمنا من معصيتهم، لأنه لاتضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه». ولكن العباد بعبادتهم لله يصلون إلى أعلى مراتب كمالهم الإنساني. فالإنسان مخلوق زوده الله تعالى بدافع حب الكمال ونشدانه والتطلع إليه. فهو موجود يسعى من أجل كماله الروحي والجسدي، وهذا دافع لايمكن أن ينكره أحد من الناس، باعتبار أنه أمر مغروس في فطرة البشر.

فكل إنسان إنما يسعى إلى كماله، غاية الأمر أنه في كثير من الأحيان يخطئ الطريق إلى الكمال فلا يصل إليه. من هنا كانت وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام هي إرشاد الإنسان إلى طريق كماله، وتوجيه حركته في مسارها الصحيح. والطريق الوحيد للوصول للكمال محصور بطريق العبودية لله تبارك وتعالى، ولهذا ركّز عليه جميع الأنبياء عليهم السلام. يقول عز من قائل: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1].

---

١ ـ سورة النحل: ٣٦.

ويبين لنا القرآن الكريم بالتفصيل رسالة الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين وأن الأساس فيها هو عبادة الله تبارك وتعالى، فيقول: ﴿ **لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾[١]. ﴿ **وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾[٢]. ﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾[٣]. ﴿ **وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾[٤].

فنرى أن الأنبياء الذين بعثوا للأخذ بالإنسان إلى كماله.. ركّزوا على نقطة واحدة وهي العبودية لله تبارك وتعالى، باعتبارها الطريق الوحيد لسعادة الإنسان في الدارين. ومالمْ تسلك البشرية هذا السبيل فلن تصل إلى كمالها وسعادتها أبداً، مهما اجتهدت في إسعاد نفسها. وهدف الأنبياء والكتب السماوية هو خلق مجتمع كامل وعادل يعبد الله ولايشرك به شيئاً، وينبذ كل أنواع العبوديات المختلقة: من مال وجاه وشهوة وطاغوت.. على مستوى المجموع لا بعض الأفراد. مجتمع رباني في كل اتجاهاته.

ولانعني بالعبادة معناها الفردي الخاص الذي يؤدى من خلال المناسك العبادية المعروفة، من صلاة وصيام وحج.. وما إلى ذلك. وإنما العبادة بمعناها العام بحيث يكون الإنسان موجوداً ربانياً في كل شؤون حياته: في فكره وطموحه وعاطفته وسلوكه وعباداته... يكون مصداقاً للآية الكريمة: ﴿ قُلْ

---

١ ـ سورة المؤمنون: ٢٣.

٢ ـ سورة الاعراف: ٦٥.

٣ ـ سورة الاعراف: ٧٣.

٤ ـ سورة الاعراف: ٨٥.

إِنَّ صَلاتِي ونُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

هكذا مجتمع مثالي سوف يتحقق في زمان الإمام المهدي عليه السلام، ويتحقق بذلك الهدف الإلهي الكبير من خلق البشرية. ويمكن استفادة ذلك من بعض الآيات والروايات الشريفة. ففي آية الوعد التي فسرت في الأخبار الشريفة بعصر ظهورالمنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، نلمح هذه المسألة بوضوح. يقول تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2]. فهؤلاء الذين سيحكمون الأرض من المؤمنين في آخر مرحلة من مراحلها سوف يجسدون العبادة الخالصة لله تعالى، العبادة التي لايشوبها أي شئ ﴿ يعبدونني لايشركون بي شيئا ﴾. فعبادتهم عبادة متميزة، وإيمانهم إيمان متميز ومحض ليس فيه أي شائبة شرك، ولا بمقدار ذرة، إذا ما أخذنا بنظر الإعتبار قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾[3].

وهكذا نجد الآية المائة وخمسة من سورة الأنبياء تصف الذين يرثون الأرض في آخر الدنيا بأنهم عباد صالحون: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ

١ـ سورة الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.

٢ـ سورة النور: ٥٥.

٣ـ سورة يوسف: ١٠٦.

الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[١]. وهكذا الحال في الروايات الشريفة. فعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «**يقاتلون ـ أي أصحاب الإمام المهدي عليه السلام ـ حتى يوحّد الله ولا يشرك به شيئاً**»[٢].

١سورة الأنبياء: ١٠٥.

٢ـ منتخب الأثر، الكلبايكاني: ٣٧٩.

الفصل الرابع

أساليب قيام الدولة العالمية

الفصل الرابع

أساليب قيام الدولة العالمية

من المواضيع المهمة المطروحة بين يدي البحث، موضوع طرق وأساليب قيام الدولة المهدوية المباركة. وقد يلفّ الغموض هذه الناحية من قضية الإمام المهدي عليه السلام في أذهان الكثير من الناس. كما قد تتضارب الأخبار فيها أيضاً.

فهناك من يستبعد نجاح الإمام عليه السلام في مقارعة الاستكبار العالمي والقضاء عليه، لما يملكه الأخير من أسلحة فتاكة وتكنولوجيا متطورة. وهناك من يستبعد إمكان السيطرة على كل العالم، خصوصاً في آخر الزمان، حيث يتسع العالم اتساعاً كبيراً. ففي هذه الأجواء تطرح عدة أسئلة ملحة ترتبط بهذا الجانب:

هل ينتصر الإمام المهدي عليه السلام بالمعجزة، أم أنه يستخدم عنصر القوة المادية، أو يستسلم العالم له فيفتحه من غير قتال ؟.

هل سيقاتل بالسيف كما تذكر بعض الأخبار، أم يستخدم الأسلحة الحديثة ؟.

وغير ذلك من الأسئلة الكثيرة، التي سنحاول الإجابة عليها من خلال

طرح مجموعة من التصورات، ومن ثم نقدها ومناقشتها على ضوء الروايات الشريفة والقواعد العامة.

في المقام نقول أن هناك ثلاثة أساليب متصورة حول كيفية انتصار الإمام المهدي عليه السلام وإقامة دولته الكريمة، وهذه الأساليب لا تتقاطع فيما بينها، وإنما تتكامل ويعضد بعضها بعضاً في تحقيق الهدف المنشود، نعم الانتصار ليس قائماً على أحدها فقط كما سيتضح في مستقبل البحث، وهذه الأساليب هي[1]:

الأسلوب الأول: المعجزة

وذلك بأن يصلح الله تبارك وتعالى له أمره ويهيئ له الأمور بقدرته اللامتناهية، من دون أن يحرك ساكناً، أو يخوض حرباً، أو يسفك دماً، أو يبذل جهداً. سواء من خلال إذعان الناس له وتسليمهم لأمره، بان يقذف الله عزَّوجلَّ طاعته وامتثال أمره في قلوب الناس عن طريق التصرف التكويني في أفكارهم ومشاعرهم (الهداية التكوينية). أو من خلال نصره على أعدائه بجنود لا يرونها وبآليات غيبية ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾. وقد نجد ما يؤيد هذه الفكرة عقلاً ونقلاً.

أما عقلاً فقد يقال: إن الهدف الذي يسعى له الإمام المهدي عليه السلام هدف إلهي كبير يهتم به الله تبارك وتعالى كثيراً، لأنه خلق الخلق من أجله، وبعث الأنبياء لتحقيقه، ووعد الناس بإنجازه، ولن يخلف الله وعده. وهذا

---

١ ـ هذه الأساليب الثلاثة ذكرها السيد الشهيد محمد الصدر رحمه الله في كتابه القيم (تاريخ ما بعد الظهور) وأسهب في بيانها فليراجع من أراد المزيد.

الهدف الكبير هو إقامة المجتمع العادل الكامل، الذي يعبد الله ولا يشرك به شيئاً. فكما أن الله تعالى ادخر الإمام المهدي عليه السلام وأطال عمره وحفظه وغيبه من الظالمين من خلال المعجزة، فكذلك سوف يتمم له وعده ويحقق له هدفه بالمعجزة أيضاً.

وأما نقلاً، فقد نلمح في بعض الروايات الشريفة ما يؤيد هذا التصور. ففي الحديث الشريف عن أبي جعفر الجواد عليه السلام: «**وإن الله ليصلح له أمره في ليلة كما أصلح أمر كليمه موسى عليه السلام إذ ذهب ليقتبس لأهله ناراً فرجع وهو نبي**»[1]. ومثله أيضاً الحديث الوارد عن الإمام الحسين عليه السلام.

إلا أنه يمكننا أن نلاحظ على ذلك عدة ملاحظات:

أولاً: إن المعجزة تتعين عندما تسد كل الطرق الطبيعية الموصلة إلى الهدف وينحصر الطريق بها. وهذا ما نلحظه عند مطالعتنا لسيرة الأنبياء عليهم السلام. فموسى عليه السلام شق له البحر بعد أن أدركهم فرعون بجنوده ولم يكن بهم طاقة لقتالهم، فحوصروا من الخلف ومن الأمام، ففتح الله لهم طريقاً في البحر يبساً ومن خلال المعجزة. ولكن عندما كان بهم قوة على قتال الجبابرة لم يؤيدهم الله تعالى بالمعجزة عندما قالوا لموسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، لأنه كان بالإمكان أن ينتصروا عليهم بأنفسهم بمعونة الله تبارك وتعالى. وإبراهيم عليه السلام عندما وضع بالمنجنيق وقذف في لهوات النار، لم يكن هناك طريق لإنقاذه غير أن يجعل الله

---

١ ـ كمال الدين، الصدوق: ٣٥١، كفاية الأثر، القمي: ٢٧٦.

النار برداً وسلاماً. وذو القرنين آتاه الله من كل شئ سبباً فأتبع سببا.

فالمعجزة إذن إنما تتعين عندما ينحصر الطريق فيها. أما إذا كان بالإمكان أن يصل النبي أو الوصي إلى هدفه من خلال الطريق الطبيعي، فلا موجب حينئذ للمعجزة. وسوف يتضح لدينا في مستقبل البحث أن بإمكان الإمام المهدي عليه السلام أن ينتصر من خلال الطرق الطبيعية للانتصار، مع تأييد الله تبارك وتعالى له.

ثانياً: نحن نعرف من خلال ملاحقتنا لسيرة الأنبياء عليهم السلام أن دعوتهم لم تكن قائمة على أساس المعجزة والعنصر الغيبي المطلق في خط الإنتصار وتثبيت كلمة التوحيد وبناء المجتمع الفاضل، وإنما كانت قائمة على أساس الجهد البشري المتحرك في خط الدعوة إلى الله تبارك وتعالى مع المدد الإلهي عند الوصول إلى طريق مسدود. وهكذا سيكون حال الإمام المهدي عليه السلام. أي أنه سيعتمد على الجهد البشري العادي في الصراع مع المستكبرين، وسيفيد من المدد الغيبي والعنصر الإعجازي في المواقف التي يسد فيها الطريق الطبيعي، ويعجز فيها الجهد البشري عن تحقيق الإنتصار. كما في قضية الخسف مثلاً، حيث يتوجه جيش جرار من قبل السفياني لقتال الإمام المهدي عليه السلام ووأد نهضته في مهدها، فيأتي التأييد الإلهي (الإعجازي) فيخسف الأرض بالجيش، باعتبار أن الإمام المهدي عليه السلام لم تكتمل قواه البشرية بعد من عدة وعدد.

ثالثاً: لو كان الأمر كله قائماً على أساس المعجزة لكانت قضية الإمام المهدي عليه السلام أمراً مستأنفاً، ولم تكن هناك حاجة إلى الغيبة والإنتظار،

بل كان بالإمكان أن يتدخل الله تعالى مباشرة ويقلب الموازين لصالح أهل الحق والهدى، وينتهي كل شئ في الزمان الأول.

رابعاً: الرواية الشريفة المنقولة عن الإمامين الحسين والجواد عليهما السلام التي تقول بأن الله يصلح له أمره في ليلة كما فعل ذلك بكليمه موسى عليه السلام يمكن الملاحظة عليها بأنها معارضة بكثير من الروايات التي تدل على معاناته في ثورته من جهة، وتأخر الإنتصار التام عدة أشهر من جهة أخرى. ففي الرواية عن أبي جعفر عليه السلام، قال له بشير النبال: إنهم يقولون: إن المهدي عليه السلام لو قام لاستقامت له الأمور عفواً، لا يهريق محجمة دم ؟

قال عليه السلام: «كلا والذي نفسي بيده لو استقامت لأحد عفواً لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله، حين أدميت رباعيته، وشج في وجهه. كلا والذي نفسي بيده حتى نمسح نحن وأنتم العرق والعلق. ثم مسح جبهته»[1].

وعن الإمام علي عليه السلام: «يفرج الله الفتن برجل منا، يسومهم خسفاً، لا يعطيهم إلا السيف. يضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر هرجاً»[2].

فلابد إذن أن نحمل الرواية الشريفة على أن الله تعالى يهيئ له الظروف المناسبة للظهور، والمقدمات الضرورية له في ليلة واحدة، لا أنه يكتسح العالم كله بليلة واحدة. خصوصاً وأن الرواية شبهته بموسى سلام الله عليه. وموسى عليه السلام لم يحقق له الله تعالى النجاح التام والإنتصار على فرعون وإنقاذ بني إسرائيل في ليلة واحدة كما هو واضح.

١ـ الغيبة، النعماني: ٢٨٤.

٢ـ كتاب الفتن، ابن حماد: ٢٤٤.

إذن يتبين من كل ذلك أن المعجزة ليست هي الأسلوب الوحيد في انتصار الإمام المهدي عجل الله فرجه وإقامة دولته المباركة، وإنما هي أحد العناصر في حركته، يمده الله تعالى بها عندما تعجز السبل الطبيعة في تحقيق الهدف في بعض مراحل حركته الشريفة، جنباً إلى جنب مع جيوشه وأنصاره، وسيمده الله بجند من الملائكة مسومين يقاتلون بين يديه.

الأسلوب الثاني: الفتح السلمي

بأن نفترض أن الإمام المهدي عليه السلام يفتح العالم سلمياً بلا إراقة دماء، ولا إزهاق نفوس، ولا تحشيد عساكر. تسلم الناس إليه أزمة أمورها، وتلقي إليه أواصر الطاعة، وتنضوي تحت لواءه بكل قناعة واختيار. لكن ليس من خلال المعجزة، وإنما من خلال القنوات الطبيعية كالحوار مثلاً الذي سيستخدمه عليه السلام بشكل مكثف وكبير من أجل إقناع الناس بحقانية دعوته. ويمكن لنا أن نفترض اثنين من الدواعي لذلك:

الأول: بلوغ المجتمع البشري قمة الإنحراف، وغرقه إلى هامته في الفساد، وامتلاء الأرض ظلماً وجوراً، سيؤدي إلى ضجر الناس وسأمها من الأوضاع المقيتة التي تراوح فيها، وانتظارها وتحديقها بكل أمل يلوح في الأفق يمكن أن يأخذ بيدها وينتشلها من هوتها. وعندما يظهر الإمام المهدي عليه السلام ويعلن أهدافه العادلة ويطرح خططه ومشاريعه الإصلاحية، تدخل الناس في دعوته أفواجاً، مدفوعة بما ينتابها من حب للخلاص، ومن فكر ووعي عميق وخبرة طويلة اكتسبتها من خلال تجربتها لمختلف المذاهب والتيارات الفكرية والإجتماعية التي تدعي امتلاكها الحلول الفريدة لتخليص

العالم، والتي ظهر فشلها في انتشال العالم من الضياع الذي يرزح فيه. فتتشخّص حينئذ حقانية المشروع المهدوي ونجاحه وعدالته.

الثاني: رجوع الإسلام إلى الحياة العالمية بقوة واندفاع كانفجاره الأول الذي ملك به الساحة العالمية وتفرد بالتأثير فيها. وتطور المسلمين على كل الأصعدة: فكرياً، وسياسياً، واقتصادياً، وإجتماعياً، حتى يصبح الإسلام المثال الحي للأطروحة العالمية الناجحة، ويصبح المجتمع الإسلامي المثال الفريد للتطور الحضاري، فيلفت نظر البشرية إلى عظمته وإلى منجزاته الكبيرة على كل المستويات. ويعضد ذلك الجهود التبليغة العظيمة التي سيقوم بها المسلمون لتوعية العالم بالاطروحة التي يؤمل لها أن تحكم العالم في المستقبل، مستفيدين من تكنولوجيا الإتصال المتطورة، وموظفين عطش الناس إلى الإسلام ونقمتهم على الوضع المقيت الذي يعيشون تحت وطأته. بحيث عندما يظهر الإمام المهدي عليه السلام يجد الأمور ممهدة له، فيقود المسيرة، ويسرع بتطبيق مشروعه الذي اتضحت للعالم معالمه الرئيسية وأهدافه العادلة.

وهذا التصور له ما يؤيده في بعض الأخبار. فمثلاً: نقرأ في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يبايع المهدي بين الركن والمقام لا يوقض نائماً ولا يهريق دماً**»[1].

وأخرج السيوطي في الحاوي، عن نعيم بن حماد، عن علي عليه السلام قال في حديث: «**... وتنقل إليه الخزائن، ويدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال**»[2].

١ـ عقد الدرر، المقدسي: ٢٠٦.

٢ـ الفتن، ابن حماد: ٢٤٤.

وعن مشاعر الناس تجاه الإمام المهدي عليه السلام تحدثنا الرواية التالية عن الإمام علي عليه السلام: «**إذا نادى منادٍ من السماء أن الحق في آل محمد فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويشربون حبه، ولا يكون لهم ذكر غيره**»[١].

ولكن يمكن الملاحظة بأن ذلك ليس ثابتاً على إطلاقه. نعم سيكون هناك جانب كبير من التوجه نحو المنقذ، وهناك تطلع للفجر الجديد، وعطش للعدل المهدوي، وشئ من التمهيد له ولكن من دون أن يصل إلى المستوى المذكور بحيث يجعل الناس يسلمون جميعاً أمرهم للإمام سلماً. كيف وقد تحدثت الروايات عن مواجهة ومجابهة الظالمين له، ودخولهم معه في حروب دامية.

فالغرب الذي يمثل الثقل الحضاري في عالمنا يسير إلى مزيد من التجبر والإستعلاء بعد أن قفز قفزات واسعة في شتى مجالات الحياة العلمية والعملية، التي تورث بدورها حالة من الطغيان والغرور كما هو القانون البشري المعروف. وكلما ازداد تطوره ازداد غروره. والحياة عموماً تتجه نحو الماديات بصورة كبيرة، مما يلغي قانون الأخلاق، و يعدم نور الضمير، ويخمد شعلة الفطرة الباهتة أساساً في عالمنا المعاصر. وأما المسلمون فلن يكونوا بحالة يحسدون عليها، وهذا ما نلمحه في المستقبل القريب عند استشرافه، وفي المستقبل البعيد كما حدثتنا بذلك الروايات الشريفة التي تحدثت عن المصاعب التي سوف يمر بها المسلمون قبيل عصر الظهور، والفتن المتعددة الأبعاد التي سوف تعصف بهم، ورسمت لنا صورة قاتمة عن أوضاع الناس يوم ذاك، بحيث

١ـ الملاحم، ابن المنادي: ١٩٦.

يتمنى المؤمن الموت صباحاً ومساءاً على حد تعبير بعض الروايات. وقد أخبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بمستقل الإسلام عندما قال في حديثه المشهور: «**إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء**»[١].

ونلمس في بعض الروايات أن مشاعر الناس ليست إيجابية تماماً تجاه الإمام المهدي عليه السلام، ففي بعض الروايات أن بضعة عشر من الناس يقولون له: ارجع فلا حاجة لنا ببني فاطمة [٢].

وفي الحديث عن الصادق عليه السلام أنه قال لبعض أصحابه: «**إذا ظهرت راية الحق لعنها أهل المشرق والمغرب أتدري لم ذلك ؟**.

قال: لا.

قال: **للذي يلقى الناس من أهل بيته قبل خروجه**»[٣]. وفي نص آخر: «**مما يلقون من بني هاشم**»[٤]. وإن كانت هذه المشاعر السلبية سوف تتلاشى شيئاً فشيئاً عندما يلمس الناس صدق الإمام المهدي عليه السلام، ويعون اختلافه عمن سبقه من الحكومات والمذاهب السابقة على الظهور. فالحديث عن أن الأمور مهيئة تماماً له عليه السلام وأن الناس كلها معدّة للاقتناع بدعوته ليس صحيحاً (بصورة مطلقة). نعم سيدخل جزء كبير من الناس سلماً في أمره وينضوون عن قناعة تحت لواءه.

أما بالنسبة إلى الروايتين اللتين ذكرناهما في البداية، واللتين قد يستدل

١ـ منتخب الأثر: ٥٤١.

٢ـ الإرشاد، المفيد: ٣٨٤.

٣ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢ / ٣٦٣.

٤ـ ن. م.

بهما على فكرة الفتح السلمي، فالحقيقة أنهما لا يدلان على ذلك· فالرواية التي تقول أنه لا يوقظ نائماً ولا يهريق دماً تشير إلى ظروف البيعة في مكة المكرمة· فعندما يبايع عليه السلام بين الركن والمقام تتم البيعة في ظروف هادئة، من دون أن يحصل هنالك جو من العنف والقتال، لا أنها تريد أن تنفى ذلك على طول الخط· كيف والأخبار تشير إلى حروبه وقتاله المنحرفين وتحشيده الجيوش، وهي روايات مستفيضة·

أما الرواية الأخرى التي تتحدث عن دخول الروم وأهل الحرب تحت رايته طوعاً، فهي على الظاهر تشير إلى مرحلة متأخرة من الحركة المهدوية، وذلك بعد أن تتم له السيطرة على معظم العالم الإسلامي، وبعد أن ينتصر على السفياني الذي يعتبر أهم قوة عربية تواجهه· ويتضح ذلك عندما نلاحظ صدر الحديث الذي لم ننقله لطوله· فصدره يقول: «**إذا بعث السفياني إلى المهدي جيشاً، فخسف بهم بالبيداء... ثم بعد أن يذكر معاركه مع السفياني وانتصاره عليه يقول: ويسير المهدي عليه السلام حتى ينزل بيت المقدس، وتنقل إليه الخزائن، وتدخل العرب والعجم و أهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال**»[١].

نخلص من جميع ما تقدم إلى أن أسلوب الفتح السلمي لن يكون هو الأسلوب الوحيد في انتصار الإمام المهدي عليه السلام، وإن كان جزءً من حركته، حيث لا شك أن كثيراً من الناس سوف يدخلون تحت رايته، ويقتنعون بدولته نتيجة للعوامل التي ذكرناها في بداية هذه النقطة لكن من دون أن يكون الفتح السلمي هو الأسلوب الوحيد للفتح العالمي·

١ـ م· س·

الأسلوب الثالث: الفتح العسكري

نتصور أن الإمام عليه السلام عندما يظهر ويدعو الناس إلى نفسه ويطرح مشاريعه الإصلاحية، سوف يقتنع به الكثير من الناس وينضوون تحت لواءه طائعين، ولكن مشاريعه الإصلاحية سوف لا تنسجم مع مصالح المستكبرين والمستبدين الذين يعيشون على حرمان الناس ويمتصون دمائهم. فسوف تقوم قائمتهم ويحسون بالخطر قد أحاط بهم وراح يهدد كل وجودهم، فيجندون كل أتباعهم، من أتباع الدنيا وعبدة الشهوات، ويستنفرون كل طاقاتهم لمواجهة الإمام المهدي عليه السلام. وسوف يقاتلهم وينتصر عليهم بما يملكه من عناصر قوة متعددة سنشير إليها، بالإضافة إلى المدد الإلهي الذي سيقف إلى جنبه في أحلك الظروف والحالات. وهذا تصور معقول تؤيده الروايات وتقتضيه طبيعة الأشياء. وهنا تبرز عدة تساؤلات لابد من الإجابة عليها، ولعلها غامضة عند كثير من الناس الذين يريدون الإطلاع على تفاصيل حركته المباركة.

ـ هل أن الحياة ستبقى على ماهي عليه، أم سترجع إلى الوراء قروناً وقرون؟

ـ وعلى ذلك هل سيقاتل الإمام المهدي عليه السلام بالسيف، أم بالأسلحة المتطورة ؟

ـ وكيف يستطيع مواجهة الإستكبار العالمي مع قلة إمكاناته بالنسبة لهم؟

ـ ماهي تفاصيل الفتح، ومن أين يبدأ، وأين ينتهي ؟. وغير ذلك من الأسئلة الأخرى التي نحاول الإجابة عليها فيما يأتي.

العالم قبل الظهور

قد يقال في هذا الصدد أن الروايات تحدثت عن بعض الظروف وعن بعض الوسائل التي يستخدمها الإمام عليه السلام في دعوته المباركة مما قد يستشف منها أن العالم إبّان الظهور يكون عالماً بدائياً بسيطاً· من قبيل الروايات التي تحدثت عن قتاله بالسيف، وعن استخدامه للخيول في حربه وما شاكل ذلك من الأمور التي ربما توحي أن العصر الذي سيظهر فيه الإمام عليه السلام ليس عصراً متقدماً ومتمدناً· وربما يدعم ذلك بتصور البعض حول ما ينشر من تقارير تستشرف المستقبل وتهدد الناس بمصير خطير ينتظر البشرية، فيرى أن الأرض ستفقد حصيلة عمرها و وترجع إلى الوراء، إلى الحياة البدائية·

حيث نرى أن سكان الأرض تتزايد أعدادهم يوماً بعد يوم وبصورة مذهلة· وفي مقابل ذلك نجد نقصاً حاداً في مصادر الطاقة والموارد الطبيعية· وتبرز أمام المتابع لأحداث المسرح العالمي مؤشرات كثيرة تنذر بمستقبل خطير ينتظر المجتمعات البشرية· فالتصحر يكتسح مساحات واسعة من الكرة الأرضية، وهناك انخفاض حاد في منسوب المياه في مواقع كثيرة من العالم، بما ينذر بحالة مريرة من الجفاف حدت ببعض المراقبين أن يقول بأن الحروب القادمة ستكون هي حروب المياه·

الأرض تزداد حرارتها بصورة مطردة، والبيئة تزداد تلوثاً بفضلات المصانع والغازات والنفايات الكيماوية· آلاف الصواريخ النووية والقنابل الذرية التي تستطيع أن تدمر الكرة الأرضية مرات عديدة لتهور بسيط··· كل ذلك ينذر بمصير مخيف ينتظر البشرية· من أجل ذلك قد يرى البعض أن

الأرض سوف تفقد ازدهارها وتطورها وترجع في مسارٍ معاكس إلى الوراء.

إلا إنه يمكن الملاحظة على ذلك بأن ما ذكر من استشراف للمستقبل ونقصان في الموارد الطبيعة وما شاكل ذلك مما ذكر أو يذكر، يمكن أن يقدم أمامه تصور معاكس. بأن يقال أن جهود البشر سوف تتكاتف وتتكاثف للتغلب على مشاكل الطبيعة: من خلال اكتشاف مصادر أخرى للطاقة، وتحسين وضع المحاصيل الزراعية، وإصلاح الأرض، واستدرار أكبر قدر ممكن من خيراتها، والسيطرة على المياه، وبناء السدود العظيمة للتحكم بها، وإبراز خطط تنموية ناجحة، والقضاء على تلوث البيئة، وتحديد النسل، وتطوير علاج الأمراض المستعصية، ومعاهدات حظر التسلح، وغير ذلك من الأمور الأخرى. كل ذلك قد يكون بشير خير يؤمن حياة أفضل للناس في المستقبل.

أما ما ورد من لفظ السيف والرمح وغيرها من الأمور التقليدية في الأخبار، فبإمكاننا حملها على المعنى الرمزي، أو على المعنى الكنائي. فكثيراً ما نقول في محاوراتنا مثلاً: بيننا وبينكم السيف، أي ليس بيننا وبينكم إلا الحرب والقتال، حتى ولو كنا نقاتل بالرشاشات والمدافع. على أنه وردت بعض الخصائص الغريبة لسيفه الذي يوجهه للجبل فيندك، بحيث يمكن حملها على المحمل الرمزي، وأن ذلك يشير إلى بعض الأسلحة المتطورة التي سيستخدمها. وكذلك ما ورد في صفة فرسه، وأيضاً ما ورد من أنه ينزل في سبع قباب من نور عندما ينزل الكوفة[1]. إذ قد يشار بذلك إلى بعض المركبات الجوية المتطورة.

١ـ تفسير العياشي: ١/ ١٠٣.

والذي يقوى في النفس أن الأرض سوف تبقى على ما هي عليه، وحتى لو تأخرت بعض التأخر فلا تصل إلى الحد الذي كانت عليه قبل تطورها وازدهارها· وهذه هي سنة الله تعالى في الخلق منذ بدء التاريخ الإنساني، حيث رأينا أن الإنسان سار في طريق الصعود شيئاً فشيئاً إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن· وحتى عندما حدثت بعض الحروب المدمرة والحملات الهمجية، لم ترجعه لبداية التاريخ، وإن أوقفت تقدمه حيناً ما، أو رجعت به خطوات قليلة إلى الوراء·

أضف إلى ذلك أن المجتمع المهدوي هو أسعد مجتمع وجد على الأرض، ومن غير المنطقي أن يفقد جزءا كبيراً من سعادته بفقدانه الخدمات الكثيرة التي يسخرها له التطور التكنولوجي·

وهكذا نرى أن الإمام المهدي عليه السلام لا يمكنه أن يسيطر على العالم كله ويدير دولته المترامية الأطراف من دون منجزات العلم الحديث إلا من خلال المعجزة، وقد قلنا أنها لا داعي لها مع وجود الطريق الطبيعي· مع أننا استعرضنا في ما سبق مجموعة من الأحاديث التي يستشف منها التطور العلمي الكبير الذي سيكون في عصر الظهور·

اللهم إلا أن يقال بأن الروايات التي تحدثت عن التطور العلمي قبل الساعة أو حين الظهور، إنما تدل على أن الإمام المهدي عليه السلام هو الذي يعمر الأرض بعد خرابها، ويطورها بعد تخلفها· ولكن هذا بعيد بحسب تصوري· لأنه ما المصلحة في خراب الأرض قبل الظهور، ولماذا ينفق الإمام عليه السلام الكثير من الوقت والجهد في سبيل إعمار الأرض وإرجاعها إلى سابق عهدها قبل الظهور في حين أنه من الممكن بقاءها على ما هي عليه قبل

الظهور. أضف إلى ذلك أن بعض الروايات دلت على أنه يضيف إلى العلم علماً، وكأنه يكمل ما كان قبله، لا انه يلغيه ويؤسس من جديد.

وعلى كل حال، وأيّاً كانت الظروف العالمية التي سيظهر فيها الإمام المهدي عليه السلام، فإنه باعتقادنا سوف ينتصر ويقيم دولته العالمية المباركة، لعناصر القوة الكثيرة التي يملكها عليه السلام، مستفيداً من تقنيات عصره، ومن وسائل الحرب المتوفرة فيه، وفوق كل ذلك المدد الغيبي الذي سيسعفه عند قصور العناصر المادية.

عناصر القوة عند الإمام المهدي (ع):

هناك عناصر قوة كثيرة تتوفر عليها جبهة الإمام المهدي عليه السلام، تجعله قادراً على دحر أعدائه رغم تفوقهم بالعدد والعدة. وسنذكر بعضها على نحو الإيجاز.

أولاً: القيادة الحكيمة

فالقيادة الحكيمة الواعية وذات الخبرة الطويلة، والتجربة الغزيرة، لها أثر كبير في رجحان كفة الإنتصار لصالح بعض الجبهات ضد أعدائها. فربَّ جبهة تتوفر على عدد كثير وتسليح كبير، إلا أنها تفتقر إلى قائد ميداني حكيم، بالأمور بصير، تخسر المعركة مع أعدائها. والعكس بالعكس. والدور الكبير للقائد في الإنتصار لا يخفى على كل من طالع حروب التاريخ المتنوعة. والإمام المهدي عليه السلام قائد معصوم، مسدد من قبل الله سبحانه وتعالى. وبغض النظر عن ذلك هو قائد حكيم يملك تجربة طويلة، وخبرة واسعة،

عاصر من خلالها البشرية في حربها وسلمها، ويعرف جيداً نقاط القوة والضعف في أعدائه، وهذا امتياز كبير في جبهته المباركة[١].

ثانيا: الجيش المقتدر

فعندما نطالع الروايات الواردة في أصحابه وأنصاره، نجد أنها تتحدث عن نموذج فريد في القوة والصلابة، والإستقامة والإستماتة. ففي الرواية عن الصادق عليه السلام: «ما كان قول لوط ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ إلا تمنياً لقوة القائم وشدة أصحابه. وهم الركن الشديد. فإن الرجل منهم يعطى قوة أربعين رجلاً، وأن قلب الرجل منهم أشد من زبر الحديد، لو مروا بالجبال لتدكدكت، لا يكفون سيوفهم حتى يرضى الله عزوجلّ»[٢].

وفي الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «فإذا قام قائمنا، وظهر مهدينا كان الرجل ـ من شيعته ـ أجرأ من ليث، وأمضى من سنان»[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «ويحاً لطالقان. فإن لله عزَّ وجلَّ فيها كنوزاً ليست من ذهب ولا فضة، ولكن رجال عرفوا الله حق معرفته، وهم أنصار المهدي عليه السلام في آخر الزمان»[٤].

---

١ ـ مما لابد من الإشارة إليه أن الإمام المهدي عليه السلام هو إمام معصوم مسدد من قبل الله تعالى، ولايحتاج في علمه إلى طول خبرة وتجربة، فإن الأئمة عليه السلام صغيرهم وكبيرهم في العلم سواء، ولكن إذا ما تجاوزنا هذه النقطة عند من لا يؤمن بها فإنه يكفي في قوة قيادته عمق تجربته.

٢ ـ منتخب الأثر: ٦١٣.

٣ـ ن. م.

٤ـ كنز العمال، المتقي الهندي: ١٤ / ٥٩١.

وعندما نلاحظ هذه الروايات وأشباهها، نجد أنها تتحدث عن قوة مادية لأصحاب القائم عليه السلام، حتى أن الرجل منهم يعطى قوة أربعين رجلاً· وتتحدث عن قوة معنوية، تتمثل في رسوخ إيمانهم، وثبات جنانهم، حتى أن قلب الرجل منهم كزبر الحديد· ونحن نعرف أن للمعنويات المرتفعة عند الجيش أثراً كبيراً في الإنتصار· فالجيش الذي يقاتل بمعنويات هابطة، وعزائم متفسخة، ونفوس خائرة، لايمكن أن ينتصر حتى ولو كان مسلحاً بأحدث الأسلحة· وقد كان السبب الرئيس في انتصار المسلمين الأوائل على أعدائهم في الحروب المتعددة وغير المتكافئة في كثير من الأحيان، هو إيمانهم العميق، وحبهم للموت في سبيل الله، وصبرهم على الأذى في ذات الله تبارك وتعالى· أما الكفرة وأعداء الحق فلا يملكون مثل هذه الخصائص النفسية المتميزة · يقول القرآن الكريم متحدثاً عن اليهود: ﴿ **لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ** ﴾[1].

ويحدثنا القرآن أيضاً عن ظروف صعبة مرت بالمسلمين الأوائل، فما أوهت عزمهم، ولا أضعفت قوتهم، بل زادتهم إيماناً إلى إيمانهم، وإصراراً إلى إصرارهم· يقول تعالى: ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾[2].

١ـ سورة الحشر: ١٤·

٢سورة آل عمران: ١٧٣·

ثالثا: التأييد الإلهي

تكفل الله تبارك وتعالى لجميع الذين يقاتلون في سبيله بصدق وإخلاص بالعون والمدد والنصر. وهذا ما تظافرت به الآيات الكريمة. يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[١]، ويقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٢]، ويقول: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[٣]. وهذه سنة إلهية ثابتة لا تتبدل ولا تتحول، وسوف تكون شاملة للإمام المهدي عليه السلام وأصحابه. لأنهم إنما يقاتلون في سبيل إعلاء كلمة الله، ونشر الإسلام والعدل في ربوع الأرض.

ويتنوع التأييد الإلهي في تسديد جبهة القائم عجل الله فرجه. فقد يكون بإلقاء السكينة والطمأنينة في قلوب أصحابه، أو من خلال إلقاء طاعته ومحبته في نفوس الناس، أو من خلال تذليل العقبات، أو من خلال الإمداد بالملائكة المسومين. وهذا الأخير وردت في التأكيد عليه روايات كثيرة.

جاء في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «**كأني بالقائم على نجف الكوفة قد سار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة. جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، والمؤمنون بين يديه، وهو يفرق الجنود في البلاد**»[٤].

١ـ سورة محمد: ٧.

٢ـ سورة الحج: ٣٨.

٣ـ سورة الحشر: ٢.

٤ـ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٧٩.

وعنه أيضاً عليه السلام: «إن الملائكة الذين نصروا محمداً صلى الله عليه وآله يوم بدر في الأرض، ما صعدوا بعد، ولا يصعدون حتى ينصروا صاحب هذا الأمر، وهم خمسة آلاف»[١].

وهؤلاء الملائكة يمارسون وظائف مختلفة: قد يمارسون دوراً قتالياً، أو استخباراتياً، أو يقومون بتدمير بعض المواقع التسليحية التي لا يستطيع المجاهدون الوصول إليها، وما إلى ذلك من وظائف أخرى. ولا شك أن من يكون التأييد الإلهي بجنبه لا تستطيع كل قوى العالم أن تهزمه، لأنه لا حول ولا قوة إلا بالله. الله هو القوة التي لا تقف أمامها أي قوة مهما عظمت وامتدت.

رابعاً: الحرب النفسية

ولا يخفى دورها الكبير في الإنتصار ودحر الأعداء. والحرب النفسية أصبحت اليوم فرعاً قائماً بنفسه، تبتني على أساس علمي ودراسات معمقة، وحازت على اهتمام الدول الإستكبارية، فراحوا يعدون لها البرامج، وينفقون عليها الوقت والمال، مستفيدين من التقنية الإعلامية المتطورة. وسوف يستخدمها القائم عجل الله فرجه الشريف في حربه ضد المستكبرين.

ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «والرعب يسير مسيرة شهر أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله»[٢]. وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «فإذا هو قام نشرها ـ الراية ـ ويسير الرعب قدّامها شهراً، ووراءها

١ـ بحار الأنوار، المجلسي: ١٩ / ٢٨٤.

٢ـ الغيبة، النعماني: ٢٣٤.

شهراً، وعن يمينها شهراً، وعن يسارها شهراً»[١].

وهذا الرعب قد يكون نوعاً من التأييد الإلهي المباشر للإمام المهدي عليه السلام، كما قرأنا في الآية السابقة ﴿ **وقذف في قلوبهم الرعب** ﴾. وقد يكون نتيجة طبيعية لما يسمعه الأعداء عن قوة الإمام عليه السلام وصلابة أصحابه وتأييد السماء له، وأنه لا يرحم كافراً أو منافقاً.

هذه مجموعة من عناصر القوة التي وردت بها الروايات الشريفة في جبهة الإمام المهدي عجل الله فرجه ذكرناها على نحو الإيجاز. وأما ما يتعلق بالتفوق العسكري والتكنولوجي الذي يتوفر عليه أعداءه، فسوف لن يقف عائقاً بوجه انتصاره المحتوم. ويمكننا تقديم بعض التصورات حول ذلك:

إننا لا نقطع بوجود التفوق العسكري لأعداء الإمام المهدي عليه السلام إبان ظهوره، فنحن لا نعرف طبيعة الزمان الذي يظهر فيه سلام الله عليه، وطبيعة موازين القوى فيه، فربما تتغير المعادلة العسكرية والتكنولوجية في ذلك الزمان، ولا أحد يحرز بقاء قوته وجبروته على ما هو عليه أبد الآبدين، فكم من قوى كبيرة كان لها صولة وجولة في العالم انتهت وتلاشت قوتها.

ويمكننا افتراض أن تدمر هذه الأسلحة قبل ظهوره عليه السلام، إما من خلال حرب كونية تستهدف فيها المواقع العسكرية ومخازن الأسلحة، أو من خلال معاهدات حظر التسلح. وقد شهدنا في القرن المنصرم دعوات وصيحات ومعاهدات للتقليل من حجم الأسلحة الفتاكة. وفعلاً شهد العالم فترة من خمول السباق التسليحي بعد انهيار الإتحاد السوفيتي، وفعّلت معاهدات

١ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢ / ٣٦٠.

حظر التسلح · ومن غير البعيد أن يصل العالم في المدى البعيد إلى مستوى من الرشد والوعي بحيث يفكر بالتخلص من هذا الخطر القابع في مكامنه·

وقد نفترض أن الدول الإسلامية التي سوف يظهر فيها الإمام المهدي عليه السلام وتخضع لحكمه، سوف تملك هذه التقنيات المتطورة، أو هو يقوم بذلك من خلال شرائها من الشركات الكبرى التي سوف تجد مزيداً من الحرية في ظل العولمة التي تقلل من سيطرة الدولة على حركة الشركات الكبرى متعدية الجنسيات· أو من خلال اعتماد الدول الإسلامية على نفسها في ذلك، بأن تصل إلى مستوى الآخرين في التطور العلمي والتكنولوجي· ونحن نرى في بعض الدول الإسلامية محاولات واعدة في ذلك·

وهناك تصور آخر قد يمكن تقديمه وربما نجد عليه بعض الشواهد من بعض الأخبار، وهو أن الإمام المهدي عليه السلام يوقع معاهدات صلح مع بعض الدول العظمى، فمن الممكن أن تتخللها معاهدات دفاعية مشتركة مع بعض تلك الدول التي تملك مثل هذه الأسلحة· والدول العظمى لها مصالح متباينة ومتضاربة فيما بينها خصوصاً في المستقبل الآتي· فالدور الأوربي الواحد آخذ بالتصاعد، والصين وحتى الهند مرشحة لتلعب دوراً كبيراً في المستقبل القريب· وقد جاء في بعض الأخبار أن الإمام المهدي عليه السلام بعد أن ينتصر على السفياني ويخضع بلاد الشام لسيطرته يعقد صلحاً مع الروم يستمر عدة سنوات، وتتم فيه مبادلات تجارية بين الطرفين· «يكون بين المهدي وبين طاغية الروم صلح بعد قتله السفياني، ونهب كلب، حتى يختلف تجاركم إليهم وتجارهم إليكم»[1]· وفي خبر آخر: «وينزل خليفة من بني هاشم

١ـ معجم أحاديث الإمام المهدي (ع): ١ / ٣٤٣·

بيت المقدس، يملأ الأرض عدلاً، يبني بيت المقدس بناءاً لم يبن مثله، يملك أربعين سنة، وتكون هدنة الروم على يديه»[١].

وإذا لم نسلم بأي من تلك الإفتراضات المزبورة، فبإمكان الإمام المهدي عليه السلام أن يعطل عمل هذه الأسلحة، إما من خلال استخدامه للتقنيات الحديثة الآخذة بالتطور في السيطرة عليها، وخصوصاً أن نظام السلاح الحديث قائم على أساس البرمجيات الكومبيوترية التي إذا ما عطلت أو تم اختراقها فإنها سوف تشل حركتها ولا تعود نافعة في قتل ذبابة· وإذا فرضنا أن جبهة الإمام المهدي عليه السلام غير متوفرة على هكذا خبراء يمكنهم أن يفعلوا ذلك، فإنه سوف يفيد من عنصر الملائكة، أو من خلال المعجزة إذا أعيت السبل وانسد الطريق· وقد قلنا أن الإمام عليه السلام سوف يستخدم العنصر الإعجازي عندما يتوقف الأمر عليه·

المهدي داعية حرب أم سلام

يوجد تصور عند بعض الأشخاص أن الإمام المهدي عليه السلام داعية حرب مولع بإراقة الدماء، وليس للرحمة في قلبه أي مكان، وأنه شديد صعب، لايتفاهم ولا يتسامح ولا يرحم··· الخ·

وهذه الصورة القاتمة التي ربما يحملها البعض عن الإمام المهدي عليه السلام ـ وهي بلا شك صورة سلبية خاطئة ـ قد تكون ناشئة من الفهم غير الصحيح لبعض الأخبار والروايات التي ربما توحي بهذا المعنى· فإن لدينا

١ـ ن· م: ٣٤٦·

طائفة من الروايات تحدثت عن حروبه، وقتله للأشخاص، وإراقته للدماء.. وما إلى ذلك من المضامين التي قد ترسم في ذهن بعض الأشخاص صورة سلبية عن القائم عجل الله تعالى فرجه.

من هذه الروايات ما نقلناه سابقاً عن زرارة رحمه الله، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «قلت: أيسير بسيرة محمد صلى الله عليه وآله ؟.

قال: هيهات يا زرارة ما يسير بسيرته.

قلت: جعلت فداك ولم ؟!

قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله سار في أمته باللين، كان يتألف الناس، والقائم يسير بالقتل. بذاك أمر في الكتاب الذي معه، أن يسير بالقتل، ولا يستتيب أحداً. ويل لمن ناواه»[1].

ومنها ما أخرجه المفيد في الإرشاد، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة، فيخرج منها بضعة عشر ألف نفس يدعون البترية، عليهم السلاح، فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا ببني فاطمة. فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم. ثم يدخل الكوفة فيقتل بها كل منافق مرتاب، ويهدم قصورها، ويقتل مقاتليها، حتى يرضى الله عزَّ وجلَّ»[2].

وعن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس، ولا يعطيها إلا السيف، حتى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمد، لو

١ـ م. س.

٢ـ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٨٤.

كان من آل محمد لرحمنا»[١].

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام: «يقضي القائم بقضايا ينكرها بعض أصحابه ممن قد ضرب قدامه بالسيف، وهو قضاء آدم عليه السلام، فيقدمهم فيضرب أعناقهم· ثم يقضي الثانية فينكرها قوم آخرون ممن قد ضرب قدّامه بالسيف، وهو قضاء داود عليه السلام، فيقدمهم فيضرب أعناقهم· ثم يقضي الثالثة، فينكرها قوم آخرون ممن قد ضرب قدّامه بالسيف، وهو قضاء إبراهيم عليه السلام، فيقدمهم فيضرب أعناقهم· ثم يقضي الرابعة، وهو قضاء محمد صلى الله عليه وآله، فلا ينكرها أحد عليه»[٢].

وورد عن الصادق عليه السلام: «بينا الرجل على رأس القائم يأمره وينهاه إذ قال أديروه، فيديرونه إلى قدامه فيأمر بضرب عنقه، فلا يبقى في الخافقين شيء إلا خافه»[٣].

هذه الأخبار وأشباهها ربما يفهمها البعض فهماً سلبياً يجعل الناس يبتعدون عن الإمام المهدي عليه السلام ولا يرجون لقاءه· وفي توضيح هذه المسألة نقول:

الحقيقة أن هناك إسرافاً في هذا التصور· فالإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف كآبائه الكرام وكجده المصطفى صلى الله عليه وآله خلق رحمة للعالمين، وهذه قضية مهمة ينبغي أن نعرفها قبل كل شيء، وقد أكدتها

١ـ الغية، النعماني: ٢٣٣·

٢ ـ البحار: ٥٢ / ٣٨٩·

٣ ـ الغيبة، النعماني: ٢٣٩·

الروايات الشريفة· يقول النبي صلى الله عليه وآله: «**بأبي وأمي سميي وشبيهي وشبيه موسى بن عمران، عليه جلابيب النور، يتوقد من شعاع القدس، كأني بهم آيس ما كانوا، قد نودوا بنداء يسمعه من البعد كما يسمعه من القرب، يكون رحمة على المؤمنين، وعذابا على المنافقين**»[1]· فالإمام المهدي عليه السلام بحسب هذه الرواية الشريفة وغيرها من الروايات الأخرى رحمة، ولكنه رحمة للمؤمنين· وأما المنافقين والظالمين والمفسدين فلن يكون رحمة لهم، لأنه يريد أن يحقق المجتمع السعيد الرشيد، وهذا لا يكون مع وجود الجراثيم البشرية المفسدة التي تريد أن تحطم كيان المجتمع وتجرفه نحو مهاوي الشقاء· فهو نقمة ولكن على الظالمين والمفسدين·

المهدي عليه السلام ليس كما يتصوره البعض، أو كما قد يفهم من بعض الأخبار رجلاً مغرماً بسفك الدماء، لا يتفاهم، ولا يرحم، ولا يرق لأحد· إذا كان المهدي عليه السلام كذلك فعلام ينتظره البشر، وعلام يفرحون بظهوره ويعدون له الليالي والأيام ؟!

غاية ما في الأمر أن الإمام عليه السلام سوف لن يتساهل مع المجرمين الذين يفسدون في الأرض ولا يريدون الخير بالناس· فهو يدعوا الناس إلى الإسلام والعدل والصلاح، ويبين لهم محاسن الدين وآثاره الطيبة على حياة الناس، ويحاول أن يربيهم على العدل والاستقامة بما يملك من تجربة ومن تأييد وهداية إلهية، وكما ورد في الحديث الشريف أنه يضع يده على رؤوس العباد فتكمل أحلامهم وعقولهم· وسيحاول أن يجتث كل العوامل التي تؤدي

---

١ ـ ن· م: ٣٦/ ٣٣٨·

إلى الإنحراف في المجتمع، من ظلم وجهل وفقر وما شابه ذلك، فتكون حينذاك كل الظروف مهيأة لتكامل الناس· فإذا ردَّ بعض الناس دعوته، وتمردوا على تعاليمه ولم يسلموا له، وأبوا إلا العصيان والإنحراف بعد توفر كل عوامل الاستقامة، فمن المنطقي حينذاك أن تعدم هذه الجراثيم البشرية التي لا ينفع معها أي شيء إلا السيف· فهو ليس كالحكام الجبابرة يخوض في الدماء خوضاً دون أي رحمه، حاشاه ثم حاشاه، ولكن قد حان الأوان لكي يستقيم الناس على عبادة ربهم بعد تاريخ طويل من العصيان والإنحراف·

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وآله قد سار بهم ـ المنحرفين والمستكبرين ـ في فترة من الفترات بالرفق واللين، فإنما كان ذلك للظروف الخاصة المحيطة به· وقد أعطيت لهم الفرصة الطويلة ليتكاملوا ويصلحوا أنفسهم، فإن أبوا إلا تعنتاً واستمراراً في الغي فعليهم أن يرحلوا عن المجتمع المهدوي الطاهر الذي لا يستسيغ وجود هكذا وجودات خبيثة· إن الفرصة تكون قد استنفذت أمام المفسدين في الأرض بظهوره عليه السلام، ولن تعطى فرصة ثانية للمفسدين أبداً، فإما أن يصلحوا أنفسهم، أو يرحلوا عن تلك المرحلة الطاهرة إلى الجحيم· ولهذا يقول الصادق عليه السلام وهو يشير إلى تعامل الإمام المهدي عليه السلام مع العرب: "**ويل لطغاة العرب من شر قد اقترب**"[١]· فالحديث هنا عن طغاة العرب الذين سيقفون بوجه الإصلاح والعدل المهدوي·

ثم إن الذي نراه أن القتل لا يكون عاماً وشاملاً لكل ذنب يذنبه

---

[١] – الغيبة ، الشيخ النعماني : ٢١٢·

الإنسان حتى ولو كان صغيراً، فإنا نستبعد وصول المجتمع المهدوي إلى درجة العصمة المطلقة، لا أقل في بداية تشكّله. فإن لكل ذنب في الإسلام عقوبات معينة، والأحكام التي عند الإمام المهدي عليه السلام سوف لا تخالف أحكام الإسلام السابقة بصورة كبيرة جداً. فهذا القتل الذي تتحدث عنه الروايات الشريفة هو للانحرافات الخطيرة، وخصوصاً تلك المتعلقة بالإنحرافات العقائدية والسياسية والمالية الكبيرة. وهذا ما يمكن لنا أن نلمحه من الأخبار التي تحدثت عن ذلك.

ففي الخبر المتقدم الذي ساقه صاحب الإرشاد نرى أن الذين يقتلون هم البترية، وهم تيار عقائدي منحرف، وورد فيه أيضاً أنه يقتل منافقي الكوفة، وهم تيار سياسي منحرف أيضاً، وكذلك يقتلك مقاتليها أي الميليشيات المسلحة التي تريد أن تفسد في الأرض وأن تربك الوضع أمام المهدي عليه السلام. وفي خبر أبي بصير المتقدم عن الصادق عليه السلام، وهكذا الخبر الأخير عنه عليه السلام نراه يقتل أولئك الذين يعترضون عليه، ولا يسلمون لأمره. وفي ذيل خبر زرارة المتقدم أيضاً ما يؤيد ذلك حيث قال فيه: (ويل لمن ناواه).

وهذه الشدة والصرامة أمر ضروري لتحقيق العدل الشامل والكامل، وإلا لو أراد أن يسير بهم بالرفق، وترك المنافقين والمشركين المتسترين يعيشون بأمن ودعة، ويعيثون فساداً في الأمة، وينخرون جسدها بخفاء، لما استطاع أن يحقق المجتمع العادل الكامل. ولهذا يستغربون منه عندما يواجههم بهذه الصرامة التي تخالف ما عهدوه من رسول الله صلى الله عليه وآله. وكانوا

يظنون أنه يعاملهم كما عاملهم النبي صلى الله عليه وآله حيث حاربوه وناوأوه وفعلوا ما فعلوا، فتركهم وقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء. ولهذا يستغربون ويقولون: لو كان من آل محمد لرحمنا. نعم هو من آل محمد، وهو مثال الرحمة، ولكن هيهات هيهات، عليكم أن تستقيموا ولا تظنوا أنكم تفعلون ما بدا لكم فيبتسم في وجوهكم، فإن العضو المريض من البدن لابد أن يقطع حتى لا يسري مرضه لسائر الأعضاء. وهذه آخر تجربة تمر بها البشرية، وليس بعدها تجربة أخرى.

فالإمام المهدي عليه السلام إذاً ليس داعية حرب، ولا سفاك دماء، وإنما هو رجل السلام والعدل، ولكن السلام والعدل يفرض بعض الأحيان على صاحبهما أن يستخدم الحرب والقتال لاستئصال شأفة الذين لا يريدون للبشرية أن تنعم بالعدل والسلام. من هنا نجد أن مساحة الحوار والدعوة بالتي هي أحسن لها امتداد كبير في دعوة الإمام المهدي عليه السلام.

موقع الحوار في دعوة المهدي (ع)

للحوار موقعه الخاص في النصوص الإسلامية. وعندما نقرأ القرآن الكريم نجده يؤكد بما لا مزيد عليه على أهمية الحوار في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى. لأن القرآن الكريم يرى أن الدين الإلهي ليس من سبيل إلى الإيمان به والإنخراط تحت لواءه غير الحوار والدعوة بالتي هي أحسن، باعتبار أنه ليس من سنخ الأشياء التي تفرض بالقوة والإكراه والجبر. فأنت باستطاعتك أن تكره الإنسان على كثير من الأمور، ولكن ليس باستطاعتك أن تدخل الإيمان إلى قلب أحد من الناس من خلال النطع والسيف. من هنا نجد القرآن الكريم

يصرح ويقول: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾[١]. ونراه يخط منهجاً واضحاً للنبي صلى الله عليه وآله ولأمته في الدعوة إلى الله تعالى قائلاً: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٢]، ويقول: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾[٣]، ويقول: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٤]. نعم إلا الذين ظلموا منهم لأن الظالمين لا ينفع معهم أسلوب الحوار باعتبار أنهم لا يفهمون إلا لغة القوة.

هذا هو المنهج الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام من بعده. فإننا عند ملاحظتنا لسيرة أهل البيت عليهم السلام نرى أنهم انفتحوا على جميع التيارات في المجتمع، سواء كانت سياسية أم دينة أم ثقافية، فحاوروا الجميع حواراً علمياً هادئاً، قائماً على أساس الحجة والبرهان، في سبيل أن يفتحوا عقولهم وقلوبهم على الحق والهدى. وقد سطر لنا التاريخ وكتب الحديث تلك الحوارات الرائعة التي تؤسس لمنهج رائع في الحوار الموضوعي الهادف.

والإمام المهدي عليه السلام هو أحد أولئك البررة، وهو فرع من تلكم الشجرة، وسوف يتبع منهجهم الذي هو منهج الإسلام الأصيل، وسوف يدخل

١ـ البقرة: ٢٥٦.

٢ـ النحل: ١٢٥.

٣ـ آل عمران: ٦٤.

٤ـ العنكبوت: ٤٦.

في حوارات طويلة مع مختلف الملل والنحل، وسوف تؤدي تلك الحوارات إلى دخول الملايين تحت لواءه كما أسلفنا سابقاً. بل الإمام المهدي عليه السلام سوف يدخل في حوار حتى مع ألد خصومه وأعداءه. فالروايات تحدثنا أنه سوف يدخل في حوار مع السفياني يقتنع من خلاله السفياني بحقانية الإمام عليه السلام ويدخل في بيعته، ولكنه سرعان ما ينكث بيعته بعد أن يرجع إلى مركزه في دمشق وتحت ضغوظ شديدة من قبل بطانته وقادته الذين يعيبون عليه دخوله في بيعة الإمام المهدي عليه السلام ويحرضونه على مناوئته، كما سيمر علينا لاحقاً.

خلاصة ما تقدم

إن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه سوف يعتمد على مجموعة أساليب في فتحه للعالم، وهذه الأساليب ليست أساليب منفصلة، وإنما يكمل بعضها البعض الآخر. فلا يستخدم المعجزة فقط أو الحوار فحسب، أو الإعتماد على الجهد الشري لا غير، وإنما سوف تشترك كل تلك العناصر مع بعضها في إنجاز مهمته الكبرى. فسوف يستخدم أسلوب الحوار والدعوة بالتي هي أحسن مستفيداً من ضجر الناس من واقعهم التعيس، ومن جهود الموطئين له فكريا ونفسيا، خصوصا بعد انتشار المسلمين، والشيعة بالذات في جميع أصقاع العالم، حيث يمكن أن يؤثروا على الرأي العام هناك، أو يشكلون جهات ضغط على حكوماتهم، فيدخل قسم كبير من الناس في دين الله، وينضوون تحت رايته المباركة بكل قناعة واختيار. خصوصاً إذا ما أضفنا إلى

ذلك نزول عيسى المسيح عليه السلام، واتباعه للإمام المهدي عليه السلام ودعوته إليه.

وسوف لن يقف المستكبرون مكتوفي الأيدي تجاه المدّ المهدوي المبارك، وهم يرون أنه يهدد مصالحهم غير المشروعة في العالم، وخصوصاً في المنطقة العربية والإسلامية، فيستنفرون كل طاقاتهم وإمكاناتهم في سبيل القضاء عليه. وهكذا سوف تقف بعض الأنظمة الفاسدة التي تحكم المنطقة الإسلامية أمام حركته المباركة، ويحاولون القضاء عليها في مهدها، ويواجهونه مواجهة شرسة يحرك فيها الإمام عليه السلام كل عناصر القوة لديه، من قيادة حكيمة، وجيش حديدي قاهر، وتقنيات متطورة، مستعيناً بالمدد الإلهي المتمثل بالملائكة الكرام الذين سيقاتلون بين يديه وينجزون له بعض الوظائف الموكلة إليهم.

وسوف يستخدم الإمام المهدي عليه السلام المعجزة عندما تضيق به السبل ولا يستطيع أن يتحرك في بعض مراحل حركته. فينتصر عليهم من خلال كل ذلك، ويقضي على قوى الشر في العالم، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. ويقيم دولته المباركة، فينجز هدف الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ويحقق حلم المستضعفين، ويتم الوعد الإلهي على يديه الكريمتين.

الفصل الخامس

حركة الفتح العالمي

الفصل الخامس

حركة الفتح العالمي

من الضروري أن نأخذ فكرة عامة عن مسيرة الفتح العالمي وتطوراتها وخطواتها على ضوء الروايات الشريفة، حتى نخرج بانطباع عام عن حركة الفتح العالمي. وسوف نحاول عرض الأخبار الواردة في هذا الباب عرضاً موجزاً ومتسقاً ما أمكننا ذلك بعون الله تعالى. إذ أن الروايات مختلفة ومتضاربة في بعض الأحيان، وبعضها يشير إلى وقائع تاريخية سابقة، مما يؤدي إلى صعوبة فرزها وتنسيقها في نسق واحد.

بداية ستدق بعض العلامات أجراس الإنتباه في العالم لتعلن قرب ولادة الأمل الكبير الذي تنتظره البشرية. فسوف يفاجأ العالم ويسيطر عليه الذهول عندما تكسف الشمس في وسط شهر رمضان المبارك، ويخسف القمر في آخره على غير المعتاد[1]. وهما آيتان لم يكونا منذ هبط آدم عليه السلام إلى

---

١ ـ جاء في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «آيتان تكونان قبل القائم لم تكونا منذ هبط آدم إلى الأرض، تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره». فقال لـه رجل: يا بن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف ـ أي أن المعتاد هو هذاـ فقال: «إني أعلم ما تقول ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام». معجم أحاديث الإمام المهدي: ٢ /٢٥١.

الأرض. ثم تتلوها نار تظهر في المشرق، وحمرة تجلّل الأفق[١]. وتضج الأرض بالنداء السماوي الذي يسمعه الجميع بجميع اللغات، لينذر المنحرفين، ويبشر المستضعفين بقرب ظهور المصلح الكبير.

جاء عن الإمام الباقر عليه السلام: «... **فإذا سمعتم الصوت في شهر رمضان، فلا تشكوا في أنه صوت جبرئيل. وعلامة ذلك أنه ينادي باسم القائم واسم أبيه عليهما السلام، حتى تسمعه العذراء في خدرها، فتحرض أباها وأخاها على الخروج**»[٢].

ويصادف ذلك غرق المنطقة العربية والإسلامية بسلسلة من الإضطرابات والخلافات الحادة. فسوف تظهر فيها ثلاث رايات (حركات) هي: راية السفياني، وراية اليماني، وراية الخراساني. والراية الأولى معادية للمهدي عليه السلام بخلاف الرايتين الأخيرتين، فإنهما مؤيدتان له. وإن كانت راية اليماني أهدى الرايات كما في بعض الأخبار. جاء عن الصادق عليه السلام: «**خروج الثلاثة الخراساني والسفياني واليماني في سنة واحدة، في**

---

١ ـ معجم أحاديث المهدي عليه السلام: ٣ / ٢٥٣.

٢ ـ النداء من العلامات التي استفاضت بها الروايات وأن جبريل ينادي بين السماء والأرض بصوت يسمعه الجميع في شهر رمضان المبارك. وقد نقلت لنا الروايات مضمونين مختلفين لهذا النداء. الأول أنه ينادي باسم القائم واسم أبيه كما تقدم في رواية المتن. والثاني أنه ينادي أن (الحق في آل محمد)، كما في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام لاحظ: الملاحم، ابن المنادي: ١٩٦. ويمكن أن يكون النداء مشتملاً على كلا المضمونين. وقد ورد في الروايات أيضاً الصيحة والفزعة كعلامة من العلامات الملتصقة بالظهور. ويستظهر السيد محمد الصدر رحمه الله أن المقصود بهما هو النداء السماوي والصوت الذي يصيح في السماء فيفزع له الناس فهما شئ واحد. لاحظ ما بعد الظهور: ١٧٨. إلا أن لدينا رواية عن الإمام الباقر عليه السلام تذكر النداء والصيحة كعلامتين متمايزتين من علامات الظهور. انظر بحار الأنوار: ٥١ /٢١٨.

شهر واحد، في يوم واحد، وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني يهدي إلى الحق»[١]. وعن الباقر عليه السلام: «**خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً**»[٢].

في الشام تظهر ثلاث رايات تريد الإستيلاء عليها، وتشتبك في معارك ضارية يكون النصر فيها حليف السفياني. فيسيطر على بلاد الشام ويحكم نفوذه فيها، ثم يحاول أن يوسع من دائرة نفوذه، فيتحرك نحو الدول المجاورة للشام، ويبدأ بالتحرك نحو العراق. فيجنّد له أهل العراق جيشاً جراراً لصدّ هجومه، وتدور بينهم معركة دامية يقتل فيها مائة ألف من الجبارين.

جاء في الحديث عن الباقر عليه السلام: «**يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني. فيلتقي السفياني مع الأبقع فيقتتلون، فيقتله السفياني ومن تبعه. ويقتل الأصهب. ثم لا يكون همه إلا الإقبال نحو العراق. ويمر جيشه بقرقيسيا فيقتتلون بها، فيقتل من الجبارين مائة ألف**»[٣]. ويكون النصر هذه المرة من نصيب السفياني أيضاً، فيتوجه مسرعاً نحو العراق.

وتذكر بعض الأخبار أن راية اليماني تتحرك نحو الجزيرة ـ وهي بين العراق والشام ـ وتلتقي مع جيش السفياني في معركة خاسرة، فيسلب السفياني ما معهم[٤]. وفي هذه الأثناء تتحرك رايات الخراساني نحو العراق

١ـ بحار الأنوار: ٥٢ / ٢١٠.

٢ـ ن. م: ٢٣٢.

٣ـ الغيبة، النعماني: ٢٨٠.

٤ـ لا حظ معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٣/ ٢٧٦، والغيبة للطوسي: ٤٦٣.

وقبل أن يصلوا إليها يبعث السفياني سبعين ألفاً إلى الكوفة، فينزلون النقمة بأهلها قتلاً وتشريداً وصلباً وهتكاً. يقول الباقر عليه السلام: «ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة... فبينا هم كذلك إذ أقبلت رايات من خراسان تطوي المنازل طيّاً حثيثاً»[١]. «ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفاً، فيصيبون أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً»[٢].

وسوف لن يستسلم أهل الكوفة لجيش السفياني، وإنما يتمردون عليه، ويقومون بحركة مسلحة ضده، إلا أن مصيرها الفشل. «...ثم يخرج موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتله أمير جيش السفياني بين الحيرة والكوفة»[٣].

ونلاحظ أن جميع الرايات تقصد العراق لتستولي عليه وذلك لما يملكه العراق من موقع ستراتيجي في قضية الإمام المهدي عليه السلام، مدفوعين بعلمهم أن المهدي عليه السلام سوف ينطلق لفتح العالم من هنا، فتكون الكوفة هي منطلق الفتوحات كما كانت كذلك في صدر الإسلام. فالسفياني يستولي عليها من أجل أن يسلب الجبهة المهدوية موقعاً مهماً من مواقعها، ويقضي على القاعدة الشعبية المناصرة للمهدي فيها. واليماني والخراساني يطلبانها ليمهدا الأمور للإمام عليه السلام. ولكن الكوفة ستكون حصة

١ـ الغيبة، النعماني: ٢٨٠.

٢ـ ن. م

٣ـ ن. م.

ولعل هذه الحركة مدعومة من قبل الخراساني، باعتبار أنهم من الموالي، أي الجاليات غير العربية في الكوفة. وربما يكون هناك تصحيف في الرواية وذلك بأن يكون المقصود (مولى أهل الكوفة) أي قائدهم ورئيسهم وبذلك ينسجم مع قوله (فيقتله أمير جيش السفياني) حيث ذكر الضمير المفرد.

السفياني. فيقوم بالقضاء على الحركة الشعبية فيها، ويقوم بتصفية العناصر الناشطة فيها بلا رحمة أو شفقة. جاء عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**كأني بالسفياني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة، فنادى مناديه: من جاء برأس شيعة علي فله ألف درهم...**»[١].

وسوف تتوسع حركة السفياني شرقاً وغرباً. وفي بعض الأخبار أنه يحتل جزءً من إيران ومصر. «**يبعث السفياني خيله وجنوده، فيبلغ عامة المشرق من أرض خراسان وأرض فارس...**»[٢]، «**يدخل أوائل أهل المغرب في مسجد دمشق... ثم يخرج بعد ذلك السفياني، فيقتلهم حتى يدخلهم مصر**»[٣].

والظاهر من بعض الأخبار أن الدول العظمى بعد أن ترى تنامي حركة السفياني وتوسعها في طول البلاد وعرضها، تقوم بمواجهة هذا المد الخطير ولكنها لا تستطيع أن تكسر شوكته. «**إذا اجتمع الترك والروم، وخسف بقرية بدمشق... ظهر السفياني بجيشه عليهم، فيقتل الترك والروم بقرقيسيا**»[٤].

في هذه الأجواء، وبعد التمهيد له بالنداء والعلامات الأخرى سوف يظهر القائم عجل الله فرجه في مكة المكرمة، في اليوم العاشر من شهر محرم الحرام. فيكون بين النداء وبين ظهوره قرابة الثلاثة أشهر وبضعة أيام. روي عن الصادق عليه السلام: «**ينادى باسم القائم في يوم ست وعشرين من رمضان. ويقوم في يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي**

١ـ الغيبة، الطوسي: ٤٥٠.
٢ـ معجم أحاديث الإمام المهدي (ع): ١ / ٤٠٢.
٣ـ ن. م: ٤١٠.
٤ـ ن. م: ٣٢٩.

عليه السلام...»[١]. وظهور القائم عليه السلام في شهر محرم الحرام وفي اليوم العاشر منه بالتحديد فيه معاني رمزية كثيرة، فهو اليوم الذي استشهد في أبو عبد الله الحسين عليه السلام من أجل الحق والعدل، ونهضة الإمام المهدي عليه السلام هي امتداد لنهضة الحسين عليه السلام. بل هي الثمرة الحقيقية والنهائية لثورة الحسين عليه السلام.

وبعد أن يأذن له الله بالظهور، سوف يتصل بأصحابه المخلصين الذين حددتهم الروايات بعدة أهل بدر، أي ثلاثمائة وثلاثة عشر. وهم شخصيات إسلامية علمية سياسية واعية ومخلصة، يشكلون النواة الأولى لحركته، ويتولون قيادة العالم وإدارته بعد ذلك. فيأتون إليه ويجتمعون عنده. سواء قلنا أنهم يجتمعون عنده بصورة إعجازية يحملهم السحاب، أو فسرنا ذلك بوسائط النقل الحديثة. عن الإمام الصادق عليه السلام: «كان أمير المؤمنين يقول: لا يزال الناس ينقصون حتى لا يقال «الله» فإذا كان كذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه، فيبعث الله قوماً من أطرافها، ويجيئون قزعاً كقزع الخريف. والله إني لأعرف أسماءهم وقبائلهم وإسم أميرهم، وهم قوم يحملهم الله كيف شاء، من القبيلة الرجل والرجلين، فيتوافون من الآفاق ثلاثماة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر، وهو قول الله: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْت بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ حتى أن الرجل ليحتبي فلا يحل حبوته حتى يبلغه الله ذلك»[٢].

١ـ إعلام الورى، الطبرسي: ٢ / ٢٨٦.

٢ ـ الغيبة، الطوسي: ٤٧٧. والقزع بفتحتين قطع السحاب واحدتها قزعة، وإنما خص الخريف لأنه أول الشتاء والسحاب فيه يكون متفرقاً غير متراكم، وتشبيه أصحاب القائم عليه السلام به واضح.

وسوف يبايعونه بين الركن والمقام· في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام:

«**يبايع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف عدة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق، فيقيم ما شاء الله أن يقيم**»[١].

وبعد أن يجتمع عنده أصحابه يقرر أن يبعث مندوباً عنه إلى أهل مكة يدعوهم إليه، إلا أن أهل مكة لا يستجيبون له، ويعمدون إلى ذبحه بين الركن والمقام· جاء عن الإمام الباقر عليه السلام: «**يقول القائم لأصحابه: يا قوم إن أهل مكة لا يريدونني، ولكنني مرسل إليهم لأحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم· فيدعو رجلاً من أصحابه، فيقول له: امض إلى أهل مكة فقل: يا أهل مكة إني رسول فلان إليكم... فإذا تكلم هذا الفتى بمثل هذا الكلام، أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية**»[٢]· عند ذلك يقرر الظهور العلني بعد خمسة عشر يوماً من مقتل ذي النفس الزكية· جاء في تكملة الرواية السابقة: «**فإذا بلغ ذلك الإمام قال لأصحابه: ألا أخبرتكم أن أهل مكة لا يريدوننا، فلا يدعونه حتى يخرج فيهبط من عقبة طوى في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، عدة أهل بدر، حتى يأتي إلى المسجد الحرام فيصلي فيه عند مقام إبراهيم... ويبايعه الثلاثمائة وقيل من أهل مكة**»[٣]· وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «**ليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النفس**

١ـ ن· م·

٢ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢ / ٣٠٧·

٣ـ ن· م·

الزكية إلا خمسة عشر ليلة»[١].

ويعلم السفياني بوجود الإمام المهدي عليه السلام في مكة، فيحاول أن يهتبل الفرصة ويسلب من الإمام فرصة المبادرة وينقض عليه في مكة، ليئد ثورته المباركة في مهدها قبل أن تنمو وتمتد وتهدد وجوده القوي في المنطقة. فيبعث إليه جيشاً جراراً لإنفاذ هذه المهمة الخطرة. ولكن العناية الإلهية تتدخل في هذا الوقت العصيب، فتخسف بهم الأرض، فلا ينجو منهم إلا إثنين. روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يبايع لرجل بين الركن والمقام عدة أهل بدر، فيأتيه عصائب أهل العراق، وأبدال الشام، فيغزوه جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم»[٢].

بعد هذه الآية الكبرى تزداد ثقة الناس بالإمام المهدي عليه السلام، ويقوى إيمانهم به، فيتوافد عليه الأنصار من كل مكان، حتى يكتمل عنده عشرة آلاف رجل، فيقرر بدء حركته الكبرى متوجهاً نحو العراق لينطلق لفتح العالم بالعدل. جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «ويقيم بمكة حتى يتم أصحابه عشرة آلاف نفس، ثم يسير منها إلى المدينة»[٣].

وعن الباقر عليه السلام: «ثم يخرج من مكة حتى يكون في مثل الحلقة. قال الراوي: وما الحلقة ؟

قال: عشرة آلاف رجل»[٤].

---

١ ـ كشف الغمة، الأربلي: ٣ / ٢٥٠.

٢ـ الحاوي، السيوطي: ٢ / ٦١.

٣ ـ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٨٢.

٤ ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢ / ٣٨٤.

وعندما يكتمل له هذا العدد يخرج إلى المدينة، ومن ثم يسير إلى العراق. وبعد اندحار جيش السفياني بالخسف، وما تتركه هذه المسألة من انعكاسات سلبية على السفياني وجيشه، يستغل الخراسانيون هذه الفرصة ويدخلون سواد الكوفة، فيبعثون بالبيعة إلى الإمام المهدي عليه السلام. كما ورد ذلك في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**فيظهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر عدد أهل بدر... وتنزل الرايات السود بالكوفة فتبعث بالبيعة إلى المهدي عليه السلام**»[1].

فيأتي المهدي عجل الله تعالى فرجه إلى الكوفة وقد انضمت إليه راية اليماني والخراساني. ويجد اضطراباً واختلافاً في الكوفة، وحركات متعددة ومتنازعة، فتصفوا له، وتنضوى تحت لواءه. وسوف يكون لقاءه بشيعته لقاءً تاريخياً عظيماً، وسوف يكون ذلك اليوم أعظم يوم في تاريخ العراق، حيث يحتضن حركة المصلح الكبير ويكون عاصمة له ومنطلقاً لفتح العالم وإقامة العدل في ربوع الأرض.

وينتهي ذلك الإنتظار الطويل والعذاب المرير الذي عاناه أتباعه هناك إلى فترة قريبة من ظهوره. فيروي لقاءه ظمأ الناس لرؤيته وحنينهم لمقابلته، كما تصور لنا الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام ذلك: «**يدخل الكوفة وفيها ثلاث رايات قد اضطربت، فتصفوا له، ويدخل حتى يأتي المنبر فيخطب، فلا يدرى ما يقول من البكاء**»[2].

١ـ معجم أحاديث الإمام المهدي (ع): ٣ / ٤٩٩.

٢ـ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٨٠.

وربما تحدثنا بعض الروايات عن حركة معارضة تواجه المهدي عليه السلام في الكوفة، ولعلها مدعومة من السفياني أو بقايا عملاءه في العراق، فيأمر الإمام عليه السلام بقتلهم وتصفية وجودهم الخبيث من عاصمته. وسوف لن يكون الإمام رحيماً بالذين يقفون أمام حركة العدل من المستكبرين والمستأثرين أبداً. وهذا ما رواه المفيد رحمه الله في الإرشاد عن أبي جعفر عليه السلام: «**إذا قام القائم سار إلى أهل الكوفة، فيخرج منها بضعة عشر ألف يدعون البترية، عليهم السلاح، فيقولون: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا ببني فاطمة، فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم**»[1].

وتتناهى أخبار انتصار الإمام المهدي عليه السلام وتأييد الناس له وانضمام اليمانيين والخراسانيين له إلى مسامع السفياني، ويبلغه تجهز القائم عليه السلام لقتاله، فيقوم بعمل تكتيكي هو مبايعة الإمام عليه السلام ريثما يعود ويرتب قواه وينقض بيعته. فيلتقي بالإمام المهدي عليه السلام ويتحدث معه ويبايعه. ولكنه يواجه اعتراضات واحتجاجات حادة من أعوانه تدعوه إلى نقض البيعة ومواجهة القائم عليه السلام، فيعود وينقض بيعته تحت هذه الضغوط. عندها يناجزه القتال، فينتصر عليه المهدي عليه السلام بما أوتي من حكمة وتسديد إلهي، وجيش حديدي، ودعم ملائكي.

والظاهر أن السفياني يؤتى به أسيراً فيأمر القائم عليه السلام بذبحه ويريح العالم من لوث وجوده. جاء في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إذا بلغ السفياني أن الإمام توجه إليه من ناحية الكوفة يتجرد بخيله حتى**

١ـ ن. م: ٣٨٤.

يلقى القائم· فيخرج فيقول: أخرجوا إلي ابن عمي، فيخرج عليه السفياني، فيكلمه القائم عليه السلام، فيجيئ السفياني فيبايعه، ثم ينصرف إلى أصحابه·

فيقولون له: ما صنعت ؟·

فيقول: أسلمت وبايعت·

فيقولون له: قبح الله رأيك· بينما أنت خليفة متبوع، فصرت تابعا !

فيستقيله، فيقاتله· ثم يمسون تلك الليلة، ثم يصبحون القائم بالحرب، فيقتتلون يومهم ذلك· ثم إن الله تعالى يمنح القائم وأصحابه أكتافهم، فيقتلونهم حتى يفنوهم»[1].

وعنه أيضاً عليه السلام: «المهدي والسفياني وكلب يقتتلون في بيت المقدس حين يستقيله البيعة، فيؤتى بالسفياني أسيراً، فيأمر به فيذبح»[2].

والظاهر أنه في هذه المرحلة من حركة الفتح يظهر عيسى عليه السلام وينضم إلى صفوف الإمام المهدي عليه السلام ويبايعه ويصلي خلفه· وسوف يكون لذلك أثر كبير في إسلام كثير من أهل الكتاب، لأنه بذلك يكون حجة بالغة علىٰ حقانية الإسلام والإمام المهدي عليه السلام· وقد وردت روايات كثيرة في نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان واتباعه للمهدي عجل الله فرجه الشريف، وصلاته خلفه· وسوف يشاركه في حركته ويكون هلاك الدجال على يديه· سواء قلنا أن الدجال شخص من الأشخاص، أو قلنا أنه عبارة عن تيار مادي كافر· وفيما تقدم نقرأ الروايات التالية:

---

١ ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢/ ٣٨٨·

٢ ـ معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٣ / ٣١٤·

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ويدخل المهدي عليه السلام بيت المقدس، ويصلي بالناس إماماً· فإذا كان يوم الجمعة وقد أقيمت الصلاة، نزل عيسى بن مريم عليه السلام··· فيلتفت المهدي عليه السلام، فينظر عيسى عليه السلام، فيقول: يابن البتول صل بالناس· فيقول: لك أقيمت الصلاة· فيتقدم المهدي عليه السلام، فيصلي بالناس، ويصلي عيسى خلفه ويبايعه»[١].

وعنه أيضاً عليه السلام: «ويخرج عيسى عليه السلام فيلتقي الدجال، فيطعنه، فيذوب كما يذوب الرصاص»[٢].

وعن الإمام الحسن عليه السلام: «··· ثم يخرج عيسى بن مريم روح الله وكلمته· وكان عمره في الدنيا ثلاثة وثلاثين سنة، ثم رفعه الله إلى السماء، ويهبط إلى الأرض بدمشق، وهو الذي يقتل الدجال»[٣].

ويظهر من بعض الأخبار أن المهدي عليه السلام في هذه الأجواء يعقد صلحاً بينه وبين الروم ليلتقط بعض الأنفاس· والروم حينذاك من القوى العظمى المقتدرة في العالم· إلا أن هذه الهدنة لا تستمر طويلاً، حيث يقوم الروم بنقضها، فيستعد القائم لقتالهم· عن النبي صلى الله عليه وآله: «يخرج المهدي إلى بلاد الروم وجيشه مائة ألف، فيدعو ملك الروم إلى الإيمان فيأبى، فيقتتلان شهرين، فينصر الله تعالى المهدي عليه السلام»[٤].

وأما اليهود فيقتلون شر قتله على أيدي جند الإمام عليه السلام· عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم، حتى يقول

---

١ ـ عقد الدرر، المقدسي: ٣٤٧·

٢ـ ن· م·

٣ـ بحار الأنوار، المجلسي: ١٤ / ٢٤٧·

٤ـ ن· م: ٣٤٧·

الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله»[١]. والظاهر أن مصير اليهود مرتبط بمصير الدجال إلى حد كبير. فعندما يسوق النبي صلى الله عليه وآله خبر الدجال ومقتله على يد عيسى عليه السلام يقول: «فلا يبقى شئ مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودي إلا أنطقه الله،لا حجر ولاشجر ولا دابة إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي فاقتله»[٢]. وقد ورد في الروايات أن أتباع الدجال هم من اليهود.

وبعد ذلك يعود الإمام المهدي عليه السلام إلى الكوفة ثانية ليرتب أوضاع الحكومة، ويقوم بتجهيز الجيوش لفتح بقية مناطق العالم، وتطهير المنطقة من عملاء الدجال وذيوله. في الحديث عن الصادق عليه السلام:

«ثم يسير إلى الكوفة فينزل على نجفها. ثم يفرق الجنود منها إلى الأمصار لدفع عمال الدجال»[٣]. فتكون الكوفة هي منطلق الفتح العالمي، تمد الفاتحين بالعدد والعدة كما كانت كذلك في زمان الفتوحات الاسلامية.

وعن الباقر عليه السلام: «يفتح الله له الروم والصين والترك والديلم والسند والهند وكابل شاه والخزر...»[٤]. وحينذاك يخضع العالم لحكمه الشريف، ويحل السلام في الأرض، ويبدأ ببناء دولته الكريمة ومجتمعه الكامل على أساس الحق والهدى والعدل. ويطوي تاريخاً طويلاً من الظلم والجور عانت منه البشرية على مدى قرون متمادية.

١ـ مسند أحمد: ٥٠/ ٣٥٢.

٢ـ معجم أحاديث المهدي (ع): ١/ ٣١٣.

٣ـ منتخب الأثر: ٥٧٥.

٤ـ تاريخ ما بعد الظهور، محمد الصدر: ١٩٢.

الفصل السادس

الإنتظار الواعي
ومسؤوليتنا تجاه الدولة العالمية

الفصل السادس

الإنتظار الواعي
ومسؤوليتنا تجاه الدولة العالمية

الإنتظار في المصادر الإسلامية

لقد أكد الإسلام على مسألة الإنتظار كثيراً. وذلك لما تتميز به من أهمية فائقة وآثار كبيرة على شخصية الفرد والمجتمع المسلم. ونعني بالإنتظار انتظار الفرج الإلهي عندما تشتد المحن وتضيق السبل بالإنسان. وذلك لأن الإنتظار يعطي الإنسان حيوية خاصة، ويغمر قلبه بالأمل، ويغسل عنه أدران اليأس والإحباط.

فالحياة الدنيا مليئة بالمكدرات والمنغصات والشدائد. وهذه هي طبيعة الحياة الدنيا، إذ إنها لم تخلق للراحة والإستقرار، وإنما خلقت للإبتلاء والإختبار، وهما يستلزمان هذا القدر من المصائب والمحن، حتى يميز الخبيث من الطيب. وما دام أن الإنسان لم يسر على جادة الشريعة ويحبس نفسه على ذات الله، ولم يتوفر له المجتمع الصالح الفاضل والحكومة العادلة الكاملة، فإنه سوف يبقى يعاني ويعاني من مشاكل الحياة الدنيا. فكثير من المحن والمشاكل التي تلم بالمرء إنما هي ناتجة عن ذلك. وفي بعض الأحيان يطبق البلاء صفحتيه على الإنسان ويسدّ عليه طريق الخلاص، بحيث يبدو أنه لا منقذ له

من ورطته، ولا مخلص له من حيرته، فيستسلم لليأس والقنوط، ويصاب بالإحباط، فتشل جميع حركته.

وما لم يؤمن الإنسان بقوة غيبية قادرة وقاهرة تستطيع تخليصه من المشاكل المحيطة به، سيظل حبيس هذا اليأس والقنوط. وحينئذ سينعكس ذلك سلباً على حركته في الحياة، فتتعطل كل طاقاته ونشاطاته، وينتهي إلى الضياع في حياته الدينية والدنيوية. أما إذا آمن بالغيب وأدرك بأن هناك قوة هي فوق القوى، وقدرة لا متناهية تسيطر على الكون وتتحكم فيه، وأمرها إذا أرادت شيئاً أن تقول له كن فيكون، أو كلمح بالبصر، وقد وعدته العون وعاهدته على المساعدة، فإنه حينئذ لا يستسلم لأمواج اليأس العاتية، وإنما يظل مرابطاً صابراً منتظراً للمدد الإلهي والعون الرباني. وهذه هي القيمة الكبرى لانتظار الفرج.

من هنا تجد أن الإنسان المؤمن لا يقنط ولا ييأس مهما ادلهمت الخطوب واعصوصب الأمر، كالجبل الشامخ الذي تمر عليه الرياح والأعاصير دون أن تنال من صلابته وشموخه، أو كالوتد كلما ازداد عليه الضرب ازداد ثباتاً في الأرض. وما ذاك إلا لثقته بالله وانتظاره لفرجه، حتى وكأنه ينظر إلى أكبر الخطوب على أنه سحابة صيف سرعان ما تنقشع. بخلاف الكافر الذي ينهار بمجرد أن تسد بوجهه الطرق الطبيعية فيستسلم للقنوط، ويتبعثر بعواصف اليأس، وكثيراً ما ينهي حياته بالانتحار. وذلك لأنه ليس لديه طريق آخر ينتظره غير العوامل المادية. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[1]. فالإنسان

١ـ سورة يوسف: ٨٧.

الكافر هو الذي يصاب باليأس والقنوط. أما المؤمن فروحه دائماً مطمئنة، إذ أن الإيمان هو الذي يبعث في نفس الإنسان السكينة والإطمئنان حتى في أحرج اللحظات: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[1].

من هنا نلحظ أهمية الإنتظار وفضيلته التي تحدثت عنها الأخبار. حيث قد وردت في مدح الإنتظار عشرات الروايات الشريفة. فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج**»[2]. وورد عنه أيضاً: «**انتظار الفرج عبادة**»[3]. وهكذا يسأله بعض الأشخاص عن أحب الأعمال إلى الله تعالى، فيقول: «**انتظار الفرج**»[4].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**انتظار الفرج من أعظم الأعمال**»[5]. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله فإن أحب الأعمال إلى الله انتظار الفرج**»[6].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «**ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول العبد الصالح: وارتقبوا إني معكم رقيب**»[7].

ونلمس من هذه الروايات الشريفة ومن غيرها أهمية الإنتظار في

١ـ سورة الرعد: ٢٨.

٢ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢ / ١٢٢.

٣ ـ ن. م.

٤ـ ن. م.

٥ ـ منتخب الأثر: ٢٤٤.

٦ـ منتخب الأثر: ٤٩٨.

٧ـ بحار الأنوار، المجلسي: ١٢ / ٣٨٠.

الإسلام، وكونه من أفضل وأعظم وأحب الأعمال إلى الله تعالى. وما ذلك إلا لأنه يعطي الإنسان القدرة كي يستمر في العمل، ولولاه لانشلت حركته وترك الإعمال جانباً واستسلم لليأس، وأيضاً لأنه يحكي مقدار إيمان الإنسان بربه، ومدى ثقته بخالقه.

انتظار الإمام المهدي (عليه السلام)

يحظى إنتظار الإمام المهدي عليه السلام بفضل وأهمية أكبر من غيره من أنواع الإنتظار كما تحدثنا الروايات الشريفة. أي أن الإنتظار في عصر الغيبة له امتياز خاص. نقرأ مثلاً في الحديث الشريف عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**ما ضرَّ من مات منتظراً لأمرنا ألاّ يموت في وسط فسطاط المهدي وعسكره**»[1]. أي أن الذي يموت منتظراً كمن يموت شهيداً في معسكر القائم عليه السلام.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**واعلموا أن المنتظر لهذا الأمر له مثل أجر الصائم القائم**»[2].

وعنه أيضاً: «**من مات وهو منتظر لهذا الأمر كمن هو مع القائم في فسطاطه. ثم مكث هنيئة، ثم قال: لا بل كمن قارع معه بسيفه. ثم قال: لا والله إلاّ كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله**»[3].

و بعض الأحاديث تجعل انتظار أمرهم عليهم السلام ـ وهو ما يعبر به

١ـ الكافي، الكليني: ٨ /٣٧.
٢ـ ن. م: ٢ / ٢٢٢.
٣ـ منتخب الأثر: ٤٩٨.

عادة عن ظهور الإمام المهدي عليه السلام ـ من أساسيات الدين· في الحديث عن أبي الجارود قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: يا بن رسول الله هل تعرف مودتي لكم، وانقطاعي إليكم، وموالاتي إياكم ؟

فقال: نعم·

فقلت: فإني أسألك مسألة تجيبني فيها فإني مكفوف البصر، قليل المشي، ولا أستطيع زيارتكم كل حين ؟

قال: هات حاجتك·

فقلت: أخبرني بدينك الذي تدين الله عزَّوجلَّ به أنت وأهل بيتك، لأدين الله عزَّوجلَّ به·

قال: إن أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة· والله لأعطينك ديني ودين آبائي الذي ندين الله عزَّوجلَّ به: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، والإقرار بما جاء به من عند الله، والولاية لولينا، والبراءة من عدونا، والتسليم لأمرنا، وانتظار قائمنا، والاجتهاد والورع»[1]· فترى أنه يجعل انتظار القائم عليه السلام من أساسيات الدين الذي يدين الله به·

وعن أبي خالد الكابلي، عن الإمام زين العابدين عليه السلام في حديثه عن القائم عجل الله تعالى فرجه قال: «يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته والقائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره، أفضل من أهل كل زمان، لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم

١ـ الكافي، الكليني: ٢ / ٢٢·

بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف· أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً، قال: انتظار الفرج أعظم من الفرج»[١].

من هذه الروايات الشريفة نلمس أن لانتظار الإمام المهدي عليه السلام فضيلة خاصة تميزه عن سائر أفراد الإنتظار الأخرى، وأن المنتظرين للإمام المهدي عليه السلام هم أفضل من المنتظرين الآخرين·

وفلسفة ذلك ترجع إلى أن الإنتظار في عصر الغيبة الكبرى يعبر عن المستوى الإيماني الكبير للإنسان المنتظر للإمام المهدي عليه السلام· فإيمان الناس في عصر الغيبة له امتياز خاص يميزه عن الإيمان في عصر الظهور· إذ أن الإيمان في عصر الظهور يكون أيسر على الناس، لوجود النبي صلى الله عليه وآله والوحي المبين والأئمة الهداة الميامين سلام الله عليهم أجمعين، الذين يتصلون بالناس ويرشدونهم ويقيمون لهم الدلائل على صدقهم· أما الناس في عصر الغيبة فهم إنما يؤمنون بحبر على بياض كما في الرواية الشريفة عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «يا علي: واعلم أن أعظم الناس يقيناً قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي وحجب عنهم الحجة فآمنوا بسواد في بياض»[٢].

وهكذا روى عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**سيأتي قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم**».

١ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٣٦ / ٣٨٧·

٢ـ ن· م: ٥٢ / ١٢٥·

قالوا: يا رسول الله نحن كنا معك ببدر وأحد وحنين، ونزل فينا القرآن؟!

فقال: «إنكم لو تحملون ما حملوا لم تصبروا صبرهم»[١].

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: **«اللهم لقني إخواني»** مرتين. فقال له من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله ؟!

فقال: **«لا إنكم أصحابي، وإخواني قوم في آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني. لقد عرفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم. لأحدهم أشد بقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا. أولئك مصابيح الدجى ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة»**[٢].

فإيمان الإنسان في عصر الغيبة ليس بالأمر اليسير. وذلك إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار بعد الناس عن الأئمة المعصومين وعن عصر التشريع، واختلاف الروايات، وعدم الإطمئنان إلى صحتها جميعاً، وتعرضهم لضغوط فكرية متمثلة بتيارات الإلحاد والعلمانية، التي راحت تشكك بكل المتبنيات الدينية والثوابت الرسالية، وتمارس عملها بجو من الحرية، مستفيدة من تقنيات العصر الحديث التي لا يمكن تحجيمها أو السيطرة عليها. وأخرى سياسية متمثلة في محاربة حكام الجور للمؤمنين الملتزمين بإيمانهم، ومحاربة رموز الوعي في المجتمع الإسلامي، ومحاربتهم لكل ما هو إسلامي بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وضغوط أخلاقية متمثلة بدواعي الفساد المتناثرة في أرجاء المجتمع،

١ـ الغيبة، الطوسي: ٤٥٦.

٢ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢ / ١٢٤.

والتي وصلت إلى حد من الإبتذال بحيث راحت تطارد الإنسان في البيت والشارع والمدرسة وفي كل مكان. وهي ضغوط وإغراءات لا يمكن لأحد أن يقف أمامها، إلا من أوتي بصيرة في الدين، وروحاً من اليقين، وإرادة لا تلين.

أمام كل ذلك عندما يبقى الإنسان مؤمناً بالله ورسالاته ونبيه وما جاء به، وبإمامه، ويبلغ إيمانه درجة عليا بحيث يؤمن بوجود الإمام الذي سيعيد الإسلام إلى ساحة الحياة بعد يأس طويل، ويعتقد بكونه حياً كل هذه القرون المتمادية، وبكونه غائباً لايمكن لأحد أن يصل إليه، كل ذلك يجعل من الإنسان المنتظر إنساناً مثالياً رائعاً. خصوصاً مع كل التشكيكات التي تصدر من هنا وهناك، والتي تسنهزء بالذين يؤمنون بالمهدي وبولادته وغيبته وحياته كل هذه السنين. وكلما امتد الزمان ولم يظهر الإمام المهدي عليه السلام ازداد تشكيك الناس به وتكذيبهم لأمره.

ففي أجواء التكذيب والتشكيك والتضليل المدروس، والاستهزاء والإنكار، وطول المدة، وتراجع المتراجعين، وانحراف المنحرفين، وأمام كل الضغوط الفكرية والنفسية والجسمية التي يتعرض لها المؤمنون، من الصعب حينئذ أن يحافظ الإنسان في هذه الأجواء على استقامته، ويبقى منتظراً لإمامه، ويتجاوز كل دواعي السقوط معتمداً على انتظار الفرج. فإذا ظل رغم هذه الضغوط المتعددة مستقيماً ثابتاً فإنه ولا شك رجل عظيم يستحق كل أوسمة الفخر والثناء التي ذكرتها الروايات الشريفة المتقدمة.

وهذا ما أشارت إليه الروايات الشريفة. فعن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«إياكم والتنويه. أما والله ليغيبن إمامكم سنيناً من دهركم، ولتمحصن حتى يقال مات، قتل، هلك، بأي واد سلك. ولتدمعن عليه عيون المؤمنين، ولتكفؤن كما تكفأ السفن في أمواج البحر، فلا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان، وأيده بروح منه»[١].

وعن زرارة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إن للغلام غيبة قبل أن يقوم... وهو المنتظر الذي يشك في ولادته. منهم من يقول مات أبوه بلا خلف، ومنهم من يقول حمل، ومنهم من يقول إنه ولد قبل موت أبيه بسنتين، وهو المنتظر. غير أن الله عزَّوجلَّ يحب أن يمتحن الشيعة. فعند ذلك يرتاب المبطلون»[٢].

وعن الإمام الحسين عليه السلام: «منا اثنا عشر مهدياً. أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأخرهم التاسع من ولدي. وهو الإمام القائم، يحي به الله الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون. له غيبة يرتد فيها أقوام ويثبت على الدين فيها آخرون. فيودون ويقال لهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. أما إن الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله»[٣].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون. ثم قال: طوبى لشيعتنا المتمسكين

١ـ الكافي، الكليني: ١ / ٣٣٦.

٢ـ ن. م: ٣٣٧.

٣ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥١ / ١٣٣.

بحبنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم· قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، وطوبى لهم· هم والله معنا في درجتنا يوم القيامة»[١].

وعن الإمام الجواد عليه السلام: «له غيبة يكثر أيامها، ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون، وينكره المرتابون، ويستهزء به الجاحدون، ويكذب فيها الوقاتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلمون»[٢].

وعن ابن عباس، عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر»[٣].

فهناك الكثير من الناس سوف يسقطون في الإمتحان، ويبقى القليل منهم على إيمانه وانتظاره· وقد تحدثت الأخبار الكثيرة عن المصائب والمحن التي ستحل بالعصبة المؤمنة، حتى يتمنى المؤمن الموت صباحاً ومساءً، مما يؤدي بالنفوس أن تستسلم لتيار اليأس، وتمسح منها كل ومضة أمل· فمع هذه الظروف العصيبة التي لم يشهد لها المؤمنون مثيلاً في تاريخهم الطويل ويبقى الإنسان منتظراً للفرج، حقاً إن انتظاره هذا الذي يكشف عن صبره وصلابته لهو موضع تقدير·

ومما يزيد من أهمية انتظار الإمام المهدي عليه السلام كما يرى السيد محمد الصدر رحمه الله هو كونه مشاركة في المشروع الإلهي الكبير الذي أعده

١ـ ن· م: ١٥٢·

٢ـ ن· م: ١٥٨·

٣ـ اليقين: ٤٩٥·

الله للبشرية على يدي القائم عجل الله فرجه. يقول:

«ونستطيع بكل وضوح أن نعرف لماذا أصبح هذا الإنتظار أساساً من أسس الدين.. لأنه مشاركة في الغرض الأساسي لإيجاد البشرية. ذلك الغرض الذي شارك فيه ركب الأنبياء والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

إذن، فهذه الأخبار لا يمكن أن يكون لها معنى إلا المشاركة في هذا الهدف الكبير»[1].

وسنعرف بعد قليل أن الإنتظار الواعي له دور كبير في التمهيد للدولة العالمية المباركة.

فخلاصة الأمر: إن الروايات الشريفة جعلت كل هذه الفضيلة لانتظار الإمام المهدي عليه السلام، وميّزته في مكانته عن سائر أفراد الإنتظار، لأجل أن الإنتظار في زمن الغيبة يكشف أولاً: عن مستوى الإيمان واليقين في نفوس المنتظرين من خلال إصرارهم على إنتظار الإمام المهدي عليه السلام رغم كل دواعي السقوط المتقدمة. ويكشف ثانياً: عن مقدار الصبر والصلابة والاستقامة التي يتمتع بها المنتظرون في مقابل المصائب التي لم يمر بها الناس قبل الغيبة، قبل آخر الزمان. ولأنه مشاركة في أكبر مشروع وهدف إلهي على طول التاريخ.

١ـ تاريخ الغيبة الكبرى، السيد محمد الصدر: ٤٣٠.

الإنتظار الواعي

قد يسيء البعض فهم الإنتظار فيحسبه نوعاً من السكون والخمول وترك الأمور لسبيل حالها، والجلوس في البيوت والدعاء بتعجيل الفرج· فيعطي الإنتظار دوراً تعطيلياً سلبياً في الحياة، كالمريض الذي يأخذ بعض المهدئات لتخفيف آلامه ومتاعبه· فهو يتخذ الإنتظار كسلوى فقط لما يعانيه في الحياة من متاعب ومصاعب، دون أن يتحدى المشاكل ويسعى لحلها منطلقاً من الأمل الذي يبثه الإنتظار في نفسه· وهذا فهم خاطئ ومتخلف للإنتظار·

المفروض بالإنتظار أن يكون حالة إيجابية لا سلبية· أي يكون دافعاً ومحفّزاً نحو العمل والحركة والنشاط، لأنه يجدد الأمل في النفوس ويزيل عنها غبار اليأس والإحباط الذي يشلها عن الكدح والحركة في الحياة الدنيا· يقول المفكر الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره وهو يتحدث عن الإيمان بقضية الإمام المهدي عليه السلام: «**وهذا الإيمان ليس مجرد مصدر للسلوة والعزاء فحسب، بل مصدر عطاء وقوة· فهو مصدر عطاء، لأن الإيمان بالمهدي إيمان برفض الظلم والجور حتى وهو يسود الدنيا كلها، وهو مصدر قوة ودفع لا تنضب، لأنه بصيص نور يقاوم اليأس في نفس الإنسان، ويحافظ على الأمل المشتعل في صدره مهما ادلهمت الخطوب وتعملق الظلم، لأن اليوم الموعود يثبت أن بإمكان العدل أن يواجه عالماً مليئاً بالظلم والجور فيزعزع ما فيه من أركان الظلم، ويقيم بناءه من جديد، وأن الظلم مهما تجبر وامتد حتى في أرجاء العالم وسيطر على مقدراته، فهو حالة غير طبيعية، ولا بد أن ينهزم· وتلك الهزيمة الكبرى المحتومة للظلم وهو في قمة مجده،**

تضع الأمل كبيراً أمام كل فرد مظلوم، وكل أمة مظلومة، في القدرة على تغيير الميزان وإعادة البناء»[١].

هذا هو البعد الإيجابي للإيمان بالإمام المهدي عليه السلام وانتظاره، لا أن نجعله عنصر تخدير يشل حركة الأمة تجاه التغيير. ودعني أوضح لك التصورين حول الإنتظار من خلال هذا المثال:

فلو فرضنا أن غريقاً التهمته أمواج البحر، فهو تارة ينظر يميناً وشمالاً ويحدق في الأفق فلا يرى أحداً يهب لنجدته ويسعى لإنقاذه، فحينئذ يستولي عليه اليأس، ويعتمل في نفسه الشعور بعدم جدوى مقاومته ومصارعته للأمواج، فيستسلم لها لتأخذه في طياتها إلى غير رجعة.

وتارة أخرى يلمح أملاً يلوح له في الأفق، ويرى قارب نجاة قد علم بحاله وهو يسعى للحاق به وإنقاذه، فحينئذ سوف يدافع الموت ويصارع الأمواج العاتية، ويقاوم إلى آخر نفس ولن يستسلم. هذا هو الفرق بين الإنتظار السلبي والإنتظار الإيجابي.

الإنتظار الواعي هو أن نسعى ونتحرك نحو اليوم الموعود، لا أن نقعد وننتظر حركته نحونا، فإننا كلما تحركنا نحو اليوم الموعود أوشكنا أن نقترب منه. ودعني أضرب مثالاً آخر لذلك:

لو أرخى الليل سدوله وحلَّ الظلام البهيم، وانقطع التيار الكهربائي فغطّانا الظلام بأبراده الدامسة، هل نجلس في الظلام ونعطل كل أعمالنا منتظرين رجوع التيار الكهربائي الذي قد يستمر انقطاعه لفترة طويلة، أم

١ـ بحث حول المهدي، السيد الشهيد محمد باقر الصدر: ٥٤.

نوقد شمعة أو فتيلاً لينير لنا بعض الظلمة التي نعيش فيها، وإن لم يكن بقوة المصباح الكهربائي ؟· لا شك أن الإنسان العاقل هو الذي يختار الخيار الثاني دون تردد·

إذن· في فترة الغيبة وانتظار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف علينا أن لا نعطل حركتنا ونجلس في بيوتنا مع كل المشاكل التي تحيط بنا من كل جانب ومكان· فحتى الإنتظار العادي يستلزم نوعاً من التهيئة والإعداد· فلو انتظرنا ضيفاً كريماً سيحل علينا فإننا سوف نهيئ الأمور ونعد البيت، ونهيئ له مستلزمات الراحة وكل ما يحتاجه الضيف· ولو كنا في الشركة أو في المؤسسة ننتظر حضور بعض المفتشين ولا نعلم متى يجيء، إذا كان يأتي بغتة، فلا بد لنا أن نكون مستعدين دائماً حتى لا نفاجأ به· هذا في أمورنا العادية فكيف بنا ونحن ننتظر مجيء المنقذ الإلهي الكبير، أليس حرياً بنا أن نعد أنفسنا وما حولنا لاستقباله ؟· أليس علينا أن نقوم بالتمهيد للإمام المهدي عليه السلام الذي هو من أهم مسؤولياتنا في عصر الغيبة ؟·

مسؤوليتنا تجاه الدولة العالمية

ربما يقول البعض أن الإمام المهدي عليه السلام ودولته الكريمة غيب من غيب الله، وسر من سر الله، وليس لنا فيها أي تأثير، وليس هناك دخل للظروف الموضوعية في غيبته وظهوره عليه السلام، وعليه فلا يترتب علينا أي مسؤولية تجاهه· ولكن هذا التصور ليس صحيحاً على إطلاقه· صحيح أن الإمام المهدي عليه السلام غيب من غيب الله كما ورد في الأحاديث الشريفة، ولكن الحق أننا لو تأملنا جيداً في الهدف الكبير الذي من أجله خطط الله

تبارك وتعالى لقضية الإمام المهدي عليه السلام، وقرأنا الروايات الشريفة الواردة في هذا المجال قراءة تحليلية متأنية، لاتضح لنا أن للظرف الموضوعي وللعنصر البشري مساهمة كبيرة في غيبة الإمام المهدي عليه السلام وظهوره على حدّ سواء. وهذا لا يتنافى مع غيبية القضية المهدوية. إذ أن كثيراً من الأمور الغيبية المرتبطة بحياة الناس، يكون للجهد البشري دور فاعل في تحققها ووقوعها، وتغيير مساراتها واتجاهاتها. كالرزق على سبيل المثال، الذي لا يعلمه الإنسان ويكون لجهده ونشاطه دخل فيه. فتحقق الدولة العالمية للإمام المهدي عليه السلام وظهوره المبارك، مرتبط بالظرف الخارجي إلى حد ما، بل إلى حدّ كبير. فحركتنا في عصر الغيبة سواء كانت إيجابية أو سلبية سوف تترك تأثيرها الكبير على قضية الإمام المهدي عليه السلام. وعليه فلا بد أن نسلك السبل التي تقربنا إلى اليوم الموعود، ونمهد لذلك اليوم العظيم بكل ما أوتينا من حول وقوة.

أفكار خاطئة

ربما يتصور البعض من جهلة الناس، أن علينا أن نملأ الأرض ظلماً وجوراً ونجعلها تفيض بالفساد والإنحراف، حتى نعجّل في ظهور صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. وذلك استناداً إلى الروايات التي دلت على أن من علائم الظهور هو امتلاء الأرض بالفساد والجور، وهي روايات كثيرة. ففي الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**»[1]. وعن الإمام الباقر عليه السلام:

---

١ ـ م. س.

«لا يظهر المهدي عليه السلام إلا على خوف شديد، وزلزال، وفتنة تصيب الناس، وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد بين الناس، وتشتّت في دينهم، وتغير في حالهم، حتى يتمنى المتمني الموت صباحاً ومساءً، من عظم ما يرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضا· فخروجه إذا خرج يكون عند اليأس والقنوط من أن يرى فرجاً»[١].

وعنه أيضاً عليه السلام وهو يتحدث عن الزمن الذي يظهر فيه الإمام المهدي عليه السلام: «إذا تشبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وركبت ذوات الفروج السروج، وأمات الناس الصلوات، واتبعوا الشهوات، واستخفوا بالدماء، وتعاملوا بالربا، وتظاهروا بالزنا، وشيدوا البناء، واستحلوا الكذب، وأخذوا الرشا، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، وقطعوا الأرحام، وظنوا الطعام، وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، والأمراء فجرة، والأمناء خونة، والأعوان ظلمة، والقراء فسقة، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وبدا الفجور، وقبلت شهادة الزور، وشرب الخمور، وركبت الذكور الذكور...»[٢]. وغير ذلك من الروايات التي تدل على امتلاء الأرض بالفساد قبل خروجه·

فهؤلاء يقولون بعد الضيق يكون الفرج، وبعد المحاق يولد الهلال، فلنملأ الأرض ظلماً وفساداً حتى نعجّل في مجيء الفرج· وإذا حرّم علينا أن نرتكب الحرام، فلنكن سلبيين تجاه ارتكابه من قبل الآخرين، ولنسكت عنه حتى يسود· ولا يعلمون أنهم حينما يتحرجون من ارتكاب الحرام ويسكتون عن الذين يمارسونه، فقد ارتكبوا أثماً مبيناً· إذ أن السكوت عن الحرام وتشجيعه

---

١ ـ عقد الدرر، المقدسي : ٩٧·

٢ـ منتخب الأثر، الكلبيكاني: ٥٤٠·

على الانتشار كارتكابه، لأنه تعطيل لقوام الفرائض، أي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي لا تقوم الفرائض إلا بها. وهذه الفريضة الكبيرة عامة ومستمرة، ولا مخصص لها في عصر الغيبة.

وهذا اللون من التفكير ـ أي الحيادية تجاه المنكر ـ هو الذي فسح المجال للفساد كي ينتشر ويتمدد في حياة البشرية. ولو أعطيت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حقها، وطبّقت في المجتمعات ولو بنسبة تطبيق الفرائض الأخرى فيها، لما وصل حالنا اليوم إلى هذا المستوى من التدني والانحطاط. يقول الشاعر:

أمن الشر بأسنا فتمادى وسكتنا عن الفساد فسادا

وفي الحقيقة هذا اللون من التفكير ـ إن وجد ـ ناتج عن حالة من الضعف والإحباط تجاه مشاكل الحياة، وهو نوع من التبرير المبطن لهذا الضعف، وهو شرعنة للهروب من المسؤولية في المجتمع، التي تتطلب ثمناً باهظاً لا يتحمله أمثال هؤلاء.

نحن من خلال ذلك لا نحسن إلى قضية الإمام المهدي عليه السلام، بل على العكس من ذلك نسيء إليها. لأننا سوف نثقل كاهل الإمام عليه السلام ونضاعف من حمله. لأننا سوف نحمّله مهمة إصلاح هؤلاء الذين أفسدناهم أو سمحنا بفسادهم. على عكس ما لو أصلحنا نصف العالم مثلاً، أو ثلثه، فإننا حينئذ رفعنا نصف الحمل عن كاهل الإمام عليه السلام، أو ثلثه.

وأما الروايات التي تحدثت عن الظلم والجور والفساد في آخر الزمان، فإنها تتحدث عنها كعلامات لظهور الإمام المهدي عليه السلام، وعن واقع يعيشه الناس يومئذ ويصلون إليه بسوء اختيارهم، ولا تتحدث عنها على

أنها شروط لا بد من السعي لتحقيقها حتى نعجل ظهور الإمام عليه السلام· والفرق واضح بين الشرط والعلامة·

إذاً علينا أن لا نكون سلبيين تجاه الظلم والفساد، وأن لا نتقاعس عن الاصلاح والتغيير، وأن نقوم بالتمهيد لقضية الإمام المهدي عليه السلام بكل ما أوتينا من قوة وإمكانات· والتمهيد له عليه السلام يكون على مستويين:

١ـ التمهيد على مستوى الذات

الدولة العالمية للإمام المهدي عليه السلام بخصوصياتها الفريدة وبحجمها الكبير، لا يمكن أن تنجز بيسر وسهولة، مع كل التأييد الإلهي الذي سيكون لها· وإنما تحتاج إلى جهود مضنية في إنجازها وتحقيقها، وإلى رجال أفذاذ في علمهم ووعيهم وصبرهم وشجاعتهم، كما نوهت به الروايات الشريفة·

وهذا النوع من الرجال لا يمكن أن يوجدوا ما لم يمروا بدورة تمحيصية عنيفة يغربلون فيها، حتى يخرج بالغربال خلق كثير· وحتى يذهب الزبد ويبقى الذهب الخالص·

ومن المعروف أن البلاء يصنع الإنسان· والرجل القوي في إيمانه ووعيه وصبره لا يصنع بالرخاء· فابن الرخاء كالزهرة اللطيفة التي اعتمدت على رعاية صاحب البستان، واعتادت على الظلال والرغد والري، وبمجرد أن تلقى في الصحراء حيث العطش الشديد، والشمس المحرقة، والرياح العاصفة، تذبل وتذوى وتموت·

وأما النبتة البرية التي تنشأ في حضن الصحراء حيث العطش الشديد، والحر القاتل، والرياح العاصفة، فإنها تقاوم الأنواء الجوية السيئة، وتتغلب

على الحر والعطش والرياح لوحدها ودون معونة أحد من الناس، وتكون مستعدة لأتعس الظروف والحالات. إلى هذا المعنى يشير الإمام علي عليه السلام بقوله: «ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرق جلوداً. والنباتات البرية أقوى وقوداً، وأبطأ خموداً»[1].

ومما نلاحظه في روايات آخر الزمان، أن بلاءه وتمحيصه أشد من كل الفترات التي عاشها الإنسان في التاريخ. وما ذلك إلا للهدف الكبير الذي يقف وراءه. فالهدف الكبير يتطلب ثمناً كبيراً. جاء في الحديث عن أبي الحسن عليه السلام: «أما والله لا يكون الذي تمدون إليه أعينكم حتى تميزوا، وتمحصوا، حتى لا يبقى منكم إلا الأندر. ثم تلا قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾»[2].

وفي غيبة الشيخ الطوسي رحمه الله، عن جابر الجعفي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: متى يكون فرجكم ؟.

فقال: «هيهات هيهات. لا يكون فرجنا حتى تغربلوا يقولها ثلاثاً، حتى يذهب الله الكدر ويبقى الصفو»[3].

فلا يكون الفرج حتى يمر المؤمنون بدورة تمحيصية عظيمة، يسقط فيها أناس كثيرون ويفشلون في الإمتحان، ولا ينجح فيها إلا الأندر الذي سيحمل راية العدل مع الإمام المهدي عليه السلام. وكلما تحققت هذه القاعدة الشعبية الصلبة، وهذه الثلة المؤمنة، كلما كان زمن الظهور قريباً.

١ـ نهج البلاغة: كتاب ٤٥.

٢ـ كتاب الغيبة، الشيخ الطوسي ٣٣٧.

٣ـ ن. م: ٣٣٩.

فعلينا أن نخلق هذه القاعدة، ونحاول أن نقوّي إيماننا أمام الأفكار المنحرفة، ونقوّم أخلاقنا أمام التيارات الفاسدة، ونرسّخ تقوانا أمام كل دواعي السقوط· خصوصاً في زماننا الحاضر، الذي أصبح الفساد فيه قانونياً، وموضة حضارية، ومبتذلاً أشد الابتذال، بحيث يرآه الإنسان في كل مكان: في البيت والشارع والمدرسة والإدارة، وفي كل أرجاء الحياة المعاصرة· علينا أن نكون أقوياء أمام كل الفتن والمصاعب، فلا نتراجع أو نخضع أو ننكسر، حتى نخرج من كل تلك الابتلاءات فائزين ظافرين، وأقوياء صامدين، فنستعد للتمهيد لدولة الإمام المهدي عليه السلام على مستوى عام، بعد أن ننتهي من إصلاح أنفسنا· فإننا لو لم نصلح أنفسنا لا نستطيع أن نصلح الآخرين، إذ أن الصلاح قبل الإصلاح، ولا يمكن لغير الصالح أن يكون مصلحاً، وقد حددت لنا الروايات الشريفة جزءا من وظائفنا الفردية في عصر ما قبل الظهور· وإليك بعض الروايات التي تحدثت عن ذلك:

عن عبد الحميد الواسطي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله، والله لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر، حتى أوشك الرجل منا يسأل في يديه ؟!

فقال: «**يا عبد الحميد أترى من حبس نفسه على الله لا يجعل له مخرجا· رحم الله عبداً حبس نفسه علينا رحم الله عبداً أحيي أمرنا**»·

قال: قلت: فإن مت قبل أن أدرك القائم ؟·

قال: «**لقائل منكم إن أدركت القائم من آل محمد نصرته كالمقارع معه بسيفه، لشهيد معه له شهادتان**»[1]·

١ـ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢ / ١٢٦·

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتد به قبل قيامه، يتولى وليه، ويتبرأ من عدوه، ويتولى الأئمة الهادين من قبله...»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «من عرف هذا الأمر ثم مات قبل أن يقوم القائم عليه السلام كان له مثل أجر من قتل معه»[٢].

وعنه أيضاً عليه السلام: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتق الله عبد عند غيبته وليتمسك بدينه»[٣].

وعنه أيضاً عليه السلام: «من سره أن يكون من أصحاب القائم، فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر...»[٤].

وعن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام: «اعرف إمامك فإنك إن عرفته لم يضرك تقدم هذا الأمر أو تأخر»[٥].

وعن زرارة أيضاً، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقو ل: «إن للقائم غيبة».

قلت: فإن أدركت ذلك الزمان فأي شئ أعمل ؟.

قال: «يازرارة إن أدركت ذلك الزمان فالزم هذا الدعاء: اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك

١ـ ن. م: ١٣٠.

٢ـ الغيبة، للطوسي: ٤٦١.

٣ـ الغيبة، للنعماني: ١٦٩.

٤ـ ن. م: ٢٠٠.

٥ـ غيبة النعماني ٢٢٩.

إن لم تعرفني رسولك لم اعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني»[١].

وفي التوقيع الشريف الذي خرج للشيخ المفيد رحمه الله: **«فليعمل كل امرئ منكم بما يقربه من محبتنا، ويتجنب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة، ولا ينجيه من عقابٍ ندم على حوبة»**[٢].

من هذه الروايات الشريفة وغيرها من الروايات الأخرى نستفيد مجموعة من وظائف المنتظرين:

١ـ معرفة إمام الزمان والأئمة المعصومين عليهم السلام بصورة عامة. باعتبار أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية كما ورد في الحديث.

٢ـ الولاء لأهل الحق والبراءة من الظالمين. لأنه الخط الإسلامي الصحيح، والضمان الأكيد لاستقامة الإنسان.

٣ـ الإقتداء بالإمام المهدي وبآبائه الطاهرين عليهم السلام، الذين يمثلون الإسلام مجسّداً على أرض الواقع، وعكس الصورة الحسنة عن أتباع أهل البيت عليهم السلام.

٤ـ إحياء أمرهم بشتى الوسائل والسبل. لأن أمرهم هو أمر الإسلام. ولأننا من خلال إحياء أمرهم نحافظ على ذكرهم وفكرهم، وعلى علاقتنا وارتباطنا بهم.

١ـ الغيبة، للطوسي: ٣٣٤.

٢ـ الاحتجاج، الطبرسي: ٢/٤٩٨.

٥ـ التقوى والورع عن محارم الله تبارك وتعالى.

٦ـ حبس النفس على الله عزَّوجلَّ وعلى أهل البيت عليهم السلام.

٧ـ التحلي بالأخلاق الإسلامية الحسنة.

٨ـ التقرب إلى صاحب الزمان عليه السلام، وكسب محبته ورضاه، والابتعاد عن كل ما يبعدنا عنه.

٩ـ الدعاء والاتصال الدائم بالله تبارك وتعالى.

١٠ـ انتظار القائم عجل الله تعالى فرجه، وتوطين النفس على نصرته والجهاد بين يديه بصدق وإخلاص.

١١ـ الصبر والتحمل للخروج من الامتحان الكبير بنجاح فائق يؤهل الفرد لكي يكون من أصحاب القائم عليه السلام. هذه هي المضامين التي ورد في الروايات التي استعرضناها، والتي تبين لنا وظائف المنتظرين الفردية.

٢ـ التمهيد على مستوى عام

وذلك من خلال كسب الناس لصالح الإمام المهدي عليه السلام وقضيته العادلة، وتهيئة الأرضية العامة لظهوره المبارك. ويتم ذلك عبر مجموعة من القنوات.

فعلينا قبل كل شيء أن نعمق الإيمان بقضية الإمام المهدي عليه السلام في نفوس المسلمين، ونجعلها حاضرة في واقعهم، ونمدهم بالثقافة المهدوية. فقضية الإمام المهدي عليه السلام غير واضحة عند كثير من الناس. الكثير من الناس لا يعلم بأن قضية الإمام المهدي عليه السلام من القضايا الثابتة التي لا ريب فيها في الإسلام، وأن الأحاديث قد تظافرت وتواترت فيها إلى

حد كبير. فقد يظنون أنها مسألة هامشية وردت بها بعض الأخبار وآمنت بها بعض المذاهب، فلا ينبغي أن تتوفر على جانب كبير من اهتمامهم.

والكثير من الناس لا يعرفون شخصية الإمام المهدي عليه السلام بدقة، ولم يطلعوا على تفاصيل حركته المباركة وأهدافها وخصائصها ومنجزاتها. بل البعض يملكون صورة مشوهة عن الإمام المهدي عليه السلام، ويتصورون أنه داعية حرب وسفاك للدماء. علينا أن نوضح لهم أن قضية الإمام المهدي عليه السلام قضية إسلامية أصيلة، وردت فيها الكثير من الروايات الشريفة من طرق الفريقين السنة والشيعة، وأنه لا مجال للتشكيك فيها بأي حال من الأحوال. وأن هذه المسألة تتفق عليها حتى الأديان الأخرى التي بشرت على لسان أنبيائها عليهم السلام بظهور مصلح كبير يظهر في آخر الزمان، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. ويقيم دولة الحق التي سينعم الناس بظلها نعمة لم ينعموها في طول التاريخ البشري، حيث سيسود الأمن بدل الخوف، والرخاء بدل الحرمان، والعدل بدل الظلم، والحب بدل البغض والكراهية، ويكون المجتمع فيها مجتمعاً ملائكياً بكل ما للكلمة من معنى.

ولابد أن نربي الناس على ذلك حتى يترسخ في عقولهم وقلوبهم، وخصوصاً النشئ الجديد. علينا أن نربي أولادنا في البيت، وفي المدرسة، وفي التلفزيون، وفي المسجد على ذلك. ونزرع في قلوبهم حب المهدي عليه السلام بالأساليب التربوية التي تتناسب معهم، حتى يشبوا على هذا الأمل الجميل، ويبقوا مشدودين إليه طيلة حياتهم.

بالإضافة إلى ذلك لابد أن نبين للناس وظيفة الإنتظار، ومسؤوليتهم تجاه الإمام المهدي عليه السلام. ونثقفهم على ذلك، بحيث تكون قضية المنتظر

عجل الله تعالى فرجه حاضرة عندهم، معاشة في واقعهم اليومي. ونوفر جميع العوامل التي من شأنها أن تجعل هذه القضية حية وحاضرة في حياة الناس.

وأما على مستوى غير المسلمين من المجتمعات الأخرى، فالمسؤولية تكون مضاعفة على عواتقنا. إذ علينا أولاً أن ندعو الناس للإسلام الذي يمثل الأطروحة التي سيطبقها الإمام المهدي عليه السلام عند ظهوره. وهذا ركن من أركان التمهيد للإمام عليه السلام. لأن العالم عندما يطلع على الإسلام الأصيل وتعاليمه القيمة التي جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور وتحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة، ويقتنعون بأن الإسلام دين الله الخالد الحي الذي يواكب الزمان ويقدر على حل مشاكل الإنسانية المستعصية، بل هو الوحيد القادر على حلها، سوف ينجذبون إلى ذلك المصلح الذي سيطبق هذه الأطروحة السماوية على أرض الواقع، ويحقق من خلالها سعادة الإنسان المنشودة.

وأما لو كان العكس من ذلك، وامتلك الناس صورة مقلوبة عن الإسلام كما هو حاصل اليوم، حيث ينظر الناس في العالم الآخر إلى الإسلام على أنه خطر عظيم يهدد وجودهم وأمنهم وسعادتهم، وذلك من خلال سوء تصرف بعض المسلمين الذين يعكسون صورة مشوهة عن الإسلام، أو من خلال الجهد الثقافي السلبي المحموم الذي تقوم به وسائل الإعلام الغربية عن قصد لتشويه صورة الإسلام في نفوس الناس، بعد أن برز في العصر الراهن كقوة صاعدة تهدد مشاريعهم الإستعمارية ومصالحهم اللامشروعة في العالم. إذا كان الحاصل هذا فإن الناس سوف لن تنجذب لهذا القائد الذي يريد أن يطبق الإسلام ويقضي على سعادتهم به، بل سوف تشمئز من ذكر اسمه.

وظيفتنا أن نعكس الصورة الصحيحة والسليمة للإسلام في عيون العالم،

ونبين لهم زيف ما يرسمه المغرضون عنه، مستفيدين من وسائل الاتصال المتطورة في العصر الراهن، والتي لا تعترف بالحدود والقيود، ومن الظرف المقيت الذي يعيشه العالم، واليأس الكبير الذي ينتابه من المذاهب الأرضية الظالمة، ومن عطش الناس للإسلام الذي نلاحظه في مناطق عديدة من العالم· ثم نبين لهم أن هذا الدين العظيم سوف يطبق بكل تعاليمه القيمة في الأرض، وسوف ينعم الناس في ظله وعلى يدي قائده بالسعادة التي لم يكونوا يتصورونها· وبذلك نكون قد مهدنا الأرضية اللازمة لالتفاف الناس حوله· فإنه ليس من المنطقي أن يأتي الإمام عليه السلام ليقتل أكثر العالم· ويمكن أن ألخص هذه الفقرة عبر مجموعة نقاط:

١ـ إطلاع الناس على قضية الإمام المهدي عليه السلام، وتنبيههم إلى عظمتها وأصالتها في الإسلام·

٢ـ تعريفهم بشخصيته الكريمة وخصائصه وصفاته ومجمل شؤونه·

٣ـ إعطائهم الثقافة المهدوية الصحيحة، وتوفير الفهم الصحيح لهم عن الإمام المهدي عليه السلام، وعن دولته الكريمة وخصائصها ومنجزاتها·

٤ـ المحافظة على إيمان الناس من التزلزل، وردع المشككين والمستهزئين بالإمام المهدي عليه السلام، ودحض أباطيلهم بالحجة والبرهان·

٥ـ المحافظة على حيوية القضية المهدوية وحضورها في واقع الناس، حتى لا تكون قضية هامشية منسية، وذلك عبر البرامج المختلفة والمدروسة التي تقام لأجل ذلك·

٦ـ تربية الجيل الجديد على حب المهدي وولائه ومعرفته، بحيث نخلق

جيلاً مهدوياً كاملاً ومسلحاً بالوعي والعلم والبصيرة والدين، كي يتحمل أعباء المسؤولية الملقاة عليه.

٧ـ الدعوة إلى الإسلام، وتقديم الصورة الصحيحة عن الدين الذي سيطبقه المهدي عليه السلام، والذي سيحكم العالم في زمانه، وتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة التي يقدمها البعض عن الإسلام، والتي تكون سبباً لنفرة الناس منه.

٨ـ تدويل قضية المهدي عليه السلام وعدم جعلها قضية شيعية أو إسلامية محصورة. وإنما لأبد من إعطائها بعداً عالمياً، وجعلها همّاً عالمياً يعيشه الجميع. وذلك من خلال البحث عن المشتركات في قضية المنجي العالمي بين الأديان والمذاهب المختلفة من خلال المؤتمرات العالمية التي تقام لأجل ذلك.

وللأسف الشديد إننا لم نقم بالواجب علينا، ولم نستثمر هذه الفرص الكبيرة المتاحة أمامنا لصالح الإمام المهدي عليه السلام. ولو سألنا أنفسنا أننا ماذا فعلنا للدولة العالمية المباركة، لا أظن أن أحداً منا يستطيع أن يقول شيئاً. خصوصاً نحن الشيعة الذين تعنينا قضية الإمام المهدي عليه السلام أكثر من غيرنا، باعتبار أننا نعتقد أن الإمام المهدي عليه السلام أحد أئمتنا المعصومين، وأنه مولود، وحي يرزق، يعيش بين ظهرانينا، ويراقب كل أعمالنا، مما يجعلنا نشعر بالمسؤولية تجاهه أكثر من غيرنا الذين لا يعتقدون بوجوده وغيبته.

نحن نعيش حالة من التقصير في هذا الجانب، سواء في المستوى العلمي أو في المستوى التبليغي والإعلامي. على المستوى العلمي لم تأخذ قضية الإمام المهدي عليه السلام حظها الكافي من البحث والدراسة. وما بأيدينا من بحوث ودراسات هي قليلة وناقصة كماً وكيفاً. المفروض أن تكون هناك

مؤسسات علمية مختصة بالقضية المهدوية تتبنى المشاريع البحثية والتحقيقية، وتكون لها خطط وبرامج ستراتيجية، وتقوم بدراسات إحصائية على مستوى العالم الشيعي والإسلامي، وحتى غير الإسلامي· نحن الآن لا توجد لدينا إحصائيات بالأرقام، ولا حتى بالتخمين حول نظر الناس للإمام المهدي عليه السلام، ومدى معرفتهم به، واهتمامهم بقضيته، ومشاعرهم تجاهه·

ولابد أن تقوم هذه المؤسسات بإقامة الندوات والمؤتمرات العلمية المختصة التي تناقش فيها قضية الإمام المهدي عليه السلام من زواياها المختلفة، وتدفع الشبهات المطروحة حولها، وتقدم عنها صورة واضحة للعالم· الحقيقة أنا أدعو إلى مؤتمر إسلامي عام يعقد كل سنة، ويشارك فيه العلماء والباحثون وأهل الاختصاص من مختلف المذاهب والتيارات الإسلامية· وذلك لأجل دراسة قضية الإمام المهدي عليه السلام، ودراسة كل القضايا المتعلقة بها· بل أدعو إلى إقامة مؤتمر عالمي حول المنجي العالمي، والدولة العالمية الواحدة·

وعلى المستوى الإعلامي لم تأخذ قضية الإمام المهدي عليه السلام حيزاً ملفتاً من المجال الإعلامي في الدول الإسلامية، مع كل التطور الذي طرأ على عالم الإعلام، وكثرة وسائل الإعلام في الدول الإسلامية· ليست هناك برامج محددة في الراديو أو التلفزيون أوالفضائيات للتبليغ للقائم عجل الله تعالى فرجه الشريف ما عدا بعض الاستثناءات البسيطة· فإن المفروض في ظل العولمة الإعلامية أن تكون لنا برامج مدروسة لتعريف الناس بشخصية الإمام المهدي عليه السلام، وأهدافه، وخصائصة، ولشد الناس إلى قضيته، ولخلق القاعدة الشعبية الواعية التي تكون منطلقاً ومتكأ لحركته المباركة وبكل لغات العالم الحية·

خاتمة

عمر الدولة العالمية للإمام المهدي عليه السلام

خاتمة

عمر الدولة العالمية للإمام المهدي عليه السلام

أود أن أختم البحث حول الدولة العالمية للإمام المهدي عليه السلام بالحديث عن عمر هذه الدولة المباركة والمدى الذي تمتد إليه. والحديث عن عمر الدولة المهدوية المباركة يدعونا للحديث عن العمر المبارك للإمام المهدي عليه السلام بعد ظهوره. والمطالع للروايات الشريفة يجد اختلافاً واضحاً في تحديد عمره المبارك والفترة التي سيقضيها بعد ظهوره. ونحن في البداية سنستعرض هذه الروايات ثم نقوم بدراستها. وهي تنقسم إلى مجموعة طوائف:

الطائفة الأولى:

وهي التي تذكر أن مدة ملكه عشر سنين فما دون، خمس أو سبع أو ثمان أو تسع أو عشر. ومن هذه الروايات:

ما رواه أبو داود في سننه وغيره بسنده إلى أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهدي مني أجلى أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ويملك سبع سنين»[1].

١ـ السنن، أبو داود السجستاني: ٤/١٥٢.

وروى أيضاً عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه يملك سبع سنين[١].

وروى الحاكم في المستدرك وغيره بسنده إلى أبي سعيد الخدري وصحّحه على شرط الشيخين، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«فيبعث الله عزوجل رجلاً من عترتي... يعيش فيهم سبع سنين أو ثمان أو تسع»[٢].

وأخرج الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري أيضاً حديثاً وقال عنه أنه حسن، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«إن في أمتي المهدي، يخرج ويعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً. قلنا: وما ذاك ؟ قال: سنين»**[٣].

وأخرج القندوزي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: **«يملك المهدي أمر الناس سبعاً أو عشراً...»**[٤].

وروى الأربلي عن أربعين الأصفهاني بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لطول الله تلك الليلة حتى يملك رجل من أهل بيتي... فيملك سبعاً أو تسعاً»**[٥].

وأخرج الشيخ الطوسي في الغيبة بسنده عن عبد الكريم الخثعمي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كم يملك القائم ؟ فقال: **«سبع سنين، يكون**

١ـ السنن، أبو داود: ٢/٣١١.

٢ـ المستدرك، الحاكم: ٤/٤٦٥.

٣ـ السنن، الترمذي: ٣/٣٤٣.

٤ـ ينابيع المودة، القندوزي: ٤٤٩.

٥ـ كشف الغمة، الأربلي: ٢/٢٧٤.

سبعين سنة من سنيكم هذه»[١].

فهذه الروايات تحدد مدة ملكه بالعشر فما دون، والترديد من الراوي، وأخرجها القوم بطرق متعددة: عن أبي سعيد الخدري، وأم سلمة، وعبد الله بن مسعود، وأبي الصديق، وأبي هريرة، وغيرهم.

الطائفة الثانية:

وهي الروايات التي تحدد مدة ملكه بما يزيد على العشر سنوات إلى دون العشرين، ومنها:

ما أخرجه الشيخ الطوسي في الغيبة بسنده عن جابر الجعفي، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: قلت: وكم يقوم القائم في عالمه ؟.

قال: «**تسع عشرة سنة**»[٢].

وأخرج النعماني في الغيبة، عن ابن أبي يعفور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**ملك القائم منا تسع عشرة سنة وأشهر**»[٣].

وأخرجه القندوزي عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المهدي رجل من ولدي... يملك عشرين سنة**»[٤].

---

١ ـ الغيبة، الطوسي: ٤٧٤. ومسألة طول الأيام في زمانه قد يعترض عليها البعض بأنها خلاف للنظام الكوني وحركة الأرض، ولكننا لا نعلم ما يخبئه لنا المستقبل، فربما تحدث تغيرات في المجموعة الشمسية وفي حركة الكواكب نتيجة لبعض العوامل الفلكية، فربما يقترب كويكب من الأرض فيغير زاوية الميل الأرضي نتيجة لاختلال محور الجاذبية فيها فتختل حركتها وتتغير، وقد تبطأ كثيراً فتكون الأيام طويلة فيها. فالقضية ليست من المستحيلات العقلية أو العلمية، ويفعل الله ما يشاء.

٢ـ الغيبة، الطوسي: ٤٧٩.

٣ـ الغيبة، النعماني: ٣٣١.

٤ـ ينابيع المودة، القندوزي: ٣/٢٦٣.

وعن نعيم بن حماد في الفتن، عن الزهري قال: «**يعيش المهدي أربع عشرة سنة، ثم يموت موتاً**»[١].

الطائفة الثالثة:

هي الأخبار التي صرحت أن مدة ملكه فوق العشرين، وأغلبها مراسيل غير منتهية إلى المعصوم ما عدا رواية ابن حماد عن الإمام علي عليه السلام قال: «**يلي المهدي أمر الناس ثلاثين أو أربعين سنة**»[٢]. ورواية الإحتجاج عن الإمام الحسن عن أبيه عليهما السلام قال: «**يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه**»[٣].

وأما البقية فهي غير مرفوعة إلى المعصوم، فقد روى ابن حماد عن مجموعة منهم: أرطاة قال: إنه يبقى أربعين عاماً، وأخرج عن بقية بن الوليد أنه يحيي ثلاثين سنة، وعن دينار بن دينار أن بقاءه أربعون سنة[٤].

الطائفة الرابعة:

وهي تتضمن الأخبار التي ذكرت طول ملكه دون تحديد، ومنها:

ما أخرجه النعماني في الغيبة عن يونس بن رباط قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إن أهل الحق لم يزالوا منذ كانوا في شدة. أما إن ذلك**

١ـ الفتن، نعيم بن حماد المروزي: ٢٣٤.

٢ـ الفتن، ابن حماد: ٢٤٣.

٣ـ الإحتجاج، الطبرسي: ٢/٢٩٠.

٤ـ ن. م.

إلى مدة قريبة وعاقبة طويلة»[١].

ومنها ما رواه الصدوق بسنده عن الهروي، عن الرضا عليه السلام عن آباءه، عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله، عن الباري عزوجل: **«ولأنصرنه بجندي، ولأمدنه بملائكتي، حتى يعلن دعوتي، ويجمع الخلق على توحيدي، ثم لأديمن ملكه، ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة»**[٢].

وهناك خبر يدل على أنه يملك ثلاثمأة وتسعة أعوام، وهو الخبر الذي ذكره الطوسي في غيبته عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **«إن القائم ـ عليه السلام ـ يملك ثلاثماءة وتسع سنين، كما لبث أهل الكهف في كهفهم»**[٣].

هذه هي الروايات التي وردت في هذا الباب، وهي مختلفة ومتضاربة فيما بينها، وليست على درجة واحدة من الاعتبار. فالطائفة الثالثة مثلاً أغلب رواياتها عن غير المعصومين، وبالتالي لا تملك الحجية الكافية. والطائفة الرابعة لم تتحدث عن عمر الإمام عليه السلام ومدة حكمه بصراحة وإنما يمكن القول أنها تتحدث عن عمر الدولة العالمية ولا ملازمة بينهما كما سيتضح بعد ذلك. وأما رواية أبي الجارود فهي رواية واحدة لا يوجد ما يعضدها. وفي غيبة النعماني أن الذي يملك ثلاثماءة سنة رجل بعد القائم عليه السلام وليس القائم نفسه.

وعلى ذلك فعمدة ما في الباب روايات الطائفة الأولى والثانية. والطائفة

١ـ الغيبة، النعماني: ٢٨٥.

٢ـ علل الشرايع، الصدوق: ١/٥.

٣ـ الغيبة، الطوسي: ٤٧٤.

الأولى أشهر كما صرح بذلك السيد الشهيد محمد الصدر رحمه الله في تاريخ ما بعد الظهور واختاره[١]، ونسب ذلك أيضاً إلى السيد رضا الصدر رحمه الله. واختاره ابن عربي في الفتوحات وآخرون. وصرّح به الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد حيث قال بعد ذكر الطائفتين من الروايات (السبع سنين، والتسعة عشر سنة) قال: «فلسنا نقطع على أحد الأمرين، وإن كانت الرواية بذكر سبع سنين أظهر وأكثر»[٢].

وقد ادعى أبو الحسين الآبري أيضاً تواتر الطائفة الأولى. قال: «قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى (ص) بخروجه، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين»[٣]. وكذلك قال أبو الحسن السحري[٤]. ودعوى التواتر في أصل ظهور المهدي عليه السلام مما لا ريب فيه إلا أن دعوى التواتر على خصوص السبع سنين مما لا دليل عليه.

وقد ورد في بعض الأخبار أن سنيه ليست كباقي السنين وإنما كل سنة في زمانه تعدل عشر سنين من زماننا، والله العالم بذلك[٥].

نعم ربما يقال أن ذلك لا ينسجم مع طول مدة الظلم والفساد التي

١ـ تاريخ ما بعد الظهور، السيد محمد الصدر: ٤٣٨.

٢ـ الإرشاد، المفيد: ٢/٣٨٧.

٣ـ عصر الظهور، الكوراني: ٣٦٨.

٤ـ ن. م: ٣٦١.

٥ ـ وقد ذكر غير واحد من المحققين أن بالإمكان حمل اختلاف الروايات على اختلاف مراحل ملكه ومدة استقراره. يقول الشيخ المجلسي رحمه الله: «الأخبار المختلفة الواردة في أيام ملكه عليه السلام بعضها محمول على جميع مدة ملكه، وبعضها على زمان استقرار دولته، وبعضها على حساب ما عندنا من السنين والشهور، وبعضها على سنيه وشهوره الطويلة والله يعلم». بحار الأنوار: ٥٢/٢٨٠.

حكمت البشرية. فالبشرية عانت قروناً متمادية من الظلم والجور، فالمفروض أنها تعيش مدة أطول من العشر سنوات أو العشرين سنة تحت أفياء العدل. فهل البشرية عانت كل هذه السنين، وتحملت أنواع الظلم والطغيان متطلعة إلى غد مشرق تنعم فيه بالعدل والسلام، لتعيش سبع سنين في دولة العدل ؟.

ولكن يمكن أن يقال في جوابه: إن البشرية سوف تنعم مدة مديدة في ظل الحكومة العادلة، فإن دولة الحق سوف تستمر بعد وفاة الإمام المهدي عليه السلام بعد أن يشيّد أركانها ويعلي بنيانها، سواء قلنا أنها تستمر من خلال رجعة الأئمة عليهم السلام، أو من خلال حكم الصالحين من ذرية الإمام المهدي عليه السلام. ولعل روايات الطائفة الرابعة تشير إلى هذا المعنى بوضوح. فإذاً وفاة الإمام المهدي عليه السلام لا تشكل نهاية المطاف، وإنما سوف يستمر الصالحون في حكم الأرض ضمن إطار الدولة العالمية التي سيؤسسها الإمام المهدي عليه السلام.

وأخيراً: نسأل الله تعالى أن يقر أعيننا بلقياه ورؤية محياة، وأن يشهدنا أيامه، ويجعلنا من أولياءه وخدامه، وندعوه إن لم يكتب لنا ذلك أن يميتنا على ولاءه وحبه، ويرزقنا رحمته وقربه.

فهرس المصادر

فهرس المصادر

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، للعلامة الشيخ جعفر السبحاني.

٣ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي، انتشارات مؤسسة آل البيت ط ١، ١٤١٧، قم.

٤ـ الإحتجاج، الشيخ أحمد بن علي الطبرسي، دار النعمان للطباعة والنشر.

٥ ـ الإرشاد، محمد بن النعمان المفيد، انتشارات مؤسسة آل البيت (ع)، ط١، سنة١٤١٣، قم، إيران.

٦ـ الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم شيرازي، مؤسسة البعثة، ط ١، ١٤١٣، بيروت.

٧ ـ بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، دار أحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٠٣، بيروت.

٨ ـ بشارة الإسلام، السيد مصطفى آل حيدر الكاظمي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٤١٢٧

٩ـ تاريخ ما بعد الظهور، السيد محمد الصدر، دار التعارف، ط١، ١٣٩٥ بيروت.

١٠ ـ التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار أحياء التراث، ط ٢، ١٤١٧، بيروت.

١١ ـ تفسير العياشي، محمد بن عياش السلمي، مؤسسة البعثة، ط١، ١٤٢١، طهران.

١٢ـ عصر الظهور، الشيخ علي الكوراني،مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٨

١٣ ـ سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، دار المعرفة، ط٣، ١٤١٨، بيروت.

١٤ـ سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر، ط٢، ١٩٨٣م، بيروت.

١٥ ـ الحاوي للفتاوي، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٨

١٦ ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط٥، ١٤١٤، دمشق

١٧ ـ صدام الحضارات، صموئيل هنتغتون، سطور، ط ٣، ١٩٩٨

١٨ ـ عقد الدرر، يوسف بن يحيى بن علي بن عبد العزيز المقدسي، انتشارات مسجد جمكران، ط١، ١٤١٦، قم.

١٩ـ الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي، المكتبة المرتضوية.

٢٠ـ علل الشرايع، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، دار الحجة للثقافة، ط١، ١٤١٦، إيران.

٢١ ـ الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٤

٢٢ـ الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني، مكتبة الصدوق، طهران بدون ذكر الطبعة وتاريخها.

٢٣ ـ الغيبة، محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة المعارف الإسلامية. ط٢، ١٤١٧، إيران.

٢٤ ـ الفتن، نعيم بن حماد الخزاعي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨، بيروت.

٢٥ ـ الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١، بيروت.

٢٦ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، ط٣، ١٣٨٨

٢٧ ـ كفاية الأثر، علي بن محمد بن علي الخزاعي القمي، انتشارات بيدار، إيران، سنة ١٤٠١.

٢٨ـ كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الأعلمي، ط١ ١٤١٢، بيروت.

٢٩ ـ كنز العمال، المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩.

٣٠ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن عيسى الأربلي، دار الكتاب الإسلامي بيروت، بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع.

٣١ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، دار الأعلمي، ط١، ١٤١٥ بيروت

٣٢ـ المحجة فيما نزل في القائم الحجة، السيد هاشم البحراني، مؤسسة النعمان، بيروت، سنة ١٤١٣.

٣٣ ـ المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، ط١، ١٤١٧، بثروت

٣٤ ـ مجلة المستقبل العربي، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

٣٥ـ مجلة تراثنا، تصدرها مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث.

٣٦ ـ مسند احمد، أحمد بن حنبل، دار الحديث، ط١، ١٤١٦، مصر.

٣٧ـ معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، مؤسسة المعارف الإسلامية تحت إشراف الشيخ علي الكوراني، ط١، ١٤١١، إيران.

٣٨ـ الملاحم، بن جعفر بن محمد المعروف بابن المنادي، دار السيرة، ط١ ١٤١٨، إيران.

٣٩ ـ الملاحم والفتن، رضي الدين بن طاووس، منشورات الأعلمي، بيروت لبنان.

٤٠ـ منهاج السنة، ابن تيمية، دار إحياء التراث.

٤١ ـ منتخب الأثر، لطف الله الصافي الكلبيكاني، مؤسسة السيدة معصومة، ط١ ١٤١٩ قم.

٤٢ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات إسماعيليان، ط٥، ١٤١٢، قم.

٤٣ـ نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعه الحويزي، إسماعيليان ط٤، ١٤١٥، قم.

٤٤ـ ينابيع المودة. سلمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، دار الأسوة، ط١، ١٤١٦، بيروت.

فهرس المحتويات

دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) ٥

المقدمة ٧

المدخل ١٣

الفصل الأول

مستقبل العالم بين وراثة الليبراليين ووراثة الصالحين

استشراف المستقبل ٢٧

الليبرالية ومستقبل العالم ٣٠

ملاحظات حول خلود الليبرالية ٣٥

النظرية الإسلامية للمستقبل ٤٦

الوعد الإلهي في القرآن الكريم ٤٨

الوعد الإلهي في السنة الشريفة ٥٣

تواتر أحاديث المهدي عند الجمهور ٥٤

المهدي في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ٦٢

أصالة قضية المهدي في الإسلام ٦٩

الفصل الثاني

ضرورة قيام الدولة العالمية ودور العولمة في ذلك

ضرورة الدولة ٧٧

ضرورة قيام الدولة الواحدة ٧٩

٢٥٨ ..... آخر الدول

العولمة باختصار ٨٢

بين العولمة الغربية والعالمية المهدوية ٨٦

تأثير العولمة على دولة الإمام المهدي العالمية ٨٨

الأثر السلبي للعولمة ٩٢

الفصل الثالث

خصائص الدولة العالمية للإمام المهدي (عليه السلام)

١ ـ العالمية ١٠٠

النظام السياسي في دولة الإمام المهدي (عليه السلام) ١٠٤

عاصمة الدولة العالمية ١٠٧

لغة الدولة العالمية ١١٠

٢ ـ نشر الإسلام وتحكيمه في العالم ١١٤

التعددية الدينية ١١٨

الإمام المهدي والأمر الجديد ١٢٤

مذهب الدولة العالمية ١٢٧

٣ ـ العدل الشامل ١٢٩

النظام القضائي ١٣١

٤ ـ الرفاه الإقتصادي ١٣٧

٥ ـ الأمن العالمي ١٤٢

٦ ـ السلامة الإجتماعية ١٤٥

٧ ـ إكتمال العلم ١٥١

٨ ـ التكامل العبادي ١٥٦

الفصل الرابع

أساليب قيام الدولة العالمية

الأسلوب الأول : المعجزة ١٦٤
الأسلوب الثاني : الفتح السلمي ١٦٨
الأسلوب الثالث : الفتح العسكري ١٧٣
العالم قبل الظهور ١٧٤
عناصر القوة عند الإمام المهدي (عليه السلام) ١٧٧
أولاً: القيادة الحكيمة ١٧٧
ثانياً: الجيش المقتدر ١٧٨
ثالثاً: التأييد الإلهي ١٨٠
رابعاً: الحرب النفسية ١٨١
المهدي داعية حرب أم سلام ١٨٤
موقع الحوار في دعوة المهدي (عليه السلام) ١٩٠
خلاصة ما تقدم ١٩٢
الفصل الخامس: حركة الفتح العالمي ١٩٥

الفصل السادس

الإنتظار الواعي ومسؤوليتنا تجاه الدولة العالمية

الإنتظار في المصادر الإسلامية ٢١٣
انتظار الإمام المهدي (عليه السلام) ٢١٦
الإنتظار الواعي ٢٢٤
مسؤوليتنا تجاه الدولة العالمية ٢٢٦

٢٦٠ ..... آخر الدول

أفكار خاطئة ٢٢٧

١ ـ التمهيد على مستوى الذات ٢٣٠

٢ ـ التمهيد على مستوى عام ٢٣٥

خاتمة

عمر الدولة العالمية للإمام المهدي(عليه السلام)

الطائفة الأولى: ٢٤٣

الطائفة الثانية: ٢٤٥

الطائفة الثالثة: ٢٤٦

الطائفة الرابعة: ٢٤٦

فهرس المصادر ٢٥١

فهرس المحتويات ٢٥٧